



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر  
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.ir

# مِيقَاتُ الْحَجِّ

مِهْجَةُ رِيسَالِ كِتَابَةِ فَنَى وَالشُّؤْنِ الْقَائِمَةِ  
وَالشَّرْحِ وَالرِّسَالَةِ وَالْإِحْيَاءِ الْقَائِمَةِ لِلْحَجِّ



- الحج ، رموز وعلامات (١٤١) • حج أهل الصرخة ...
- كفاية الحاج إلى مناسك الحج • سلمان الفارسي •
- التصرف المعجز عن بقاء الاستقامة •
- موضح مقام إبراهيم •
- لغة الجبال في الحج (١٦٦) • الحج جادة مباركة ...
- حكمة وأسمائها وما ترمز إليه في اللغات السامية •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعة:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

## الفهرس

٥	الفهرس
٧	ميقات الحج المجلد ٣
٧	اشارة
٧	الحج في احاديث الامام الخميني قدس سره
١٦	الحج في احاديث الامام الخامنئي
١٩	شريعة إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد
٣٢	الحج في السنة
٤٧	اضواء من اسرار الحج
٥٧	شرح فقرة من دعاء عرفه
٧٥	اقل ما يجب معرفته من تاليف الشهيد الثاني
٩٠	امارة الحج وبيت الموسوى
١٠٢	الحج والسلام العالمى
١١٩	الاعتداء على حرمة البيت وامنه
١٣٠	القبلة والطواف
١٦٨	زمزم في الشعر العربى ماء زمزم لما شرب له
١٦٩	زمزم
١٧٠	شوق ودعاء
١٧٢	من اسماء زمزم عند الشعراء
١٧٣	زمزم
١٧٥	تحقيق حول شعب أبى طالب
٢٠٥	عبد الله بن مسعود ورحلة الإيمان المباركة
٢٢٣	ابعاد التأثيرات الفكرية والأدبية
٢٣٦	اسماء المدينة المنورة ونعوتها

- ٢٦٠ ..... الروضة المقدسة
- ٢٧٧ ..... المساجد والأماكن الاثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة
- ٢٨٨ ..... من رحلة ابن جبير عن الحج
- ٣٠٣ ..... تعريف مركز

## میقات الحج المجلد ۳

## اشاره

عنوان و نام پدیدآور: میقات الحج [بیابند: مجله]  
 مشخصات نشر: تهران: منظمه الحج و الزیارة، ۱۴۱۷ ق. - = ۱۳۷۵ -  
 فاصله انتشار: شش ماه یکبار

یادداشت: عربی

فهرست نویسی براساس سال ۳ شماره ۵ سال ۱۴۱۷ ق.

یادداشت: این نشریه در بیروت نیز منتشر می شود

یادداشت: مدیرالمسؤول: محمد محمدی ری شهری

رئیس التحریر: علی قاضی عسکر

یادداشت: کتابنامه

ترجمه عنوان: Mighat al - haj

موضوع: حج -- نشریات ادواری

شناسه افزوده: محمدی ری شهری، محمد، ۱۳۲۵، -مدیر مسئول

Muhammadi Reyshahri, Muhammad

قاضی عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵، - سردبیر

شناسه افزوده: سازمان حج و زیارت

رده بندی کنگره: BP۱۸۸/۸

رده بندی ...: ۲۹۷/۳۵۷۰۵

ص: ۱

الحج في احاديث الامام الخميني قدس سره

















ص: ٩

الحجّ في أحاديث الإمام الخميني قدس سره

... إنّ الحجّ يمثّل أفضل مكان لتعارف الشعوب الإسلاميّة، حيث يتعرّف المسلمون على اخوانهم وأخواتهم في الدين من شتى أنحاء العالم، ويلتقون مع بعضهم في البيت الذي تتعلّق به كلّ المجتمعات الإسلاميّة من أتباع إبراهيم الحنيف «وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كلّ ضامر يأتين من كلّ فجّ عميق» (١)

. وبنبذهم ما يمايزهم من اللون والقومية والأصل، يعودون إلى أرضهم وبيتهم الأول.

وبمراعاتهم للأخلاق الإسلاميّة الكريمة، وتجنّبهم للجدال ومظاهر الزينة، يجسّدونصفاء الأخوة الإسلاميّة ومظهر وحدة الأمة المحمديّة

....

... أنتم يا حجاج بيت الله الحرام، (يا من) وفدت من أطراف

ص: ١٠

العالم وأكنافه على بيت الله مركز التوحيد ومهبط الوحي ومقام ابراهيم ومحمد الرجلين العظيمين الثائرين على المستكبرين، وسارعت للوصول الى المواقف الكريمة التي كانت في عصر الوحي أرضاً يابسه وهضاباً جافة، غير أنها كانت مهبط ملائكة الله ومحلاً لهجوم جنود الله، ولتوقف أنبياء الله وعباد الله الصالحين!! اعرفوا هذه المشاعر الكبرى وتجهّزوا من مركز تحطيم الأصنام لتحطيم الأصنام الكبرى التي ظهرت على شكل قوى شيطانية و (على شكل) غزاة يمتصون الدماء. ولا- تخشوا هذه القوى الفارغة من الايمان، وبالأتكال على الله العظيم وفي هذه المواقف الكريمة اعقدوا بينكم ميثاق الاتحاد والاتفاق أمام جنود الشرك والشيطنة، واحذروا من التفزق والتنازع «... ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...» (١).

ريح الايمان والاسلام، التي هي أساس النصر والقوة، تزول بالتنازع والتشردم المنسجم مع الأهواء النفسية، والمخالف لأحكام الله تعالى. والاجتماع على الحق وتوحيد الكلمة وكلمة التوحيد (عناصر تشكل) أساس عظمة الأمة الإسلامية وتؤدي إلى الانتصار. الهوامش:

### الحجّ في احاديث الامام الخامنئي



ص: ١١

الحجّ في أحاديث الإمام الخامنئي

(مد ظله العالى)

... في آيات الحج نرى القرآن يدعو الجميع إلى البراءة من أوثان المشركين:

«... فاجتنبوا الرجس من الأوثان ...» (١).

وهذه الأوثان كانت يوماً تلك الأوثان المنتصبه في الكعبة، لكنها اليوم ودائماً، تلك القوى التي تمسك - دون حق - بزمام الحاكمية على نظام حياة البشر، وتتجلى اليوم بوضوح أكثر في قدره الاستكبار وقدره أمريكا الشيطانية، وقدره ثقافه الغرب، والفساد والتحلل المفروض على البلدان والشعوب المسلمه. واضح أن أذنان الحكومات المهزوزة ومأجوريها يُصرون على أن الأوثان ليست إلّا «منات» و «لات» و «هبل»، التي سُحقت وحُطمت تحت أقدام جيش

١-١ الحج: ٣٠.

ص: ١٢

رسول اللّهلصلى الله عليه و آله في الفتح الإسلامي الظافر.

هدف وعاظ السلاطين هؤلاء أن يفرغوا الحجّ - كما يصرحون هم بذلك- من أيّ محتوى سياسي ... غافلين أن هذا التجمع المليونى الإسلامي من كلّ حدب وصوب، فى بقعة معينة وفى زمانٍ معين، ينطوى بنفسه على أكبر مضمون سياسي، إنه استعراض للأمة الإسلامية تذوب فيه الاختلافات العنصرية واللغوية والجغرافية والتاريخية، وينبثق منه «كلّ» واحد.

هؤلاء وأسيادهم يلقون كلّ ألوان الأكاذيب والخداع والأباطيل من أجل أن لا يعى المسلمون حقيقة هذا التجمع الكبير، وأن لا يستشعروا الروح الجماعية فيه .. ولكى يضيّقوا الساحة على الداعين إلى الوحدة، والمنادين بالبراءة من أئمة الشرك.

إيران الإسلام أرادت أن تقوم بأقلّ عمل - إن لم يكن بأكبر عمل - يتناسب مع موضوع الحج، وهو دعوة المسلمين إلى الاتحاد، وتبادل الأخبار بين الشعوب، وإعلان النفرة والبراءة من أئمة الشرك والفساد. وكلّ من يجابه هذه الأهداف السامية القيمة، فهو مهما قال، فقد قال زوراً. والقرآن يقول: «... واجتنبوا قولَ الزور» (١).

«قول الزور» هو ذلك الحديث الباطل الذى يسىء إلى الجمهورية الإسلامية، لأنّ الجمهورية الإسلامية رفضت حاكمية دولة الصهاينة على فلسطين الإسلامية، وردّت كلّ تسوية تقوم بها حفنة من الفاسدين المطرودين مع الغاصبين، وأدانت التدخّل الأمريكى الاستيلائى فى البلدان العربية، واستنكرت خيانة بعض حكام العالم الإسلامى لشعوبهم المسلمة إرضاءً لأمريكا والصهيونية،

ص: ١٣

ودعت المسلمين إلى معرفة قوتهم الكبرى التي لا تقوى أية قوة كبرى اليوم أن تقف بوجهها، وقوّرت أن المعرفة الإسلامية وأحكام الشريعة قادرة على إدارة البلدان الإسلامية، وحذّرت من غارة الثقافة الغربية على البلدان الإسلامية، متمثلة في التعرّي والسكر وزلزلة الإيمان ...

وبعبارة موجزة أصرت على اتباع القرآن.

واليوم فإنّ أى بلد من البلدان الإسلامية يعلنصراحة مثل هذا التبنّي وهذه المواقف، أى يرفض إسرائيل الغاصبة، ويرفض التدخّل الأمريكى المتغطرس، ويرفض الانغماس فى الخمور والتحلل والفساد الجنسى واختلاط الجنسين، ويرفض الاتفاق مع الصهاينة المغتصبين، ويدعو المسلمين إلى الوحدة والمقاومة أمام القوى الكبرى، وإلى تطبيق الأحكام الإسلامية فى الحكم والاقتصاد والسياسة وغيرها من مجالات الحياة ....

الهوامش:

### شريعة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد

شريعة إبراهيم عليه السلام فى القرآن المجيد

ص: ١٤

عبد الله جوادى آملی

«يا أهل الكتاب لِمَ تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون». «ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون». «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين». «انّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» (١).

بحث تفسيرى:

تتلخص المباحث التفسيرية للآيات الآنفه الذكر، التى تستنطق سيرة النبى إبراهيم عليه السلام بعده محاور:

١- ١ آل عمران: ٦٥-٦٨.

ص: ١٥

١- احتجاج ومناظرة أهل الكتاب.

٢- عدم وجود الارتباط بين إبراهيم عليه السلام واليهود والنصارى.

٣- أصل وأساس دين إبراهيم الخليل - سلام الله عليه -.

٤- استدلال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام بالآية، فيما يتعلق بمسألة الخلافة.

احتجاج أهل الكتاب:

بما أن النبي إبراهيم عليه السلام يُذكر بكلِّ عظميِّ في الكتب السماويَّة، وبين اتباع الأديان الإلهيَّة كذلك، فإنَّ كلَّ من اليهود والنصارى عدَّوه عليه السلام منهم، ووصفوه بأنَّه مسيحي أو يهودي، وذهبوا في ذلك إلى مرحلة المحاججة والمناظرة.

محور الاحتجاج:

المستفاد من ظاهر الآية: أنَّهم كانوا يحاجون على أمر غير معقول! فهل ذلك كان بسبب ما تقوله إلهود: إنَّ النبي إبراهيم عليه السلام كان يعمل بشريعة موسى، أم لما تقوله المسيحيَّة من أنَّه عليه السلام كان يعمل طبقاً لدين عيسى؟!

من المستبعد أن يحصل مثل هذا الاحتجاج؛ لأنَّه من الواضح جداً أنَّه عليه السلام سبق موسى وعيسى، وعاش قبل هذين النبيين عليهما السلام بعدة قرون، إذن كيف يمكن أن يتبع ديناً لم يأت بعد؟!

قبل البدء بالبحث حول محور احتجاج أهل الكتاب، يجب أن نعلم أنَّ احتجاجهم، كان حول دين النبي إبراهيم عليه السلام وشريعته الخاصَّة، ولم يكن حول أصل نبوته أو رسالته أو جهاده. ويجب أن نعلم أيضاً، أنَّهم عندما كانوا يقولون «كان إبراهيم يدين بديننا»؛

كان مرادهم أنَّ ديننا استمرارٌ لطريق إبراهيم ونحن

ص: ١٦

ورثته عليه السلام؛ لأنه كما بينا ذلك آنفاً، ليس من المعقول أن يقول قائل: إن إبراهيم الذي عاش قبل عدّة قرون من نزول التوراة والإنجيل، عمل وفقاً لدينك الكتابين اللذين شرّعاً بعده، وكان يعمل وفقاً لهما! وإن كان لا يستعبد القول: أنه عليه السلام كان عالماً بالشريعة اللاحقة وله اطلاع بها.

رأى العلامة الطباطبائي رضى الله عنهما صاحب تفسير الميزان:

يمكن تلخيص رأى المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي فى عدّة نقاط:

١- أن هذه المناظرة كانت محصورة بين اليهود والنصارى فقط.

٢- أن اليهود والنصارى احتجوا بنوعين من المحاجّة والمناظرة:

الف- استدلال علمى ومنطقى؛ حيث إن القرآن الكريم يقول بصحّة مثل هذه المحاجّة والاستدلال.

ب- احتجاج غير عقلاى واستدلال غير منطقى.

أسلوب الاحتجاج العلمى لليهود والنصارى:

كان النصارى يقولون لليهود- الذين يدعون أن دينهم وكتابهم أبدى ولا سبيل إلى نسخه: لقد نُسخَتِ التوراة بنزول الإنجيل، الذى يبيّن شريعة عيسى عليه السلام، ويجب على أتباع الدين السابق الإيمان بالدين اللاحق، ويعدوه دينهم الحقّ هذا أولاً. وثانياً: إن عيسى النبىّ كان طاهراً، وإن مريم عليها السلام سيده طاهرة وعفيفة.

وبالمقابل، فإنّ اليهود خاطبوا النصارى بقولهم: أنتم على باطل؛ لاعتقادكم بالتثليث، وقولكم المسيح ابن الله.

ص: ١٧

الاحتجاج غير العقلاني والاستدلال غير المنطقي:

إن المناظرة غير العقلانية لكل منهم تتمثل بقولهم: «إن إبراهيم الخليل عليه السلام منّا»، ولذا من البديهي أن يكون ذم القرآن وتوبيخه لهم في هذا المحور فقط؛ لأن مثل هذه المناظرة لا تستند إلى برهان عقلي، ولا يوجد أيضاً في كتابهم السماوي حديث بهذا الخصوص، لكي تستند مناظراتهم إلى الوحي.

يقول القرآن الكريم بهذا الخصوص: «أتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارهُ من علم إن كنتمصادقين» (١).

أما كون المسلمين يعدّون النبي إبراهيم الخليل عليه السلام منهم، فلاّتهم يستندون في ذلك على القرآن الكريم، الذي بين قصّته عليه السلام وقصّة أتباعه.

وبناءً على ذلك، فلم تحاجون وتناقشون فيما ليس لكم به علم واطلاع، وهذه كتبكم لا تحتوى على مطلبٍ حول النبي إبراهيم الخليل عليه السلام يدلّ على ارتباطه بكم؟! (٢) تحليل مقولة الميزان:

إن حديث المرحوم الأستاذ العلامة الطباطبائي مقابل غيره من المفسّرين، وإن كان عميقاً وقابلًا للمناقشة والتأمل، ولكن من الصعب أولاً: إثبات أن احتجاجهم كان محصوراً بينهم، وأن ذلك يستفاد من ظاهر الآيّة، وثانياً: أن قوله: إن اليهوديّة أقامت الحجّة العلمية على المسيحيّة، يمكن أن يكون تاماً ومحل ثناء وتقدير، لو كانت الحجّة في غير محور الثقلين، ونبوّة السيد المسيح عليه السلام؛ لأنّه بإمكان المسيحيّة أيضاً، إقامة الحجّة على اليهود، حول قولهم: إنّ عزيز ابن الله «وقالت اليهود عزيز ابن الله» (٣).

، وبناءً على ذلك، فإن الطائفة المبتلاة بالشرك لا يمكنها محاجة الطرف المقابل في موضوع الشرك.

١- ١ الأحقاف: ٤.

٢- ٢ الميزان ٣: ٢٧٦.

٣- ٣ التوبة: ٣٠.

ص: ١٨

ولكن احتجاج المسيحية على اليهود المستند إلى نسخ الكتاب السابق بواسطة الكتاب اللاحق، احتجاج حق وصحيح. رأى الزمخشري:

يعتقد الزمخشري بأن الله - تعالى - يحقر المتحاججين في كلا الموردین ويوبخهم. وهو يفسر قوله تعالى «ها أنتم هؤلاء» على هذا النحو:

«ها أنتم هؤلاء الجهلاء قد حاجتكم فيما لكم به علم، وتحدث حوله كتابكم أيضاً، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، ولم يرد في التوراة والإنجيل كلامٌ حوله!؟».

تناسب ظاهر الآية مع بيان الزمخشري:

بما أن الجملة تبدأ بحرفى تنبيه (ها أنتم هؤلاء) - اللذين وضعوا لتحذير الغافل - فهى إذن أنسب للدلالة على التحقير. إضافة لذلك، هناك آية أخرى فى القرآن الكريم، استعملت فيها (هاء) التنبيه للتحقير؛ كما هو الحال فى قوله تعالى:

«ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله» (١)

؛ كالذى يعد نفسه للامتحان فى كتاب لم يطالعه، ولما ينجح فى الكتاب الذى قرأه. يقال له هنا: إنك لم تفلح فى الخروج مرفوع الرأس من امتحان الكتاب الذى طالعه، فأنى لك أن تمتحن فى كتاب لم تقرأه!؟

ولذا يقال لأهل الكتاب: ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم، وتحدث به كتابكم عن موسى وعيسى ورسول الله - عليهم صلوات الله - وفشلتكم، فكيف تحاجون فى شريعته لا اطلاع لكم بها اطلاقاً، ولم يرد لها ذكرٌ فى كتابكم.

«ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً...» (٢).

١- ١ محمد: ٣٨.

٢- ٢ آل عمران: ٦٧.



ص: ١٩

في هذا الجزء من الآيه، نلاحظ وجود عدّة جمل سلبية، وجملّة واحدة اثباتية؛ ففي الجزء السلبي منها، تبين إبراهيم على أنه منفصل عن اليهودية والنصرانية، وتنفي ارتباطه عليه السلام بهاتيك المجموعتين؛ لأنه أولاً: مثل هذا الدين الممتزج بالتحريف، ينفر منه حتّى موسى وعيسى عليهما السلام وثانياً: مع أنّ الديانتين اليهودية والنصرانية الأصليتين حقّ، إلّا أنّ إبراهيم الخليل عليه السلام لم يعمل بتعاليم دين نزل فيما بعد. أما جملتها الإثباتية فهي: إن إبراهيم عليه السلام يعدّ مسلماً مستقيماً.

عظمة إبراهيم بين أهل الكتاب:

بما أنّ اليهود والنصارى، لم يكن بوسعهم إنكار حقّ إبراهيم الخليل الذي تحدّثت بعظمته الكتب السماوية؛ مثلصحف إبراهيم والقرآن الكريم، فإن كلّاً منهما كان ينسب الخليل عليه السلام له، ويصفه على أنه يهودى أو مسيحي.

ولكن القرآن الكريم يشطب على جميع هذه الأوهام بخطّ البطلان، وينفي انتسابه عليه السلام لليهود والنصارى «ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين».

ادّعاء اليهود والنصارى بالأنبياء الإبراهيميين ورأى القرآن بذلك:

ناهيك عن ادّعاء اليهود والنصارى بانتساب إبراهيم إليهم، فإنهم ذهبوا إلى القول بانتساب بقيّة الأنبياء الإبراهيميين إليهم، وقالوا: إنهم يهودٌ أو نصارى، ولذلك فإنّ القرآن الكريم، بين وجهة نظره بقيّة الأنبياء الإبراهيميين على هذا الأساس: «أم تقولون إنّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله...» (١).

ص: ٢٠

بحث لغوي:

«الحنيف»؛ يعنى المائل إلى الوسط، والمستقيم الذى يراد به الميل إلى الحق؛ فالذى يسير فى الشارع مثلاً، ويسعى للابتعاد عن الرصيف والانتقال إلى الوسط، يقال عنه «حنيف»، ويقال كذلك عن الذى رجله مستقيمة ومائلة إلى الوسط بأنه «أحنف»، ولذلك ومن باب «تسمية الشيء باسم ضده» يقال عن الذى اعوجت رجله وانحرفت: بأنه «أحنف»؛ كما يقال عن الأعمى (بصير).

حنيفية المشركين:

إنّ القرآن الكريم، ومن أجل الفصل بين الحنيفية بمعناها الأنف الذكر، والحنيفية المتداولة بين المشركين، فقد قيدها بكلمة «مسلماً»؛ لأنهم كانوا يؤدّون مناسك الحجّ والزيارة، مع كونهم مشركين، ولهذا السبب فقد كانوا يسمونهم حنفاء (١). ولذا ينفى القرآن نصفة الشرك الموجودة عند اليهودية والنصرانية عنه عليه السلام فى نهاية الآية من باب التأكيد. «وما كان من المشركين».

إبراهيم عليه السلام مسلم:

بعد أن سلب القرآن الكريم اليهودية والنصرانية عن إبراهيم الخليل، فقد قال عنه: إنه مسلم «ولكن حنيفاً مسلماً».

معنى الإسلام:

تطلق كلمة الإسلام أحياناً بمعناها الشائع والمتعارف عليه- الذى يشمل الأصول والفروع وما جاء به خاتم الأنبياء- وأحياناً يراد بكلمة الإسلام الخطوط العامة والأصول الأساسية، ويذكر بهذا المعنى فى المصطلح القرآنى، وإن

١-١ ورد فى مكان آخر أنه لو لم يكن قيد «مسلماً» موجوداً، فإن الموضوع كان واضحاً أيضاً، وإنما جاء القيد لغرض التوضيح ليس ألاً.

ص: ٢١

بعض الآيات وردت بلحاظ هذا المعنى، مثل قوله تعالى: «إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» (١). المراد بكون إبراهيم عليه السلام مسلماً:

أما كون المسلمين يعدون إبراهيم الخليل عليه السلام مسلماً، وينسبونه لهم في مناظراتهم، فإنَّ السبب في ذلك يعود أولاً: إلى أنهم يستظهرون سيرته عليه السلام من كتابهم السماوي. ويعود ثانياً: إلى أن مرادهم من كلمة الإسلام هو أنه عليه السلام منسجم ومتطابق مع الدين الإسلامي في الخطوط الأصلية والأصول الأساسية، وإن كان عليه السلام متطابقاً مع الخطوط العامة للتوراة والإنجيل أيضاً، ولكن بما أن دينك الكتابين ابتلياً بالتحريف وبقي القرآن مصوناً منه، لذا يمكننا أن نقول:

إنَّه عليه السلام وبقية الأنبياء الإبراهيميين يتوافقون مع أصول القرآن ودين المسلمين.

«إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ» (٢).

ارتباط ثلاثة مجاميع بسيدنا إبراهيم:

بعد أن نفت الآية الكريمة في الجزء السابق، ارتباط سيدنا إبراهيم باليهود والنصارى، ونفت كذلك انتساب وارتباط تلك

المجموعتين به، فقد قدّمت ثلاثة مجاميع على أنهم ورثته وأتباعه:

١- المؤمنون به من الذين عاصروه واتبعوه ونصروه «لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ».

٢- خاتم الأنبياء «وهذا النبي».

٣- المؤمنون بخاتم الأنبياء «والذين آمنوا».

١- ١ تطرقنا إلى شرحه بالتفصيل آخر الآية.

٢- ٢ آل عمران: ٦٨.

ص: ٢٢

البحث الأدبي والتفسيري الصحيح:

قرأ البعض «هذا النبي» على النصب، وفسروه بهذا المعنى «أن أولى الناس بإبراهيم، للذين اتبعوه وأتباع خاتم الأنبياء». إلّا أنه ناهيك عن عدم تناسب هذه القراءة مع ظاهر الآية، فإن عبارة «والذين آمنوا» ستلغى أيضاً.

وبناءً على ذلك، فإن قراءة الرفع هي الأرجح.

القرآن واحترام خاتم الأنبياء:

بما أن القرآن الكريم ينظر باحترام خاص للسيد الخاتم صلى الله عليه وآله، ويرى أنه أعظم من أن يكون تابعاً لأحد، لذا فإنه عندما يذكر الأنبياء الإبراهيميين، يخاطبه بالقول: «فبهدهم اقتده» (١).

. إلّا أنه يخاطبهم ويخاطب المسلمين أيضاً للاقتداء بملة إبراهيم عليه السلام: «... ملّة أبيكم إبراهيم هو سماءكم المسلمين...» (٢).

نوح عليه السلام من أول الدعاء إلى التوحيد:

يعدّ نوح عليه السلام أول نبي صاحب كتاب وشريعة، وحصل على لقب شيخ الأنبياء. لذا عدّه القرآن الكريم من أول الدعاء إلى

التوحيد، ويسلم عليه بكل عظمة وإجلال، ويقول: «سلامٌ على نوح في العالمين» (٣).

، حيث لم يرد مثل هذا التعبير بحق باقي الأنبياء، كما في قوله تعالى: «سلامٌ على موسى وهارون» (٤).

، «سلامٌ على إبراهيم» (٥).

النبي نوح عليه السلام مؤسس التوحيد الإبراهيمي:

بعد ذلك عدّ القرآن الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام من أتباع نوح عليه السلام، وأنّ التوحيد الذي وضع أسسه نوح - سلام الله عليه - أساسٌ لدين إبراهيم، كما في

١- ١ الأنعام: ٩٠.

٢- ٢ الحج: ٧٨.

٣- ٣ الصافات: ٧٩.

٤- ٤ الصافات: ١٢٠.

٥- ٥ الصافات: ١٠٩.

ص: ٢٣

قوله تعالى: «وإن من شيعته لإبراهيم» (١)

. أي «وإن من شيعته نوح إبراهيم الخليل - سلام الله عليه».

معنى الشيعة:

يسمى الشيعة «شيعة»؛ لأن رشحات الشيعة تشيع وتنتشر، على أثر أتباع مجموعته ما لصاحب تلك الشيعة.

ولاية الله أساس أتباع الأنبياء:

وتذكر الآية الكريمة في نهايتها، السبب في جعل سيدنا إبراهيم عليه السلام محوراً:

تمتعه بالولاية الإلهية، حيث تقول الآية الكريمة: «والله ولي المؤمنين»، ويتضح من ذلك أنه عليه السلام وأتباعه، وأن خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله والمسلمين، يعدون من المصاديق الواضحة للمؤمنين، وأن امتلاك سيدنا إبراهيم لمثل هذا المقام، يعود إلى تمتعه بإيمان الولاية الإلهية الشامل الذي حباه الله تعالى به.

صفات أتباع إبراهيم عليه السلام:

من أراد أن يكون من أتباعه عليه السلام، عليه أن يتخذ أسوة له، ويعمل وفق تعاليمه؛ «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه» (٢).

البراءة من المشركين:

من جملة واجبات اتباع سيدنا إبراهيم عليه السلام، الوقوف بوجه الطواغيت، وإعلان البراءة من معتقدات المشركين، كما قال هو عليه السلام والذين آمنوا به: «إنا براءؤا منكم»، والافتداء به عليه السلام في قضية البراءة من الطواغيت والمشركين،

١-١ الصافات: ٨٣.

٢-٢ الممتحنة: ٤.

ص: ٢٤

كأقندائهم به في الجانب الإيجابي من الاقتداء أي المولاه، كمناسك الحج والزيارة.  
إثبات الإمامة في نهج البلاغة:

الآية الكريمة: «إن أولى الناس بإبراهيم» من جملة الآيات التي استفاد منها أمير المؤمنين عليه السلام لإثبات حقه كما ورد في نهج البلاغة، وجعلها محوراً لاستدلاله على هذا الأمر.

نموذجان من كلام الإمام عليه السلام:

النموذج الأول: عبارة عن الكتاب الذي أرسله الإمام عليه السلام إلى معاوية، حيث استنطق فيه سمة من فضائل أهل البيت. ويقول عليه السلام أيضاً: «إن قوماً يقتلون في جهات القتال، ولكن قتلنا يحظى بلقب «سيد الشهداء»، وإن قوماً قطعت أيديهم في المعارك، حتى إذا قطعت يد أحدها، بلغ مقام «الطيار في الجنة» و «ذو الجناحين».

صلة الرحم وطاعة النبي عاملا تثبيت الخلافة:

يقول عليه السلام في نهاية الكتاب: «فإسلامنا قد سيمع، وجاهليتنا لا تدفع، وكتاب الله يجمع لنا ما شدّ عنا؛ أي: إن سوابقنا ولو احقنا واضحه، وآيات القرآن الكريم جمعت ما شدّ عنا؛ وهو قوله سبحانه وتعالى: «... وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله...»

(١)

، وقوله تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا». وطبقاً لما جاء في هاتين الآيتين، نحن أولى بالإمامة والخلافة لو كانتا على أساس القرابة. وإن كانتا على أساس الطاعة والاتباع، فنحن أولى بالأمر أيضاً، وإننا أقرب إلى النبي في كلتا الحالتين، فنحن

ص: ٢٥

مرّة أولى بالقرابة وتارة أولى بالطاعة.

بناءً على ذلك وطبقاً لما جاء في الآية الأولى، فنحن أقرب إلى النبي وأنتم أبعد، ولما جاء في الآية الثانية، نحن المطيعون وأنتم العاصون.

النموذج الثاني:- ورد في باب حكمه عليه السلام: «إن أولى الناس بالأنبياء، أعلمهم بما جاءوا به».

وقد جاءت كلمة «أعلمهم» بدل «أعلمهم» في بعض النسخ والكتب التفسيرية، ولكن استفاد من القرائن المستحصلة، بأن أعلمهم هي الصحيحة، لأن المراد من كلمة العلم، في كلامه عليه السلام، ليس خصوص العلم النظري؛ لكي يتسنى لأولئك الذين يقرءونها أعلمهم أن يستندوا في ذلك إلى مطابقتها الرواية مع الآية القائلة بجعل التبعية العملية هي المحور الأساس. بل إن كلمة العلم يصطلح بها- أيضاً- على من ينسجم عمله مع قوله؛ كما جاء في إحدى الروايات: «العالم منصدق قوله فعله»، وكذلك قوله تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»؛ هذه الآية والرواية تدلان على هذه المسألة دلالة واضحة؛ لأن الخوف مرحلة «عملية» ترتبط بالعقل العملي، ولا علاقة له «بالعقل النظري».

بعد ذلك يقول الإمام على عليه السلام في استنطاق الآية الشريفة: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي»؛ يقول: «إن ولي محمد صلى الله عليه وآله من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وعدوّ محمد صلى الله عليه وآله من عصى الله وإن قربت قرابته». وبناءً على ذلك، فإن الإمام يبيّن للجميع، أنه من كان مطيعاً للنبي صلى الله عليه وآله فهو من أقربائه وأوليائه وإن بعدت لحمته. وعدوّه من عصاه ولم يطع أوامره، وإن كان من أقربائه ولحمته.

ص: ٢٦

الهوامش:

**الحج في السنه**



ص: ٢٧

الحج في السنة

واعظ زاده الخراساني

الحج والعمرة في اللغة يعنيان القصد والذهاب إلى مكان معين للزيارة (١)، غير أن العرب أطلقت اللفظين - حتى قبل الإسلام - على نوعين من العبادة والزيارة لبيت الكعبة. والقرآن استعمل اللفظين مراراً بهذا المعنى الشائع لهما كقوله تعالى: «وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ»

(٢)

. من هنا فإن المعنى الشائع لهذين اللفظين ليس «حقيقة شرعية» ولا هو اصطلاح شرعي إسلامي كما تصوّر البعض ذلك.

كلمة «الحج» - بكسر الحاء - في الآية: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (٣)

وكذلك كلمتا «حَجَّ» و«اعْتَمَرَ» في الآية: «فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ» (٤)

تدلّ جميعاً على أن الحج والعمرة بمعناهما الشائع اليوم كانا

١ - ١ في القاموس وأقرب الموارد، إحدى معاني الحج القصد، وكثرة التردد، يقول صاحب أقرب الموارد حجّ فلاناً حجاً: قصده، وبنو فلان فلاناً: إذا أطالوا الاختلاف إليه، أي يقصدونه ويوزرونه. هذا أصله، ثم تُعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك. الحجّ بالكسر لغة في الحج، وقيل بالكسر الاسم وبالفتح المصدر، ويقول في العمرة: اسم من الاعتمار، وهي لغة: القصد إلى مكان عامر والزيارة التي فيها عمارة الودّ، وشرعاً أفعال مخصوصة تسمى بالحج الأصغر....

٢-٢ البقرة: ١٩٦.

٣-٣ آل عمران: ٩٧.

٤-٤ البقرة: ١٥٨.

ص: ٢٨

موجودين في اللغة العربية قبل الإسلام.

السورة ٢٢ من القرآن تحمل اسم الحج، ويطلق أحياناً على الحج اسم «الحج الأكبر» وعلى العمرة اسم «الحج الأصغر» لمناسبة ما ورد في الآية:

«وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ» (١)

، مع أن هذا اليوم موضع اختلاف بين أن يكون يوم عرفة أي يوم التاسع من ذي الحجة (٢)، أو يوم النحر أي يوم العاشر منه. توافرت الروايات عن طريق الفريقين أن الحج من دعائم الإسلام، وأنه واحد من الأسس الخمسة التي بنى عليها الإسلام وهي: الشهادتان، والصلاة، والصوم، والحج (٣)، وفي الروايات الشيعية ذكر اسم ولاية أهل البيت مكان الشهادتين (٤) في آخر الأسس الخمسة.

إحدى الروايات النبوية (٥) تصف كل واحد من أركان الدين بوصف معين، فتصف الصوم أنه جنة، والزكاة أنه مطهر للأموال، والجهاد بأنه عز الإسلام، وتصف الحج بأنه الشريعة، دلالة على أهمية هذه العبادة حتى كأنه الشريعة بأجمعها.

أهمية فريضة الحج في الإسلام تبلغ درجة بحيث إن تركها في لسان القرآن كفر: «ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» (٦). وفي الجواب عن السؤال بشأن (الأهله) يذكر القرآن الحج بشكل منفصل، إلى جانب مواقيت سائر الأعمال والعبادات فيقول: «يسألونك عن الأهله قل هي مواقيت للناس والحج» (٧).

يمكن دراسة الحج على أربعة أصعدة: القرآن، والسنة، والفقهاء، وعمل المسلمين، وواضح أن البحث الوافي والكامل لكلصعيد لا يمكن أن ينفصل عن بقية الأصعدة. غير أننا نستهدف دراسة الحج عليصعيد السنة، ولا بد قبل ذلك من استعراض سريع لآيات الحج.

١-١ التوبة: ٣.

٢-٢ الكافي ٤: ٢٦٥ عن قول الصادق: الحج الأكبر الوقوف بعرفة ورمي الجمار، والحج الأصغر العمرة، في بحار الأنوار، ط كمانى ١: ٧٤ روايات بهذا المضمون، ورواية بأنه يوم النحر ورواية في رد قول ابن عباس تشرح أنه يوم النحر لا يوم عرفة، جامع الترمذى ٤: ١٦٢ ويقال للحج الأكبر: يوم النحر، وللحج الأصغر: العمرة.

٣-٣ صحيح البخارى ١: ٩.

٤-٤ فى جامع أحاديث الشيعة ١: ٤٦١ وما بعدها، روايات عديدة بطرق وألفاظ مختلفة عن الرسول الأعظم وأئمة أهل البيت، هذه الرواية فى دعائم الاسلام ١: ٢ كالتالى: بنى الاسلام على سبع دعائم: الولاية، والطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد.

٥-٥ جامع أحاديث الشيعة ١: ٤٧٥ نقلًا عن خصال الصدوق وعلل الصدوق.

٦-٦ آل عمران: ٩٧.

٧-٧ البقرة: ١٨٩.

ص: ٢٩

عرض لآيات الحج في القرآن:

الآيات المرتبطة بالحج والكعبة تبلغ ثلاثين آية ووردت في خمس سور هي: البقرة ١٣ آية (١) وآل عمران: ١٢ آية (٢)، والمائدة: ٤ آيات (٣)، والتوبة:

٣ آيات (٤)، والحج: ٨ آيات (٥). هذا إلى جانب آيات سورة البقرة بشأن القبلة (٦)، وحرمة القتل في الحرم (٧)، وإلى جانب آيات سورتي «الفيل» و«إيلاف» التي ترتبط بالكعبة بشكل من الأشكال.

المواضيع التي تناولتها الآيات حول الحج بالتفصيل حيناً، وبالإجمال حيناً آخر عبارة عن: بيت الكعبة أول معبد، وبناء البيت بيد إبراهيم وإسماعيل، ودعوة إبراهيم للناس بالحج، والآيات البيّنات ومقام إبراهيم، وكون الحرم آمناً، ووعد الله للمسلمين بدخول المسجد الحرام، ووجوب الحج على المستطيع، ووجوب إتمام الحج والعمرة لله، وأشهر الحج، وبعض محرمات الإحرام، والحج الأ-كبر، وسقاية الحاج، والطواف وصلاته، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف في المشعر الحرام والإفاضة من المشعر وعرفات، والحلق والتقصير، وذكر اسم الله على الهدى بدل اسم الأوثان، وأكل الأضحية والتصدق بها، وحكم المعذور عن الحج، والتكبير في أيام منى ومقدار الوقوف فيها، وحرمة الصيد في الحرم وكفارته، وحرمة صيد البحر، وحرمة الشعائر والقلائد، والأشهر الحرم وتعظيم الشعائر الإلهية، وجواز الهجوم في الحرم على من يصد الناس عن الحج، كما تتضمن إشارة إلى فلسفة الحج كما في الآية: «ليشهدوا منافع لهم» (٨).

لو ألقينا نظرة سريعة على آيات الحج في القرآن الكريم لاستخلصنا منها المسائل التالية:

١- الكعبة والحرم والمشاهد المقدسة، وهكذا أعمال الحج ومناسكه ذكريات بقيت عن عهد إبراهيم الخليل جد الرسول الأكرم، واستمرت ما يقارب

١- البقرة: الآيات ١٢٥-١٢٩، ١٥٨، ١٨٩، ١٩٦-٢٠١.

٢- آل عمران: ٩٦ و ٩٧.

٣- المائدة: ٩٤-١٠٧.

٤- التوبة: ٣ و ١٩ و ٣٧.

٥- الحج: ٢٦-٣٠ و ٣٢-٣٤.

٦- البقرة: ١٤٢-١٤٥ و ١٤٧-١٥٠.

٧- البقرة: ١٩١-١٩٤.

٨- الحج: ٣٨.

ص: ٣٠

من ألفى عام بين أبناء إسماعيل والعرب، لكنها انحرفت وتغيرت بالتدريج، وهذه المناسك التوحيدية المعبره عن الخلوص لله الواحد الأحد، قد تلوّثت بالشرك والوثنية، وتبدل بيت التوحيد إلى بيت للأصنام.

نفهم من القرآن أن سيدنا إبراهيم دعا الناس - لأول مرة بأمر ربّه- إلى الحج، وذكرنا أن كلمتي الحج والعمرة كانتا شائعتين قبل الإسلام، من هنا فالحج ليس عبادة فحسب، بل رسالته ودعوة، والعمل به تلبية لتلك الدعوة، والتلبية في الحج إجابة لدعوة الله في الميثاق الأزلي، ودعوة شيخ الأنبياء إبراهيم معاً.

٢- نظراً لعراقته مناسك الحج، فإن آيات الحج إما أن تكون قبولاً، أو رفضاً للمناسك الشائعة بين العرب قبل الإسلام. فلم يتحدث القرآن عن الحج بلغة التأسيس والإنشاء دون الالتفات إلى تاريخه، كما تحدث عن سائر العبادات.

من هنا فإن فهم كثير من آيات الحج يحتاج إلى فهم تاريخه وسابقته، وهذا ما نجده في محتويات السنة، وفي الروايات والأحاديث الواردة بشأن الحج. أي أن الروايات الواردة عن الرسول والصحابه وأئمة آل البيت تتحدث عن مراسم وآداب الجاهلية في بعض أعمال الحج، من خلال تفسير الآيات المرتبطة بتلك الأعمال.

٣- نستطيع أن نفهم مما تقدّم سبب عدم بيان كيفية مناسك الحج والعمرة بالترتيب في القرآن الكريم. سائر العبادات طبعاً لم تُذكر أيضاً تفصيلها في القرآن الكريم، بما في ذلك الصلاة التي هي عمود الدين. بل ذكر القرآن مسائلها العامة تاركاً للسنة ذكر التفاصيل، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

إضافة إلى هذه القاعدة العامة الشاملة لكل العبادات، هناك مسألة خاصية بالحج. فالقرآن استند إلى فهم الناس لأعمال الحج في العصر الجاهلي، واكتفى

ص: ٣١

بالإشارة إلى نقاط الانحراف في تلك المناسك الجاهلية. لذلك فإن الحاجة ماسة إلى السنة في تعيين التفاصيل، وتشخيص المواضع والأمكنة داخل مكة وخارجها بما في ذلك مواقيت الإحرام. ولا تبلغ عبادة في حاجتها إلى السنة مبلغ هذه العبادة.

٤- مع أن القرآن ذكر في مواضع عديدة إشارة أو تصريحاً أكثر مناسك الحج وأعماله، فبعض أجزاء الحج ليس لها ذكر في القرآن، وسندها الوحيد نجده في السنة، مثل: استلام الحجر، ورمي الجمار، أو ترتيب الحج والعمرة والتفاوت بينهما، وأحكام الخلل والشكوك وكفارة كثير من المحرمات وأمثالها. ولندخل الآن فيصلب الموضوع لدراسة الحج في السنة.

ما هي السنة؟

السنة في اللغة الطريقة والأسلوب، وفي عرف المسلمين سنة رسول الله، ويعبر عنها وعن القرآن الكريم بالكتاب والسنة. وهذا الاقتران بين الكتاب والسنة باعتبارهما مصدرين أساسيين للإسلام، ورد على لسان الرسول الأعظم، وكان شائعاً دون شك في عصر الرسول (١). فحديث الثقلين في أكثر مصادر أهل السنة والشيعة ورد بعبارة «كتاب الله وعترتي» لكنه ورد في بعض مصادر أهل السنة بلفظ «كتاب الله وسنتي» وإلى هذا اللفظ الأخير استند كثير من الكتاب والمفكرين من أهل السنة في كتاباتهم وأحاديثهم، ناسين عبارة «كتاب الله وعترتي» (٢) بينما تمسك الشيعة بهذه العبارة التي بلغت حد التواتر في كثرة روايتها.

غير أن تعبير «الكتاب والسنة» شائع على لسان الشيعة في مصادرهم الحديثية والفقهية مثلما هو شائع في المصادر السنية باعتبارهما مصدرين

١- ١ شواهد ذلك في سنن الدارمي ١: ٤٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠.

٢- ٢ مصادر هذا الحديث تجدها في مفتاح كنوز السنة، كلمة عتره، المراجعات: ٢٢- ورسالة حديث الثقلين للشيخ قوام الدين الوشوى القمي- وجامع أحاديث الشيعة ١: ٢٢- ٣٥ و ١٨٦ وما بعدها، فيص ٢٢ ذكر أن هذا الحديث منقول عن ٣٤ صحابي وصحابة وأكثر من ١٨٠ من أكابر أهل السنة إضافة إلى الشيعة، وفيص ٢٠٤ ذكر اسم هؤلاء الأفراد نقلًا عنصاحب كتاب «العبارات».

ص: ٣٢

أساسيين للشريعة (١). ففي الكافي للكلينى باب تحت عنوان «باب الردّ إلى الكتاب والسنة، وأنه ليس شيء من الحلال والحرام، وجميع ما يحتاج الناس إليه إلّا وقد جاء فيه كتاب أو سنة» (٢) وباب آخر تحت عنوان «باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب» (٣). وثمة روايات عن الإمامين الصادق والباقر مضمونها أن:

«ما من شيء إلّا وفيه كتاب أو سنة».

جميع الفرق الإسلامية تؤمن بأنّ الكتاب والسنة مصدران أساسيان من مصادر الفقه، وتجمع عليهما، وإن اختلفت في أصول الفقه الأخرى.

السنة باعتبارها طريقة الرسول وسيرته قُسمت بالتدريج إلى القول والفعل والتقريب. أى إنّ كلّ قول أو فعل صدر عن الرسول، ويُبنى بحكم من الأحكام التكليفية أو الوضعية على صعيد الأعمال الفردية والاجتماعية والعبادية ولو بالإيحاء والإشارة المعبرة، أو السكوت ذى المعنى، هو سنة، وقابل للاستناد إليه. ومن هنا نستطيع أن نقول: إنّ كلّ حياة الرسول بعد النبوة بما فى ذلك الحركة والسكون والإقدام والامتناع والقول، والسكوت المفيد لحكم حسب القواعد المقررة فى علم الأصول، هى سنة قابلة للتأسى بها، ومصدق الآيه الكريمة:

«ولكم فى رسول الله أسوة حسنة» (٤)

؛ ولذلك اهتم المسلمون بتفصيل أعمال وأقوال وسيرة الرسول وحفظها فى الصدور، ثم تدوينها ونقلها من جيل إلى جيل. وبين أيدينا اليوم كنوز قيمة، ومجاميع واسعة نفيسه فى سنة الرسول هى كتب السنن وجوامع الحديث، التى هى حصيلة الجهد العلمى لعلماء المذاهب الإسلامية المختلفة. هذا وإنّ جرح الأحاديث الواردة فى هذه الكتب وتعديلها وقبولها أو رفضها يحتاج إلى تخصص فى عدد من الفروع العلميه. وهذه الفروع العلميه هى أيضاً حصيلة الجهود العلميه لعلماء الحديث. مصطلح السنة الذى كان أساساً يطلق على سنة رسول الله اتسع فيما بعد،

١-١ جامع أحاديث الشيعة ١: ١٢٦، عن أبى عبد الله عليه السلام: إنا إذا لقينا ربنا قلنا يا ربنا عملنا بكتابك وسنة نبيك، ويقول القوم برأينا، وعنه: إنا لا نعدل بكتاب الله وسنة نبيه.

٢-٢ الكافي ١: ٥٩.

٣-٣ الكافي ١: ٦٩.

٤-٤ الأحزاب: ٢١. انظر الى آيات حجيه سنة النبي فى جامع أحاديث الشيعة ١: ١٢٠ وما بعدها.

ص: ٣٣

وأضحى يشمل عند أهل السنة أقوال الصحابة الذين يثقون بعدالتهم وقد استهم واجتهادهم. وأصبح قول مثل هؤلاء الصحابة تعبيراً عن قول الرسول. وفي مقابلهم وسع الشيعة وأتباع مدرسة آل البيت مفهوم السنة مستندين إلى حديث الثقلين وإلى أدلة أخرى، لتشمل أقوال وأفعال أئمة آل البيت المعصومين الوارثين لعلم الرسول. ولم يفرقوا عملياً بين سنة الرسول وسنة الإمام. وعلى أي حال، كل فريق يطلق كلمة السنة على الأحاديث والروايات المعتبرة لديه الدالة على سنة الرسول، ولو أنها كانت قول الصحابي أو فعله (أو قول الإمام أو فعله عند الشيعة)، التي يطلق عليها اسم السنة الحاكية، مقابل ما يسمى بالسنة المحكية وهي: السنة الواقعية لرسول الله أو الإمام.

نقصد بالسنة هنا المعنى العام الشائع لها عند الفريقين، ونستهدف تقديم تصور عن أعمال الحج ومناسكه في الروايات والأحاديث الإسلامية، أو كتب السيرة والتاريخ، التي توضح بأي حال أقوال الرسول وأفعاله في الحج، بما في ذلك آثار أهل السنة المعتبرة، أو الشيعة الإمامية والزيدية والإسماعيلية. وسنحصر البحث في إطار السنة، ولا نتطرق إلى المباحث القرآنية والفقهية ذات العلاقة الأساسية بمباحث السنة، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك.

جولة في أحاديث الحج:

الرجوع إلى جميع المصادر الحديثية الموثقة عند المسلمين، ليس بالأمر اليسير، ولا بمقدور هذا البحث المحدود أن يستوعب ذلك. لذلك لابد من الاختصار على كتب معينة. فمن كتب أهل السنة نرجع إلى الصحاح السنة، أيصحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي، وجامع الترمذي، وسنن أبي داود، وابن ماجه، إضافة إلى السنن الكبرى للبيهقي وسنن الدارمي.. وإلى طبقات ابن سعد

ص: ٣٤

وموطاً مالك ... وإلى تاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام. ومن كتب الشيعة الإمامية: الكافي للكليني، والتهذيب للشيخ الطوسي، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، ووسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي، والوافي للفيض الكاشاني، ومن الزيدية، مسند زيد بن علي، ومن الإسماعيلية، دعائم الإسلام للقاضي النعمان، ونرجع أيضاً عند الضرورة إلى مصادر أخرى. سنستعرض أولاً الموضوعات العامة للحج، وأحاديثه في هذه الكتب، وتجنباً للإطالة نركز البحث بعدها على أحاديث حجة الوداع. نستطيع تقسيم محتويات أحاديث الحج إلى عدّة موضوعات:

١- موضوعات غير فقهية لها علاقة بالكعبة ومكة والحج مثل: خلق أرض الكعبة وامتداد الأرض منها (دحو الأرض)، وبدء بناء الكعبة، وحج آدم، وإبراهيم، وإسماعيل، وسائر الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الحجر الأسود، وسبب الحثّ على استلامه، وارتباط هذا العمل بمسألة عالم الذر، وأخذ الميثاق من الناس، وامتحان الخلائق عن طريق الكعبة، وأسرار الحج وعلل أعماله، وقصة أصحاب الفيل، وحفر زمزم، وهدم الكعبة وتجديد بنائها، وأمثال ذلك، المتوفرة في روايات الشيعة المجموعة في الكافي (١)، ومن لا يحضره الفقيه (٢)، وبحار الأنوار (٣)، أكثر من كتب أهل السنة، وتحكى بشكل عام عن علاقة الحج بإبراهيم وإسماعيل. هذا عرض لمواضيع الحج التي لا ترتبط كثيراً بالجانب الفقهي له، وهذه الموضوعات قلما نجدتها في الكتب الحديثية المقتصرة على السنن والأحكام، مثل التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي ووسائل الشيعة، وجامع أحاديث الشيعة، ومستدرک الوسائل من كتب الشيعة، وفي الصحاح والسنن - غير صحيحى

١- ١ الكافي ٤: ١٨٤ وما بعدها.

٢- ٢ من لا يحضره الفقيه ٢: ١٣٤ وما بعدها.

٣- ٣ بحار الأنوار، ط كمياني ٢١: ٦ وما بعدها.



ص: ٣٥

البخارى وجامع الترمذى اللذين لا يختصان بالسنن - من كتب أهل السنة المعتمدة، لكن كتب التفسير والتاريخ مفعمة بهذه الموضوعات.

٢- الموضوعات التي تُشكّل مقدمة لسفر الحج مثل: آداب السفر، وآداب تربية الراحلة المذكورة غالباً في بداية كتب الحج أو في نهايتها، وهكذا آداب زيارة النبي، والمزارات الشريفة، وسائر الأماكن المقدسة، المذكورة غالباً في نهاية أكثر هذه الكتب.

٣- أحكام الحج التي هي موضوع بحثنا. القسم الأعظم من روايات الحج في كتب أهل السنة تتضمن شرحاً لأعمال وأقوال الرسول الأكرم في حجة الوداع، وأحياناً في عمره الحديبية، وعمره القضاء، وفتح مكة، أو بشكل عام أحكام الحج دون ذكر الزمان والمكان. أما الكتب الحديثية للشيعة فتتضمن عرضاً لحجة الوداع - كما سيأتي - وباباً تحت عنوان «حج رسول الله صلى الله عليه وآله» في بعض هذه الكتب مثل الكافي للكلينى (١)، والوافى للفيض الكاشانى (٢)، وبحار الأنوار (٣)، لكن أكثر الروايات في هذه الكتب تتضمن أقوال وفتاوى وآراء أئمة آل البيت في مسائل الحج، التي كانوا يسألون عنها، أو التي ترتبط بمظاهر الانحراف في الحج، وبمسألة حج التمتع، وهكذا تتضمن نقلاً لأحكام الحج عن رسول الله عن طريق أئمة آل البيت عليهم السلام.

عناوين أبواب كتب الحديث تفصح عن مضمونها، ويمتاز كتاب «وسائل الشيعة» من بين الكتب الحديثية بوضع عناوين دقيقة للأبواب مستنداً إلى الأحكام المستفادة من الروايات. وفهرس هذا الكتاب الذى أسماه المؤلف «من لا يحضره الإمام» (٤) يضم خلاصة وعصارة للروايات الفقهية عند الشيعة الإمامية.

٤- الأحاديث المرتبطة بتفسير آيات الحج، وهو جزء من سائر الأقسام.

١- ١ الكافي ٤: ٢٤٤.

٢- ٢ الوافي ٢: ٣٠.

٣- ٣ بحار الأنوار، طبعة دار الكتب الإسلامية ٢١: ٣٩٠.

٤- ٤ وسائل الشيعة ج ١ مقدمة الفهرست.

ص: ٣٦

والبخارى فيصحيحه (١) اتَّخذ من هذه الآيات عنواناً لعدد من أبوابصحيحه، وذكر الروايات الواردة في شرحها. لكن هذه الأحاديث وردت في عدد آخر من كتب الحديث موزَّعة على الأبواب الأخرى، كلٌّ في محلِّها. بعض الكتب الحديثية مثل الوافي للفيض الكاشاني، وبحار الأنوار للمجلسي، وجامع الأحاديث، دأبت على ذكر الآيات المرتبطة بكلِّ باب في بداية ذلك الباب، وفي مكان واحد.

والعلامة المجلسي في بحار الأنوار شرح الآيات أيضاً بعد ذكرها وقبل أن يبدأ بذكر الأحاديث.

ذكرنا حتَّى الآن النقاط المشتركة في كتب الحديث بشأن الحج. ونستعرض الآن روايات الحج، ورواياتها في كلِّ واحد من كتب أهل السنَّة والشيعة، لكي نستطيع أن نقارن بينها بعد ذلك.

روايات الحج في كتب أهل السنَّة، ورواياتها:

التدقيق النسبي في كتب أهل السنَّة المذكورة آنفاً، دلَّنا على أنَّ أحاديث الحجِّ والعمرة نقلت عمَّا يقارب من خمسة ومائة صحابي (٢) وهذه الروايات تتضمَّن غالباً مشاهدات الرواة، ومسموعاتهم في حجَّة الوداع، بينوها بشكلصريح حيناً، وبشكل مبهم حيناً آخر. بين هؤلاء عددٌ روى أحاديث عن عمرة الحُدَيْبية (٣)، وعمرة القضاء (٤)، وفتح مكة (٥)، أو خروج النبيِّ وهجرته من مكة (٦)، ممَّا له علاقة بالحج. بين هؤلاء الصحابة أربعة فقط ممَّن اشتركوا تأكيداً في حجَّة الوداع، ورووا القسم الأعظم من الواقعة، أو رَووا أحكام الحجِّ بشكل عام، وهؤلاء الصحابة بترتيب عدد الروايات المنقولة عنهم:

١- عبد الله بن عباس؛ ما يقارب من ٤٥ حديثاً.

٢- عائشة؛ ما يقارب من ٤٢ حديثاً.

١- صحيح البخارى ٢: ١٦٣، ١٦٤، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٢، ٢٠٤، ٢٠٥.

٢- ٢ على النحو التالي: ١. أبو أيوب الأنصاري: ١؛ ٢. أبو أمامة عمن أبصر النبي: ١؛ ٣. أبو رزين العقيلي: ١؛ ٤. أبو موسى الأشعري: ١؛ ٥. أبو سعيد الخدري: ١؛ ٦. أبو بكر: ١؛ ٧. أم الحصين: ١؛ ٨. أبو غادية رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ١؛ ٩. أبو مليكة أو ابن أبي مليكة: ١؛ ١٠. أبو طلحة: ١؛ ١١. أبو بكر: ١؛ ١٢. أبو الطفيل، عامر بن وائلة: ١؛ ١٣. أسماء بنت أبي بكر: ١؛ ١٤. أبو ذر الغفاري: ٣؛ ١٥. أم ولد شيبية: ١؛ ١٦. أم جندب أو أم سليمان بن عمرو: ١؛ ١٧. أبو هريرة: ٩؛ ١٨. أم سلمة: ٢؛ ١٩. أسامة بن زيد: ٢؛ ٢٠. أنس بن مالك: ١٣؛ ٢١. أم الفضل: ١؛ ٢٢. أم حبيسة: ١؛ ٢٣. أم معقل: ١؛ ٢٤. أبو بردة بن دينار: ١؛ ٢٥. أبو شريح العدوي: ١؛ ٢٦. البراء بن عازب: ١؛ ٢٧. بلال بن رباح: ١؛ ٢٨. بلال بن الحارث: ١؛ ٢٩. بديل بن ورقاء: ١؛ ٣٠. بريدة: ١؛ ٣١. ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ١؛ ٣٢. جابر بن عبد الله: ٢١؛ ٣٣. جبير بن مطعم: ١؛ ٣٤. جرير بن عبد الله: ١؛ ٣٥. حارثة بن وهب الخزاعي: ١؛ ٣٦. حجاج بن عمرو الأنصاري: ١؛ ٣٧. حفصة بنت عمر: ١؛ ٣٨. الحصين بن عوف: ٢؛ ٣٩. الحكم والد مسعود بن الحكم الزرقى: ١؛ ٤٠. رافع بن عمرو المزني: ١؛ ٤١. رجل من الصحابة: ١؛ ٤٢. زيد بن ثابت: ١؛ ٤٣. زيد بن أرقم: ١؛ ٤٤. زيد بن خالد الجهني: ١؛ ٤٥. زيد بن الخطاب: ١؛ ٤٦. ذويب أبي قبيصة: ١؛ ٤٧. سبرة والد ربيع بن سبرة: ١؛ ٤٨. سودة بنت زمعة: ١؛ ٤٩. سعد بن مالك: ١؛ ٥٠. سعد بن أبي وقاص: ١؛ ٥١. سراقه بن خثعم: ١؛ ٥٢. سعدى بنت عوف: ١؛ ٥٣. سهل بن سعد: ١؛ ٥٤. السائب أبو خلاد الأنصاري: ٣؛ ٥٥. سائب بن يزيد: ١؛ ٥٦. صعْب بن جثامة: ١؛ ٥٧. طلحة بن عبد الله: ١؛ ٥٨. عاصم والد أبي البداع: ١؛ ٥٩. عثمان: ٣؛ ٦٠. على عليه السلام: حوالي ١٣؛ ٦١. عمر بن الخطاب: ٧؛ ٦٢. عبد الله بن عباس: ٤؛ ٦٣. عائشة: ٣٤؛ ٦٤. عمرو بن

- الأحرص: ١؛ ٦٥. عبد الله بن مسعود: ٣؛ ٦٦. عبيد الله بن العباس: ١؛ ٦٧. عبد الله بن أبي بكر: ١؛ ٦٨. عمران بن الحصين: ٢؛ ٦٩. عبد الله بن عمرو بن العاص: ٢؛ ٧٠. عبد الله بن السائب: ١؛ ٧١. عبد الله بن أبي مغيث: ١؛ ٧٢. عبد الله بن يعمر الديلي: ١؛ ٧٣. عمرو بن خارجة: ١؛ ٧٤. عبد الرحمن بن معاذ: ١؛ ٧٥. عبد الله بن قذافة: ١؛ ٧٦. العلاء الحضرمي: ١؛ ٧٧. عبد الله بن قرط: ١؛ ٧٨. عروة بن مضر الطائي: ١؛ ٧٩. عبد الرحمن بنصفوان: ١؛ ٨٠. عبد الرحمن بن أبي بكر: ١؛ ٨١. عبد الله بن الزبير: ١؛ ٨٢. عبد الله بن عدى بن حمران: ١؛ ٨٣. عبد الله بن بجنة: ١؛ ٨٤. عباس بن مرداس: ١؛ ٨٥. عبد الله بن عمر: ٣٢؛ ٨٦. عقبه بن عامر الجهني: ١؛ ٨٧. الفضل بن عباس: ٢؛ ٨٨. قدامة بن عبد الله: ١؛ ٨٩. كعب بن عجرة: ١؛ ٩٠. المطلب بن أبي ذراع السهمي: ١؛ ٩١. مسور وردان: ١؛ ٩٢. منبذ بن شريط الأشجعي: ١؛ ٩٣. محرز الكعبي: ١؛ ٩٤. مردان: ٢؛ ٩٥. ناجية الأسلمي: ١؛ ٩٦. نيثة: ١؛ ٩٧. نبط والد سلمة بن نبط: ١؛ ٩٨. والد أبي البداح: ١؛ ٩٩. الهرماس بن زياد الجاهلي: ١؛ ١٠٠. يحيى بن أبي كثير: ١؛ ١٠١. يزيد بن شيان: ١؛ ١٠٢. يعلى بن أمية: ١؛ ١٠٣. أبو رافع: ١؛ ١٠٤. ابن أبي أوفى: ١؛ ١٠٥. أسماء بنت عميس: ١
- ٣-١. عبد الله بن أبي قتادة: سنن النسائي ٥: ١٨٥-٢. أبو قتادة: سنن النسائي ٥: ١٨٦-٣. عبد الله بن عمر: التاج ٢: ١٥١ نقلًا عن البخاري-٤. كعب بن عجرة: التاج ٢: ١٥٣ رواه الخمسة.
- ٤-١. محرس الكعبي: سنن الدارمي ٢: ٥٢- سنن النسائي ٥: ١٩٩ و ٢٠٠- التاج ٢: ١٤٩-٢. أنس بن مالك: سنن النسائي ٥: ٢١٣-٣. جابر بن عبد الله: سنن الدارمي ٢: ٦٦-٤. عبد الله بن أبي أوفى: سنن الدارمي ٢: ٦٩- سنن ابن ماجه ٢: ٩٩٥-٥. على عليه السلام: سنن الدارمي ٢: ٦٨.
- ٥-١. يعلى بن أمية، التاج ٢: ١٠٥ رواه الخمسة-٢. أنس بن مالك، سنن الدارمي ٢: ٧٣-٣. جابر بن عبد الله، سنن الدارمي ٢: ٧٤-٤. عبد الرحمن بنصفوان، التاج ٢: ١٢٠ نقلًا عن أبي داود-٥. عبد الله بن عباس، التاج ٢: ١٥٨ و ١٦٢ رواه الشيخان-٦. أبو شريح العدوي، التاج ٢: ١٥٨ رواه الشيخان والترمذي.
- ٦-١. عبد الله بن عدى بن الحمراء، ....

ص: ٣٧

٣- عبد الله بن عمر بن الخطاب؛ ما يقارب من ٣٢ حديثاً.

٤- جابر بن عبد الله الأنصاري؛ ما يقارب من ٢٢ حديثاً.

هذه النتيجة التي توصلنا إليها وجدناها بعد ذلك عند الإمام الشافعي إذ يقول: لهؤلاء الأربعة ميزة في حجة الوداع (١). إضافة إلى هؤلاء الأربعة، روى عن أنس بن مالك صحابي الرسول وخادمه ما يقارب من أربع عشرة رواية، وعن علي عليه السلام في كتب أهل السنة هذا العدد نفسه تقريباً، لكن الكتب الحديثية الشيعية كما سنرى نقلت عن علي روايات كثيرة.

ولابد من الإشارة إلى مسألة لا تخفى على المتخصصين في هذا الحقل: هي أن رواية الراوي في كتب الصحاح والسنن تكررت، بطريق واحد أحياناً، أو بطرق متعددة أحياناً أخرى، مع وجود اختلاف في ألفاظها. وفي إحصاء روايات الراوي ينبغي أن نحذف المكرر، وهذا ما فعلناه. ومع أننا فهرسنا روايات الحج في الكتب المذكورة، راجعنا -تجنباً للمكرر- كتاب «التاج الجامع للأصول من أحاديث الرسول» الذي أدمج مكرر كتاب أو عدة كتب، واحتسبنا أيضاً الروايات التي لم ترد في هذا الكتاب، ورويت في مصادر أخرى. ومع ذلك لا ندعي أن إحصاءنا يطابق الواقع تماماً، لكنه يقترب منه حتماً.

بين هؤلاء الأربعة، ينفرد جابر بن عبد الله الأنصاري بروايته لحجة الوداع كاملة كما رأها، ونحن سندرس هذا الحديث، وحديثاً آخر شبيهاً له روى عن طرق الشيعة دراسة مقارنة. أما الثلاثة الآخرون فَرَوُوا حجة الوداع بشكل متفرق من خلال روايات متعددة، وروايات كل منهم تتضمن قسمًا رئيساً من أحداث حجة الوداع. وهذا استعراض لمكانة الصحابة الأربعة من حجة الوداع:

١- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب: ابن عم الرسول، كان في حجة الوداع مع أسرة الرسول الأعظم، وشاهد عن كتب مجريات حجة الوداع. كان له

١- ١ شرح صحيح مسلم ٨: ١٣٥ في هذا المصدر ذكرت خصائص كل واحد من هؤلاء الأربعة بالتفصيل.

ص: ٣٨

آنذاك من العمر ما يقارب ثلاثة عشر عاماً. ومع أن القسم الأعظم من رواياته في هذا المجال تعتمد على مشاهداته ومسموعاته مباشرةً - كما صرح بذلك، هو - فمن المؤكد أن القسم الآخر سمعه عن الآخرين، وذكر أسماءهم أحياناً من أمثال: الفضل (١) وعبد الله (٢)، شقيقه الأكبرين، وأبي طلحة (٣)، وأحياناً رجع إلى أفراد من أمثال أبي أيوب الأنصاري (٤) للسؤال عن الحج، ورجع أيضاً إلى الحصين بن عوف (٥)، وعمر (٦).

توصلت من خلال دراستي لروايات ابن عباس أن أكثر رواياته التي رواها عن رسول الله في الموضوعات المختلفة وصلته عن طريق الآخرين، وابن عباس وسائر الصحابة لم يذكروا أسماء من رواها عنهم بسبب الثقة المتبادلة السائدة بين المسلمين آنذاك. وإلا فإن سنن ابن عباس لم يقتض أن يسمع ويدون هذا العدد من الروايات مباشرة عن الرسول، وابن عباس صرح بنفسه أنه استفاد من معلومات أكثر الصحابة.

إبن عباس مثل عليّ وجابر، وبعض الصحابة الآخرين، قاوم بشدة رأي الخليفة الثاني بشأن منع حج التمتع الذي أقره الرسول الأكرم في حجة الوداع.

وهذا الموقف ظاهر في رواياته (٧).

٢- عائشة زوج الرسول، وابنة الخليفة الأول أبي بكر، صحبت الرسول في هذا السفر، وروت حادثة حيضها في بداية السفر، وما قرره الرسول لها من حكم، وكيفية عمرتها مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر من «التنعيم» (محل خارج مكة) بأمر الرسول صلى الله عليه وآله، وقصة الأضاحي التي قدمها الرسول عن أزواجه، وحوادث أخرى عن هذه السفرة (٨) رواياتها حول كيفية إحرام الرسول والمسلمين في حجة الوداع المرتبطة بمسألة عمره التمتع الخلافي، فيها اختلاف حيرت المحققين (٩). يبدو أن هذه الروايات المنسوبة إلى أم المؤمنين

١- ١ طبقات ابن سعد ٣: ١٨٠- وسنن ابن ماجه ٢: ٩٧١، ١٠١١، ١٠١٧.

٢- ٢ ...

٣- ٣ سنن ابن ماجه ٢: ٩٩٠.

٤- ٤ سنن ابن ماجه ٢: ٩٧٨.

٥- ٥ سنن ابن ماجه ٢: ٩٧١.

٦- ٦ سنن ابن ماجه ٢: ٩٩١- وسنن أبي داود ١: ٢٨٤.

٧- ٧ سنن النسائي ٥: ١٥٣، ١٥٤- صحيح البخاري ٢: ١٥٥، ١٥٧- جامع الترمذي ٢: ٣٨- مستدرک الحاكم النيسابوري ١: ٤٦٥.

٨- ٨ في صحيح البخاري ٢: ١٧٤ وما بعدها- صحيح مسلم ٨: ١٣٤ وما بعدها، ١٥٧.

٩- ٩

ص: ٣٩

فيها تحريف لطريقة الإحرام، وانحياز بشكل غير مباشر لتأييد رأى الخليفة الثاني بشأن «التمتع»، وهذا الانحياز تجلّى في آل الزبير بمن فيهم ابن أخت عائشة عروة بن الزبير (١).

٣- عبد الله بن عمر بن الخطاب. كان يوم حجة الوداع شاباً، عمره بضع وعشرون سنة، وكان بدلالة رواياته حاضراً في تلك الحجة. استند في رواياته مراراً إلى مشاهداته في حجة الوداع، لكن موقفه من «حج التمتع» الذى منعه والده خلال فترة خلافته، غير واضح. بعض الروايات تحكى معارضته، ومقاومته الشديدة لرأى والده (٢)، غير أن إصرار خلفاء بنى أمية على اتباعه فى مناسك الحج (٣)، تدلّ على أنه انتهج فى هذه المسألة السياسة العامة نفسها للحكم الأموى، القائمة على أساس الدفاع عن رأى الخليفة فى هذه المسألة، التى اتخذت منذ زمن عثمان طابعاً سياسياً.

٤- جابر بن عبد الله الأنصارى، أحد أصحاب الرسول الأوفياء، وبعد الرسول استمرّ وفاؤه لعلّى وأهل بيته حتى نهاية عمره الطويل. وتوفى سنة ٧٨ للهجرة.

جابر فى حجة الوداع كان أيضاً شاباً ينيف على العشرين، وتابع كلّ شىء بدقّة رؤيئة وسماعاً، واحتفظ به فى ذاكرته، ونقله. عدد رواياته فى الحج، مع أنها أقل من عدد روايات الثلاثة الآخرين، انفردت - كما ذكرنا وسنفضّل الحديث فى ذلك - برواية حجة الوداع من أولها إلى آخرها، وإن نقل الرواة بعد ذلك فقرات من ذلك الحديث بطرق مختلفة، وأحياناً بالطريق نفسه، كما روى عن جابر ما لم يرد فى ذلك الحديث المفضّل أحياناً أخرى.

جابر نقل بصراحة «حج التمتع» عن الرسول، ونقل المنع الذى صدر عن

١- صحيح مسلم ٨: ٢١٩.

٢- سنن الدارمى ٢: ٧٠- سنن النسائى ٥: ١٥١- جامع الترمذى ٤: ٣٩.

٣- صحيح البخارى ٢: ٩٨ و ٩٩.

ص: ٤٠

الخليفة لهذا الحج، وفي الخلاف الذي تارّ بين الصحابة بشأن هذه المسألة أصرّ جابر على العمل بسنة الرسول (١). من خصائص جابر الأخرى، أن روايته في حجة الوداع كانت نقطة التقاء بين فقه وحديث الشيعة وأهل السنة في الحج. فهذه الرواية، وإن كانت قد رويت في كتب أهل السنة بأسانيدهم وطرقهم، تضمّنت طرقها إمامين من أئمة الشيعة هما: الإمام محمد بن عليّ الباقر، والإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، وكما سنرى فإنّ جميع الطرق تنتهي إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله.

وفي الوقت نفسه، أحداث حجة الوداع رويت بالشكل نفسه مع بعض التفاوت بطرق الشيعة عن الإمام جعفر بن محمد الصادق. وسنفضّل الحديث في أسانيد كلّ من الروايتين، ومواضع اختلاف نصّهما. كما سنقدّم للقارئ في نهاية المقال النصّ الكامل للحديثين. ولعلّ هذه المقارنة فريدة من نوعها بشأن هذين الحديثين. ولكن قبل ذلك نلقى نظرة على روايات الحج، ورواتها في آثار فرق الشيعة، بما في ذلك الشيعة الإمامية ....

له تابع في العدد القادم

الهوامش:

اضواء من اسرار الحجّ









ص: ٤٤

أضواء من أسرار الحجّ

جعفر السبحاني

إنّ جميع الأنبياء قد بعثوا لمحاربة الشرك، وعبادة الأصنام، ولفهم هذا الأمر بشكل واضح يكفيننا مطالعته هذه الآية الشريفة: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلّا نوحى إليه أنّه لا إله إلّا أنا فاعبدون» (١).

إنّ هذه الآية المباركة توضح وبشكل جليّ، بأن من أهم واجبات الأنبياء إزالة مظاهر الشرك بأنواعه كافة في كلّ آن ومكان. من هنا ومن خلال أخذ هذا الأصل بنظر الاعتبار، فإنّ بعض الأعمال في الصلاة ومراسم الحج تبدو في ظاهر الحال وكأنّها لا تتلائم مع مبدأ التوحيد؛ من قبيل: التوجه نحو الكعبة أثناء الصلاة، وما هي سوى أحجارٍ وطين، أو لمس «الحجر الأسود» باليد الذي لا يعدو كونه جماداً ليس إلّا، أو السعى بين جبلى

١-١ الأنبياء: ٢٥.

ص: ٤٥

«الصفاء» و «المروءة» وغيرها من الأعمال. وعليه يفرض هذا التساؤل نفسه، ما هو السرّ الكامن في هذه الأعمال والواجبات؟ وما هو وجه الاختلاف بينها وبين أعمال المشركين؟

وقبل البدء في بيان أسرار هذه الأعمال، نُشير إلى أن هذا التساؤل سبق أن طرح قديماً. ففي عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام حضر ابن أبي العوجاء - رئيس الماديين آنذاك - مع جماعة من أصحابه عند الإمام الصادق عليه السلام، وتوجّه له بالسؤال التالي:

«يا أبا عبد الله! إنّ المجالس أمانات، ولا بد لكلّ من به سعال من أن يسعل أتأذن لي في الكلام؟

فقال: تكلم، فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدّر، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، إن من فكّر في هذا وقدّر علم أن هذا فعل أمسه غير حكيم ولا - ذى نظر. فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه وتمامه فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحق، ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليه وربّه وقرينه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره. وهذا بيت استعبد الله به خلقه؛ ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه، وقبله للمصلّين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفى عام فأحقّ من أطيع فيه أمر، وانتهى عما نهى عنه وزجر الله المنشئ للأرواح والصور» (١).

فمن خلال المنطق القويم والحديث الحكيم، كشف الإمام الصادق عليه السلام النقاب عن بعض أسرار الحج. حيث سننقل نفاحات ورشحات من حديثه المبارك وسائر أئمة الهدى، الوارد في الإجابة عن هذا السؤال:

والهدف المتوخى من وراء هذا النقل،

ص: ٤٦

الإشارة إلى قَدَمِ هذا السؤال، لِيَتَّضِحَ لنا بأن هذه التساؤلات، كان لها حضورٌ في أذهان الناس.

١- سرّ التوجّه إزاء الكعبة أثناء الصلاة:

على العكس ممّا كان يجول في ذهن ابن أبي العوجاء، المادى المعروف في عصر الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فإنّ الهدف من التوجه نحو الكعبة أثناء الصلاة، لا يعنى عبادة الكعبة أو حجرها وطينها. فإنّ جميع المصلّين يعبدون الله تعالى، وحال توجيههم نحو الكعبة، فإنّ الجميع يخاطب الله الواحد الأحد بقوله: «إياك نعبد وإياك نستعين» والعلّة في توجيهنا نحو الكعبة حال الصلوة، تكمن في أن الكعبة تعدّ أقدم معبدٍ وبيتٍ للتوحيد، بنى بأيدى أنبياء الله العظام للموحّدين من أهل الأرض، ولا يسبقه في هذا القَدَمِ أىّ معبدٍ آخر، كما يقول القرآن الكريم:

«انّ أوّل بيت وضع للناس للذى ببكّة مباركاً وهديّ للعالمين» (١).

إنّ الشريعة الإسلامية المقدّسة، ومن أجل إيجاد الوحدة بين المصلّين، وتوحيد صفوف المتوسّلين، أوجبت على الجميع أداء الصلاة بلغةٍ واحدة، والتوجّه إلى أقدم المعابد حال الصلاة، لتحفظ من خلال هذا السبيل وحدتهم حال العبادة والتعبّد؛ أى أن يتفوّه ملايين البشر في آنٍ واحدٍ بكلامٍ واحد، ويتّجهون نحو نقطةٍ واحدة. وأن يعلنوا وحدتهم واتّحادهم بشكل واضح وعلنى. وبناءً على ذلك، فإنّ التوجّه نحو هذا المعبد ليس بمعنى عبادته، بل بمعنى جعله رمزاً لوحدهم واتّحادهم حال العبادة.

لقد كان المسلمون فيصدر الإسلام، يقيمون الصلوات جماعةً، و صلاة الجماعة من المستحبات المؤكدة في الإسلام. فلو أراد جمع أداء فريضةٍ ما معاً، عليهم أن يتوجهوا جميعاً إلى وجههٍ واحدة، وبغير هذه الصورة لا

ص: ٤٧

يمكن أداء الفريضة.

إنّ نبي الإسلام والمسلمين جميعاً، ظنّوا يصلّون لفترة من الزمن متّجهين فيصلاّتهم تلك نحو «المسجد الأقصى» إلّا أنّه وبعد سبعة عشر شهراً من تاريخ الهجرة، جاء الأمر بأن يتّجه المسلمون نحو المسجد الحرام والكعبة حيثما كانوا، لأسبابٍ وعللٍ ذكرت في محلّها قال الله - عزّ وجلّ -:

«... فولّوا وجوهكم شطره...» (١).

لقد ذكّر الإمام الصادق عليه السلام هذا المعترض المادى في عصره بوحدةٍ من أسرار التوجه نحو الكعبة حال الصّلاة وقال: «وهذا البيت استعبد الله به خلقه؛ ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحتّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه، وقبله للمصلّين إليه. فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدى إلى غفرانه».

٢- لماذا نستلم الحجر الأسود باليد؟

يستفاد من الأحاديث الإسلامية، أن بناء الكعبة كان موجوداً، قبل عصر سيّدنا إبراهيم عليه السلام، وأن جداره تهدم على أثر طوفان نوح عليه السلام. وبعد أن أمر النبي إبراهيم بإعادة بناء الكعبة، ووضّع «الحجر الأسود» وهو جزء من جبل «أبو قبيس»، وضعه بأمر الله تعالى في جدارها. والآن يطرح هذا السؤال:

لماذا نستلم هذا الحجر بأيدينا؟ وما هو الهدف من هذا العمل؟

وجواب ذلك: أنّ استلام الحجر ووضع اليد عليه، يعدّ نوعاً من العهد والبيعة مع سيّدنا إبراهيم؛ لمحاربة مظاهر الشرك وعبادة الأوثان بأنواعها كافّة، أسوةً ببطل التوحيد، وأن لا ننحرف عن الحنيفيّة، ولا نخرج عن جادة التوحيد في مظاهر الحياة كافّة. وتتم البيعة مع الفرد أحياناً، بمصافحة يده وغمزها، أو بمسك طرف الثوب، وأحياناً أخرى تتم بشكل أو بآخر. ونقرأ في التاريخ عندما نزلت الآية المباركة «يا أيّها النبي إذا جاءك

ص: ٤٨

المؤمنات يُبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً...» (١)

، فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بإحضار إناءٍ فيه ماء، ووضع يده المباركة فيه، ثمّ أخرجها من الماء وقال: مَنْ أرادت منك أنّ تباعني، فلتضع يدها في الماء، وتباعني على ما في هذه الآية. ومن هنا فإنّ مبايعه رسول الله تمت عن طريق وضع اليد في شيء وضع هو يده فيه. ومسألة استلام «الحجر الأسود» من هذا القبيل أيضاً. فالهدف إذن، أن نبايع بطل التوحيد ونبيّنا الأكرم صلى الله عليه وآله عليصيانه التوحيد. لذا يقول الإمام الصادق عليه السلام: وقل عند استلامك الحجر:

«أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالمؤافاة» (٢).

يقول ابن عباس: «واستلامه اليوم (أي الحجر) بيعه لمن لم يدرك بيعه رسول الله صلى الله عليه وآله» (٣). وبناءً على ذلك فإنّ الهدف من تقبيل الحجر واستلامه، تجسيداً لميثاق قلبي مركزه روح الإنسان. وحقيقه الأمر، فإنّ زائري بيت الله بعملهم هذا، يجسدون ذلك الميثاق القلبي على هيئة أمر ملموس ومحسوس. وفي الكثير من بلدان العالم، يقدّس الجنود أعلام بلدانهم، ويقفون أمامها بإجلال وإكبار مجددين العهد باليمين. ومن المسلم به، أن العلم بضعة أمتار من القماش ليس إلّا. إلّا أنّه يمثل رمز استقلال البلد، وعنوان إرادته الوطنيّة والشعبيّة. وفي هذه الحالة، فإنّ الجندي بدلاً من مصافحة أيدي الناس أو القادة وغمزها، فإنّه يشير إلى العلم ويؤدى اليمين والعهد. وستقرأ في الجزء الآخر من الجواب، بأن الهدف من بعض مراسم الحج، هو تجسيد نوع من الحقائق، التي جسدت نفسها عن طريق أعمال الحج.

٣- ما الهدف من السعي بين الصفا والمروة؟

إنّ حجاج بيت الله، ومن خلال السعي بين الصفا والمروة، يجسدون

١- الممتحنه: ١٢.

٢- وسائل الشيعة ٩: ٤٠٠ باب ١٢ ح ١.

٣- وسائل الشيعة ٩: ٤٠٦ باب ١٢ ح ١٥ أبواب الطواف.

ص: ٤٩

حالة السيدة هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

وبشهادة التاريخ، فإنها - ومن دون أن تأس من رحمة الله تعالى - سعت في تلك الصحراء العارية من الزرع والماء، سبع مرات بين ذنيك الجبلين بحثاً عن الماء، وفي نهاية المطاف شملها لطف الله تعالى، ونالت مقصودها، وبعد أن فار الماء تحت أقدام إسماعيل عليه السلام نجت هي وابنها من العطش.

ويستفاد من بعض الأحاديث، بأن الشيطان قد تجسّد لسيدنا إبراهيم عليه السلام في هذا المكان، وأخذ يعقبه في سعيه، ليعده عن حرم بيت الله.

وبأدائنا لهذا العمل، إنما نجسد ذلك العمل المعنوي (١).

وبذبح القرابين فيصحراء منى، فإننا نحیی ذكری فداء سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي ضحى بكل شيء في سبيل الله حتى ولده.

٤- ما الهدف من رمی الجمرات؟

إنّ حجاج بيت الله الحرام يرمون في أيام العاشر والحادي عشر والثاني عشر، أعمدة معيّن في أرض منى (قرب مكّة) بالحجر. وبهذا العمل فإنّهم يرمون في الظاهر نقطة معيّن بالحجر، إلّا أنّهم يرمون الشيطان في باطنهم.

والأحاديث الإسلامية بيّنت ماهية هذا العمل بقولها: إنّ الشيطان قد تجسّد لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الأماكن الثلاثة هذه، ورجمه إبراهيم بالحجر ليظهر تنفره منه. وبقي عمل إبراهيم هذا سنّة إلهية في أعمال الحج.

إنّ حجاج بيت التوحيد، وإظهاراً لنفرتهم من الشيطان والشياطين، يرمون تلك النقطة بالحجر تعبيراً عن إبراهيميتهم. وبهذا الشكل فإنّهم يعبرون عن غضبهم من كلّ موجود شرير خبيث ونجس. وإنّ النفرة من النجاسة وهي أمر معنوي وقلبي، يعبرون عنها بهذه الطريقة بشكل ملموس ومحسوس.

واليوم فإنّ الشعوب المستضعفة،

١- ١ وسائل الشيعة ٩: ٥١٢ ح ١٢ أبواب السعي.



ص: ٥٠

التي تعاني من الظلم والجور، تقوم بإحراق أعلام الدول المستكبرة السلطوية، والعلم ليس أكثر من بضعة أمتارٍ من القماش الملوّن. إلّا أنّ الشعوب - ومن أجل إظهار غضبها تجاه الفضائع والجرائم التي ترتكبها القوى العظمى - تقوم بإحراق رموزهم، وكأنهم قاموا بإحراقهم وإبادتهم والقضاء عليهم، وعلى الأقل فإنّ هذا العمل يبيّن إنزعاجهم الشديد من أولئك الظلمة. وخلاصة القول: فإنّ الذي يتأمل في تاريخ فرائض الحج، يتلمس الحقيقة التالية: وهي أنّ الكثير من هذه الأعمال، الغرض منها تجسيد طائفة من الذكريات البناءة من حياة وسيرة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومجموعة من الأمور المعنوية والأخلاقية، التي تؤدّي بسلسلة من الأعمال بشكل نموذجي ومنظم، وليس الغرض منها عبادة الحجر والطين والجبل مطلقاً.

الهوامش:

**شرح فقرة من دعاء عرفه**

ص: ٥١

شرح فقرة من دعاء عرفه

تحقيق: فارس حسون كريم

تأليف السيد ماجد بن إبراهيم الحسيني الكاشاني - من أعلام القرن الثاني عشر -

الحمد لله سامع الدعاء، ودافع البلاء، ومفيض الضياء، وكاشف الظماء، وباسط الرجاء، وسابغ النعماء، ومجزل العطاء، ومردف الآلاء، حمداً يكافى نعمه، ويوافي مننه، ويوجب مزيده.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وسيد الأصفياء، الحجّة على من في الأرض والسماء، وعلى آله الفائزين بخلوص الانتماء، ووجوب الاقتداء، صلاة باقية إلى يوم البعث والجزاء.

وبعد: حقيقة لا شك فيها: أنّ تراث الدعاء الأثيل والخالد لمدرسة أهل البيت عليهم السلام منهل عذب، قد ضمّ من عيون الدرر ما لا يمكن جردها وحصرها، ولا سيّما أنّ الذي قد أرسى أسس هذا التراث الضخم سيّدنا خاتم الرسل، وصاحب الحوض والكوثر صلى الله عليه وآله. وتبعه باب مدينة علومه وحكمته سيّد

ص: ٥٢

الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما يتجلى ذلك في دعائه: «دعاء الصباح» و«دعاء كميل بن زياد رضى الله عنه» وغيرها. ومن ثم ابنه قتيل العبرات، وأسير الكربات، سيد الشهداء من الأولين والآخرين الحسين بن علي عليه السلام كما يتجلى ذلك في دعائه في يوم عرفه - وهو موضوع كتابنا هذا - وسائر أدعيته عليه السلام.

وأما الذى أغناه، وأبدى به اهتماماً خاصاً، فهو إمام العارفين، وقائد الزاهدين، وسيد الساجدين، وزين العابدين، ذو الثغفات، ورابع أئمة بيت العصمة والطهارة عليهم السلام. فقد أبدع فى إنشاء جملة وافرة من الأدعية، والأحراز الشهيرة، أضحت خير زاد يتقوى به على مواصلة الطريق المؤدى إلى مرضاة الله - تعالى -. ولقد تركت أثرها البارز فى إرساء دعائم المجتمع الإسلامى، وتنزيهه من الشوائب، فى مرحلة هى من أفسى وأحلك المراحل التى مرّت بها الأمة الإسلاميه بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام، خلال النصف الثانى من القرن الأول، ومن أجل ذلك سميت بإنجيل أهل البيت عليهم السلام، وبزبور آل محمد عليهم السلام (١).

ترجمة المؤلف (٢) اسمه:

هو السيد ماجد بن السيد إبراهيم الحسينى الكاشانى، كان فاضلاً، أديباً، حكيماً، فقيهاً، أريباً.

حفيدة:

العالم المتقى الحاج السيد محمد تقى بن المير عبد الحى بن إبراهيم بن السيد ماجد بن إبراهيم پشت مشهدى الحسينى الكاشانى، من أعظم علماء عصره،

١- ١ أول من أطلق هذين الاسمين هو ابن شهر آشوب، المتوفى سنة «٥٥٨٨هـ» فى معالم العلماء: ١٢٥ و ١٣١ فى ترجمة: متوكل بن عمير بن المتوكل، ويحيى بن على بن محمد بن الحسين الرقى.

٢- ٢ ترجمه الشيخ آقا بزرك الطهرانى فى طبقات أعلام الشيعة - الكواكب المنتشرة فى القرن الثانى بعد العشرة -: ٦٢٨، وترجمه أيضاً الملا حبيب الله الكاشانى فى لباب الألقاب فى ألقاب الأقطاب: ٦٣-٦٤.

ص: ٥٣

ومن تلامذة صاحب «رياض المسائل» (١)، توفي سنة «١٢٥٨ هـ» (٢).

معاصره:

الميرزا إبراهيم بن الميرزا غياث الدين محمد الإصفهاني الخوزاني - قاضي اصفهان، ثم قاضي عسكر السلطان نادر شاه -، المتوفى سنة «١١٦٠ هـ»، كتب رسالة في الغناء في الرد على رسالة السيد ماجد (٣).

مؤلفاته:

١- «إيقاظ النائمين وإيعاظ الجاهلين».

رسالة في أحكام الغناء وموضوعه وإثبات حرمة، في مقدمه ومقصدين، المقدمة في مسائل من علوم مختلفة يحتاج إليها في أبحاث الرسالة (٤).

قال الملا حبيب في لباب الألقاب: له رسالة في تحقيق الغناء، وحواش على الإشارات والشفاء - على ما حكاها بعض أسباطه -، وقد نقلنا بعض كلماته في رسالتنا التي أفردناها لهذه المسألة (٥).

٢- «تخلل السكون بين الحركتين».

بحث عن آراء المشائين من الفلاسفة ومذهب ابن سينا في الموضوع، ويذهب المؤلف إلى أن تخلل السكون بين الحركتين جائز (٦).

٣- «التخلل والتكاثف الحقيقيان».

يستدل المؤلف في هذه الرسالة المختصرة على إمكان التخلل بين الشيئين أو التكاثف فيهما، وهو بحث فلسفي كتبه في جواب المنكرين للموضوع (٧).

٤- «التشكيك في الذاتيات».

رد على من ذهب إلى نفي الذاتيات، وبيان أنها من أي المعقولات هي (٨).

١- ١ هو «رياض المسائل في بيان الأحكام بالدلائل» تأليف السيد علي الطباطبائي، المولود سنة «١١٦١ هـ»، والمتوفى سنة «١٢٣١ هـ».

٢- ٢ طبقات أعلام الشيعة - الكرام البررة -: ٢١٩ رقم ٤٤٨، لباب الألقاب: ٧٤.

٣- ٣ ذكره في تنميمة أمل الآمل: ٥٧، طبقات أعلام الشيعة - الكواكب المنتشرة -: ٨- ١١، أعيان الشيعة ٢: ٢٠٣.

٤- ٤ الذريعة ٢: ٥٠٥ رقم ١٩٨٠، فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٨ / ١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب الثامن.

٥- ٥ لباب الألقاب: ٦٣- ٦٤.

٦- ٦ فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ١٧ / ٢٢١ رقم ٦٦٥٨.

٧- ٧ فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ١٦ / ٢٧ رقم ٦٠٢٥ الكتاب السادس.

٨- ٨ فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ١٦ / ٢٩ رقم ٦٠٢٥ الكتاب التاسع.

ص: ٥٤

٥- «شرح دعاء عرفه».

وهو هذا الكتاب، وسيأتي التعريف به.

٦- «ماهية الزاوية».

تحقيق دقيق حول حقيقة الزاوية، وماهيتها المعروفة في الكتب بمختلف التعاريف (١).

٧- «نفي الهيولي».

يثبت المؤلف أن الهيولي ليس له وجود في الخارج، ويردّ على الداهيين إلى أن له وجوداً خارجياً (٢).

مدّة حياته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت السيد المؤلف رحمه الله تاريخ ولادته، ولا تاريخ وفاته، غير أنه كان حياً سنة «١١٥٢ هـ»، وهو تاريخ تأليفه لكتابه هذا- شرح دعاء عرفه-.

التعريف بالكتاب:

روى بشر وبشير ابنا غالب الأسدي، قالوا: كنا مع الحسين بن علي عليهما السلام عشية عرفه، فخرج عليه السلام من فسطاطه متذلاً خاشعاً، فجعل يمشى هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعته من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل القبلة، ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين، ثم قال:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ، وَلَمَّا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ، وَلَا كُصْنَعِهِمْ نِعْصَانِعٌ، وَهُوَ الْجَوَادُّ الْوَاسِعُ - إلى أن يقول: - اللَّهُمَّ لَا تَمَكُرْ بِي وَلَا تَسْتَدْرِجْنِي وَلَا تَخْدَعْني، وَأَدْرَأْ عَنِّي شَرَّ فَسَقَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ»

، ثم رفع رأسه وبصره إلى السماء وعينه ما طرتان كأنهما مزادتان، وقال

١-١ فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٩ / ١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب العاشر.

٢-٢ فهرس مكتبة آية الله العظمى المرعشي: ٢٨ / ١٦ رقم ٦٠٢٥ الكتاب السابع.

ص: ٥٥

بصوت عالٍ:

«يَا أَسْمَعَ السَّامِعِينَ، يَا أَبْصَرَ النَّاطِرِينَ، وَيَا أَسْرَعَ الْحَاسِبِينَ، وَيَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ - إلى أن يقول: - لَكَ الْمُلْكُ، وَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ»

وكان يكرر قوله «يا رب»، وشغل من حضر ممن كان حوله عن الدعاء لأنفسهم، وأقبلوا على الاستماع له والتأمين على دعائه، ثم علت أصواتهم بالبكاء معه، وغربت الشمس وأفاض الناس معه.

أقول: إلى هنا تم دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفه على ما أورده الكفعمي في كتاب «البلد الأمين» (١)، وقد تبعه المجلسي في كتاب «زاد المعاد» (٢).

ولكن زاد السيد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «إقبال الأعمال» (٣) بعد «يا رب يا رب يا رب» هذه الزيادة:

«إِلَهِي أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لِمَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي؟! إِلَهِي أَنَا الْجَاهِلُ فِي عِلْمِي فَكَيْفَ لِمَا أَكُونُ جَاهِلًا فِي جَهْلِي؟! - إلى أن يقول: - هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مَحَالٌّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟...».

وكتابتنا هذا تناول شرح الجملة الأخيرة

«هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مَحَالٌّ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟»

حيث تصدّى المؤلف رحمه الله لرفع التناقض الذي يبدو في هذه القطعة.

النسخة المعتمدة في التحقيق:

هي النسخة الخطية المحفوظة في خزانه مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي في قم المقدسة، وهي مذكورة في فهرسها ج ١٦ ص ٢٦ ضمن المجموعة رقم ٦٠٢٥- الكتاب الثالث، ومذكورة أيضاً في التراث العربي في خزانه مخطوطات مكتبة المرعشي ج ٣ ص ٣١٢، والنسخة تقع في ١٠ أوراق كتبت بخط فارسي جيد «نستعليق» - بخط تلميذ المؤلف - وعناوينها بارزة بخط

١- ١ البلد الأمين: ٢٥١-٢٥٨ - عنه البحار ٩٨: ٢١٣ ح ٢.

٢- ٢ زاد المعاد: ٢٤٨-٢٦٨.

٣- ٣ إقبال الأعمال: ٣٣٩-٣٥٠ - عنه البحار ٩٨: ٢١٤ وعن حاشية البلد الأمين ومصباح الزائر لابن طاووس. وقال المجلسي رحمه الله في البحار ٩٨: ٢٢٧ ح ٤: لا توجد هذه الزيادة في بعض النسخ العتيقة من الاقبال، وعبارات هذه الزيادة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً، وإنما هي على وفق مذاق الصوفية، ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الزيادة من مزيدات بعض مشايخ الصوفية ومن إلحاقات وإدخالاته. وبالجملة: فهذه الزيادة إما وقعت من بعضهم، أو لعل في بعض الكتب، وأخذ ابن طاووس عنه في الاقبال غفلة عن حقيقة الحال، أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب الاقبال، ولعل الثاني أظهر على ما أومأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة، وفي مصباح الزائر، والله أعلم بحقائق الأحوال. - بتصرف يسير.

ص: ٥٦

النسخ، صفحاتها ذات سطور مختلفة بقياس ٥.١٢ \* ٨.٥ سم، كتبت النسخة في المدرسة العمادية بكاشان سنة ١١٥٢ هـ.  
-صورة الصفحة الأولى من النسخة الخطية-

الحمد لله ذى الطول والإحسان والنعم الجلائل، والصلاة على محمد وآله أولى الفواضل والفضائل، الذين جعلت موالاتهم خير بضاعة وأقرب الوسائل.

ص: ٥٧

-صورة الصفحة الأخيرة من النسخة الخطية-

أما بعد:

يقول المفتقر إلى الله الغنى محمد بن إبراهيم المدعو بماجد الحسينى: لقد سألتنى بعض أجلة الخلان، وأخص الأخوان أن أحرر شرحاً

لكلام سيد الشهداء- عليه وعلى آبائه السلام- فى دعائه ليوم عرفه، وهو:

«هَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ، وَكَيْفَ لَأَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مَحَالٌّ أَنْ يَصِلَ



ص: ٥٨

الْيَكَّ

بحيث يدفع أثر التناقض وغيره عنه مما لا يليق بأمثاله عليه السلام.

فاعذرت إليه مع ظهور قصور باعث عن كشف جليّات الخفاء عن وجوه أبكار المعاني، ورفع أستار الارتياح عن تلقاء المقاصد المعضلة الأركان والمباني، تارة بضيق البال لتراكم أمواج بحار الأحزان، وأخرى بقلّة المجال لكثرة تواتر نزول أفواج الحدثان، فما حلّ موقع القبول وما زاد إلّا إعادة المسؤول فأسعفت مسؤوله، وأجبت مأموله، وتصدّيت لحله على رأى كلّ فرقة مشتهرة بين الأنام أقوالهم واعتقاداتهم متداولة بين الناس أبلالهم ومدوناتهم بحيث ينطبق على أصولهم وقواعدهم انطباقاً بيناً، محترزاً عن الردّ والقبول، لا- لمخافة الإطناب والإسهاب، بل لانحطاط درجتي عن درجات هؤلاء الأعلام في كلّ باب، مراعيّاً للايجاز واختصار الكلام، ورتّبته على مقدّمة ومقالات ثلاث:

أمّا المقدّمة فمشمّلة على فصلين:

الفصل الأوّل: في بيان دأب الأنبياء والأئمّة عليهم السلام في التضرّع والابتهاج، وما شاكلهما.

اعلم أنّ دأبهم عليهم السلام فيما ذكرناه في بعض الأوان التّشبّث بالأسباب، والتمسك بالوسائل أوّلًا، ثمّ الإعراض عنها أخيراً، مشعراً ببيان فساده لوجهين:

أمّا أوّلًا: فلكونه بمنزلة الاستدلال على كون المحتاج إليه هو الله - سبحانه - وأنّ لا- مؤثّر في الوجود إلّا وينتهي إليه، فهو المؤثّر بالذات، ومسبّب الأسباب، فإنّ المطلوب المستدلّ عليه أوقع قبولاً من غيره، فأمثال هذه منهم بمنزلة القياس الاستثنائي، ولذا قال كثير من المفسّرين: (١) إنّ قول إبراهيم - على نبينا وآله وعليه السلام - ربوبيّة الكواكب مستدلّاً عليها بالإنارة والضياء والكبر أوّلًا، ثمّ الرجوع عنه مستدلّاً بالافول أخيراً، إنّما صدر عنه عليه السلام عمداً عالمياً بعدم ربوبيّتها في كلا الحالين لوجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام عن الشرك قبل البعثة

١- ١ انظر مثلاً تفسير مجمع البيان للطبرسي ٢: ٣٢٣-٣٢٤، ففيه تفصيل واف لما أشار إليه المؤلّف رحمه الله.

ص: ٥٩

أيضاً.

وأما ثانياً: فللاشعار بتفاوت مراتب التنزيه المسبب عن تفاوت درجات مراتب المعرفة وترتيبها، والإشارة إلى أن من بلوغ المرتبة العليا يُعلم عدم جواز الرجوع إلى المرتبة الدنيا، وأن ما يصل به العالم إلى نعيم قربه - تعالى - سبب لبعده الأعم منه أن جعله وسيلة، ألا ترى أنه - سبحانه - قال: «إن الأبرار لفي نعيم» (١)؟

وقد ورد في الخبر: «إن حسنات الأبرار سيئات المقربين».

الفصل الثاني: في تحقيق معنى الفقر.

قد اختلفت الآراء في تحقيقه، فجعله بعضهم ضد الغنى، وحكم بكونهما أمرين وجوديين.

وقال بعضهم بكون الغنى عدم ملكة الفقر، فحكم بكون التقابل بينهما تقابل العدم والملكة.

والحق عكس الثاني، وما قيل في تعريف الغنى من أنه عدم الحاجة فتعريف له يلازمه لا تحديده، لأن الفقر بحسب النظر الدقيق ليس إلفقد الكمال مطلقاً، أو ما يوصل إليه.

وبالجملة كل ما يكون وجوده شيء أولى من عدمه له فعدمه له من حيث هو كذلك نفس فقره، وفاقده من هذه الحيثية فقير وإن كان غنياً باعتبار وجود أمر آخر كمال له من جهة أخرى، كما أن الجاهل فقير لفقدان العلم الذي هو كمال لنفسه، وغنى بحسب وجود الشبغ مثلاً الذي هو كمال لبدنه، أو ما يتوصل به إليه، فالفقر نفس العدم، والغنى عين الوجود، فإن كان الوجود ذاتياً للشئ يكون غنياً بالذات، وإن كان من غيره يكون فقيراً بالذات غنياً بالغير، فالغنى بالذات هو الله - سبحانه -، وما سواه فقير إليه مطلقاً.

ص: ٦٠  
المقالة الأولى:

في حله على طريقته الصوفية (١) وهو موقوف على بيان مقدمه، وهي أن الفرق بين الواجب والممكن عندهم بالإطلاق والتقييد، ويعبرون عنه بالتعین، ويقولون: هو أمر اعتباري لا- حقيقي، ويعنون من الاعتباري ما لا يتصف بالوجود، فالكثرة وما يلزمها من الغيرية أمور اعتبارية غير موجودة؛ لأنّ الوجود بما هو وجود لا يقبل الكثرة، فالأمر الحقيقي هو الوجود المطلق، وهو عين حقيقة الواجبية، وما يعرضه من التعينات أمور اعتبارية، فالواجب هو الوجود المطلق، والمراد منه الوجود اللابشرط لا- المقيّد بقيد الإطلاق، لأنّ كلّ قيد عندهم اعتباري، والممكن هو

١-١ فرقة ظهرت في أواسط القرن الثاني أو في النصف الأخير منه؛ قيل: سموا بذلك لبسهم الصوف وقد اختاروه لرفضهم زينة الدنيا، واستغراقهم في أمر الآخرة؛ وقيل: لأنهم آثروا الذبول والتواضع والتخفي عن أعين الناس كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها، فقليل عنهم صوفية نسبة إلى الصوفة المرمية، فتكون نسبة الصوفية إلى الصوفة كنسبة الكوفي إلى الكوفة؛ وقيل: لأنهم في الصف الأول بين يدي الله- عز وجل- بارتفاع همهم وإقبالهم على الله بقلوبهم، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه؛ وقيل... وأكثر معتقدات الصوفية وطرقهم لا- تلتقى مع ما جاء به الإسلام من قريب أو بعيد، كالحلول والاتحاد، ووحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، ونظام الكون، والجنة والنار، وغيرها. ومن أقطابهم: إبراهيم بن أدهم، وحبيب العجمي، وذو النون المصري، وغيرهم. «بين التصوف والتشيع: ٢٨٤ و ٣٣٧ و ٤٨٨».

ص: ٤١

الوجود المتعين لكن لا بما هو موجود، بل بما هو متعين، فالفقر عندهم هو نفس التعينات الاعتبارية؛ لأنها إعدام صرفه كما عرفت. وإذا تمهدت هذه نقول: حل كلامه عليه السلام على رأيهم: أنه أراد أن يشير إلى بيان مراتب قرب السالكين إلى الله، والسائرين إليه، وترتب درجاته، وتفاوت مراتبه وغير المرتبة العليا من القرب الذي هو الوصول من المراتب التي وقعت في البين إنما يحصل للمتمسكين بالوسائل، وتختلف مراتب قريهم حسب اختلاف الوسائل قوة وضعفاً، وهي من الكثرة بحيث لا يكاد تنضب، ولا شك أن أقوى الوسائل هو ما يجده المتوسل من نفسه، لأن الوسيلة إذا كانت ذاتية يكون أتم وأقوى منها إذا كانت خارجية.

فأشار عليه السلام في الفقرة الأولى إلى هذا المقام وجوب الفقر الذي نفس التعين وسيلة للقرب، وعلمه محوغة إليه ضرورة احتياج المقيّد إلى المطلق، فمعناها: ها أنا أتوسل بسبب تعيني وهويتي إليك، وهذا القرب المطلق هو القرب الذي لم يبلغ درجة الوصول لكون الوسيلة فاصلة بين المتوسل والمتوسل إليه، والسالك في هذا المقام ملاحظ لنفسه فارق بينها وبين الذات الأحديّة، وكمال القرب هو الاتصال الذي عبارة عن ملاحظة العبد عينه متصلاً بالوجود الأحدي بقطع النظر عن تعين وجوده، وإسقاط إضافته إليه حتى يبقى موجوداً به، ولا يرى إلّا واحداً كما قال قائلهم:

در چنین حال دیده بگشاید در نظر جز یکیش ننماید ولا شك أن هذه المرتبة لا تحصل للعبد ما دام ملاحظاً لنفسه إذ لا يمكن أن يصل غبار التعين إلى ذيل جلال الإطلاق، فانقطع عن الوسيلة التي هي سبب للقرب المفصول طالباً للقرب الذي هو الاتصال، وقال: كيف أتوسل بما هو محال أن يصل إليك؟

ص: ٦٢

المقالة الثانية:

في حله على دأب الأشاعرة (١) وهو موقوف على بيان مقدمتين مترتبتين:

الأولى: ان ما يصدر عنه - تعالى - ليس على سبيل الإيجاب بمعنى امتناع انفكاك الأثر عن الذات كما يقول به الحكماء، ولا على سبيل الوجوب العقلي كما يقول به المعتزلة (٢)، بل كل ما يصدر عنه - تعالى - يصدر بالقدرة والاختيار، بمعنيصحة الفعل والترك مطلقاً، سواء كان بالنظر إلى ذاته كما يوافقهم فيه جمهور المعتزلة، أو بالنظر إلى غيره بخلاف ما ذهب إليه المعتزلة من عدمصحة الترك بالنظر إلى الداعي والعلم بالأصلح.

وبنوا على هذه المقدمة أن فعله - تعالى - ليس لغاية ولا - عرض، بل نفس إرادته القديمة كافية في صدور الفعل من غير إفضائه إلى الإيجاب والوجوب المذكورين.

الثانية: أن لا مدخلية لشيء من الأشياء في وجود أمر من الأمور، ولا في عدمها بنحو من الأنحاء حتى أنهم نفوا ربط الشرطية واللزوم والآلية وغيرها بين الأشياء بعضها بالنسبة إلى بعض.

وبالجمله نفوا افتقارها إلى ما سوى الله مطلقاً حتى حكموا بعدم افتقار العرض إلى الموضوع، وما يرى في الوجود من الارتباط بين الأشياء ليس ارتباطاً ذاتياً، بل هو مما جرت سنته - تعالى - عليه.

وبنوا على هذه المقدمة جواز تعذيب المطيع، وإثابة العاصي منه - تعالى - لعدم مدخلية الإطاعة والعصيان في الثواب والعقاب، لكن جرت سنته بإثابة المطيع، وتعذيب العاصي «ولن تجد لسنة الله تبديلاً» (٣)

، فكل ما يصل من الله إلى العبد من الخير والثواب تفضل منه - سبحانه - لا لأهليته العبد واستحقاقه.

١- ١ الأشعرية: هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري؛ قيل: ولد سنة سبعين ومائتين؛ وقيل: سنة ستين ومائتين بالبصرة، وقد توفي سنة تيف وعشرين وثلاثمائة. جدّه الأعلى أبو موسى الأشعري، المتوفى سنة ٤٢؛ وقيل: ٤٤ وهو ابن ثلاث وستين سنة. وإنّ أبا الحسن هذا كان معتزلياً في بادئ أمره إلّا أنّه رجح عن الاعتزال بسبب أسئلته التي كان يوجه بها إلى أستاذه المعتزلي أبي علي الجبائي وما كان يجد لها جواباً. وقد جاء الإمام الأشعري بمنهج معتدل، وقد أعلن أنّ المصدر الرئيس للعقائد هو الكتاب والسنة، وفي الوقت نفسه خالف أهل الحديث - الذين يكتفون بظواهر النصوص والأحاديث - بذكاء خاص عن طريق استغلال البراهين العقلية والكلامية على ما جاء في الكتاب والسنة. ومن أعلامهم: القاضي أبو بكر الباقلاني، وأبو منصور عبد القاهر البغدادي، وإمام الحرمين الجويني، وغيرهم. «الملل والنحل للشهرستاني ١: ٨٥، والملل والنحل للسبحاني ٢: ٢٩-٦».

٢- ٢ هم الذين كانوا يتمسكون بالعقل أكثر من النقل، ويؤولون النقل إذا وجدوه مخالفاً لفكرتهم وعقليتهم، وكان التشاجر قائماً على قدم وساق بينهم وبين أهل الحديث الذين تعيدوا بظواهر الآيات والروايات من دون غور في مفاهيمها. قيل: إن سبب تسميتهم هو اعتراضهم عن علي عليه السلام في محاربتة لمخالفيه؛ وقيل: اعتراضهم عن الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية، وقيل غير ذلك. من أقطابهم: واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، وأبو الهذيل العلاف، وأبو علي الجبائي، وغيرهم. «الملل والنحل للسبحاني ٢: ٥، و ٣: ١٥٥-١٨٤».

٣- ٣ سورة الأحزاب: ٦٢، سورة الفتح: ٢٣.

ص: ٦٣

إذا تمهدت هذه نقول: على وفق قواعدهم المذكورة: إنه عليه السلام لما علم جريان سنته بإفاضة الخير والوجود عند تمسك العبد بالوسائل - وكان من أعظم الوسائل هو الفقر - قال: «ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك». ولما كان هذا موهماً كونه مستحقاً المسؤول بهذه الوسيلة، وأن لها أثراً في فعله - تعالى - نفاه بقوله: «وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟» نافياً كونه مؤثراً، مثبتاً قدرته واختياره - سبحانه - في كلا الحالين، فأثبت كونه وسيلة بحسب عادة الله وسنته، ونفى كونه وسيلة مؤثرة بحسب الواقع لعدم إمكان التأثير من غيره - تعالى - فارتفع الاشكال واندفع التناقض.

المقالة الثالثة:

في حله على رأى الحكماء

ويتوقف بيانه على مقدمتين:

إحدهما: أن الممكن بما هو ممكن زوج تركيبى؛ لأن كونه ليس من ذاته غير كونه من فاعله، وهو مركب الحقيقة منهما، وهذا هو المراد من قولهم: الممكن في حد ذاته ليس وبفاعله يصير، أى فكل ممكن مشتمل على هاتين الجهتين، ويعبرون عن هذا العدم بالعدم الذاتى بمعنى عدم الاقتضاء، ويحكمون باجتماعه مع الوجود الفاض من العلة، ولا يلزم اجتماع النقيضين لاختلاف الإضافة، فجميع الممكنات معدومة في حدود ذواتها، موجودة بفاعلها.

الثانية: أنه لا بد من مناسبة بين العلة والمعلول مطلقاً، سواء كانت العلة من العلة الذاتية أو العرضية، وإلا لجاز استناد كل شىء إلى كل شىء، وكون كل شىء مصدراً لكل شىء، وما يرى في الوجود من الاختصاص (١) يكون ترجيحاً من غير مرجح، وهو محال، فتعين ضرورة المناسبة.

١- ١ أى اختصاص بعض الآثار ببعض المؤثرات دون بعض.

ص: ٦٤

إذا تقررت هذه فنقول: حلّه على رأيهم أنّه عليه السلام أراد أن يشير إلى أنّه - تعالى - كما يعطى الوجود الذى هو أعلم الكمالات، وأجلّ النعم إذ به ينال العبد كلّ خير وكمال، ولذّة ووصول، وبه يصل إلى سعادة الدارين، ومقاصد النشأتين، إذ لا يمكن أن يكون للمعدوم بما هو معدوم خير وسعادة ضرورة توقف الكمالات الثابتة، وما يتفرّع عليها على الكمال الأوّل الذى هو أصل آنيته، إذ به يظهر ماهيته وما يتفرّع عليها من خواصّه واعراضه، كذلك يعطى الوسائل إلى تحصيل السعادات، واستفاضة الخيرات، فجوده منوط بوجوده، ورحمته مرتبطة برحمته.

وهذا غاية التنزيه، وكمال التوحيد، ونفى الشرك الخفى الذى لا ينفك عنه إلّا الخائفون فى قمامس (١) أنوار معرفته، والغائصون فى بحار آثار قدرته. ولنعم ما قلت فى أثناء تحرير هذا المقام:

يا من تحقّق وجود العالمين من وجودك

من ذرّة جودك وكرمك طهر الخلق

جاهلون بذاتك نحن، وكلّ ما نعلمه عنك هي معرفتنا بآثارك

لقد مزجت فيض الأزل بالعدم

وبعثت إلى الوجود عالم الآثار

الثرى إثر فيضك وإحسانك غدا وجهاً صوباً (٢) علقه الدم غدت قلباً عارفاً (٣) كلّ قطرة هي من بحرك

كما الشمس التى هي ذرّة تجوب المدار

الذهب بصفائه ولونه الزاهى منك

قدرة قبضة الأسد منك

١- ١ القاموس والقومس: قعر البحر؛ وقيل: وسطه ومعظمه؛ وقيل: أبعد موضع غوراً فى البحر. «لسان العرب ٦: ١٨٣- قمس».

٢- ٢ إشارة إلى قوله - تعالى - فى سورة الحجّ: ٥: «يا أيّها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقه ثمّ من مضغةٍ...».

٣- ٣ إشارة إلى قوله - تعالى - فى سورة الحجّ: ٥: «يا أيّها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فأنا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقه ثمّ من مضغةٍ...».

ص: ٦٥

الطمأنينة والعذاب والحزن والأمل

كل ما له وجود فهو منك يا كريم

أفصح كلمك عن هذا السر

وأنطق بلسان العجز والسؤال

لقد هجر الإيمان قلب السامري

لأن لا أحد غيرك يهب الجسد روحاً (١) (٢) والوسيلة إلى قرب جنابه - سبحانه - إما أن تكون من ذات العبد الذي ليس أثراً لجعل الفاعل - أعني العدم الذاتي - المعبر عنه بالفقر في كلامه عليه السلام أو من الله - تعالى - أعني الوجود الفائض منه - سبحانه - مطلقاً، سواء كان جزء ذات العبد المتوسل كما عرفت في المقدمة الأولى، أو جزء ذات غيره، فإذا بطل صلوح كون الأول وسيلة تعين الثاني لامتناع الوساطة بين النفي والإثبات.

ولما كان الفقر مناسباً بالذات المتوسل لضرورة مناسبة الذاتي لما هو ذاتي له، فيتوهم صلوح كونه وسيلة أشار إليه عليه السلام في الفقرة الأولى بقوله: «ها أنا أتوسل إليك بفقرى إليك».

ولما كان من شرط الوسيلة أن تكون مناسبة للطرفين - أعني المتوسل والمتوسل إليه - والفقر لا يناسب الغناء المطلق والإمكان أبعد من أن يصل إلى حضرة الحق أشار إليه عليه السلام في الفقرة الثانية بقوله: «وكيف أتوسل إليك بما هو محال أن يصل إليك؟».

فهذا الكلام منه عليه السلام بمنزلة القياس الاستثنائي كما علمت في مقدمته الرسالة، فتعين أن يكون الوسيلة أثراً منه - سبحانه - سواء كان جزء ذاته كما عرفت أولاً، ولا يخفى من مناسبة الأول للطرفين.

أما مناسبة للمتوسل فلكونه مظهراً لهويته مبيناً مقتضيات ذاته.

١- ١ إشارة إلى قوله - تعالى - في سورة طه: ٨٧ و ٨٨: «... فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلًا جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى».

٢- ٢ كان المؤلف قد أنشأ شعراً بحدود ١١ بيت باللغة الفارسية، فأثبته بالهامش، وما في المتن هو مدلول هذه الأبيات، وهي: اي ز وجود تو وجود همه ذره از جود تو بود همه ما كه نداريم ز ذات خبر از تو چه گويم بغير از اثر فيض ازل با عدم آميختي عالم آثار برانگيختي دانه جود تو كشد دم بدم طاير ديگر ز شكاف عدم از تو هوا خلعت تقرير يافت نقد سخن قيمت اكسير يافت خاك ز فيضت رخ زيبا شده قطره خوني دل دانا شده باز همان قطره ز دريای تست ذره خورشيد فلک ساي تست قد خم و رنگ زر بری ز تو قوت سر پنجه شیری ز تو راحت و رنج و غم و امید و بیم هر چه بود از تو بود ای كريم کرد كلمت سر اين راز باز با تو بگفت از سر عجز و نیاز گر چه شد از سامری ایمان بباد جز تو بتمثال کسی جان نداد



ص: ٦٦

وأما للمتوسّل إليه فلكونه أثراً منه، ولا يخفى ما بين الشيء وأثره من المناسبه، وأما إذا لم يكن جزء ذاته فمناسبتها للمتوسّل إليه بين لكونها أثراً منه، ومناسبه للمتوسّل يعلم بحكم تشابه آثار المؤثر الواحد، بل من حيث اتّحادهما سنخاً. وبالجملة مراده عليه السلام نفي كون وسائل ذاته الإمكانية، وذوات الممكنات من حيث إنّها ممكنات لأنّه لو أمكن هذا لكان الفقر الذاتى الذى ليس أثراً منه- سبحانه- وسيله وهو محال فتعيّن أن يكون منه- تعالى- سواء كان نفس وجوده الذى هو جزء ذاته أوّلاً، وهذا لا ينافى ثبوت بعض الآثار لبعض الماهيات دون بعض؛ لأنّ هذه الآثار ليست مستندهً إلى إمكانه الذاتى الذى ليس متعلّق الجعل لاشتراكه بين الجميع، فتعيّن استنادها إلى المهية من حيث هي، والمهية كما هو الحقّ متعلّق للفعل وأثر للجعل، فصحة كون بعض الأمور وسيله بحسب الظاهر لحدوث بعض الآثار دون بعض لا ينافى المقصود؛ لأنّه لا يكون من جهة عدمه الذاتى الذى ليس متعلّقاً للجعل وسيله، بل يكون وسيله بجهة أخرى، واعتبار آخر، وهو بهذه الجهة والاعتبار أثر منه تعالى.

هذا آخر ما أردنا إيراده، والحمد لله أوّلاً وآخرأً.

تمّت فى يوم الاثنين الرابع عشر من شهر شعبان المعظم سنة ١١٥٢.

فهرس مصادر التحقيق:

١- القرآن الكريم.

٢- أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، نشر دار المعارف للمطبوعات- بيروت ١٤٠٣ هـ.

٣- إقبال الأعمال للسيد رضى الدين على بن طاووس، نشر دار الكتب الإسلامية- طهران ١٣٩٠ هـ (طبعة حجرية).

٤- بحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسى، نشر مؤسسه الوفاء- بيروت ١٤٠٣ هـ.

ص: ٦٧

- ٥- بحوث في الممل والنحل للشيخ جعفر السبحاني، نشر لجنة إدارة الحوزة العلميّة- قم ١٤٠٨ هـ.
- ٦- البلد الأيمن للشيخ تقى الدين إبراهيم الكفعمي (طبعة حجرية).
- ٧- بين التصوّف والتشيع لهاشم معروف الحسنی، نشر دار القلم- بيروت ١٩٧٩ م.
- ٨- تميم أمل الأمل للشيخ عبد النبي القزويني، نشر مكتبة آية الله المرعشي- قم ١٤٠٧ هـ.
- ٩- الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار الأضواء- بيروت ١٤٠٣ هـ.
- ١٠- زاد المعاد للعلامة محمد باقر المجلسي (طبعة حجرية).
- ١١- فهرس مخطوطات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- المطبوع بالفارسيّة.
- ١٢- الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر دار المرتضى- مشهد ١٤٠٤ هـ.
- ١٣- الكواكب المنتشرة في القرن الثاني بعد العشرة «طبقات أعلام الشيعة» للشيخ آقا بزرك الطهراني، نشر جامعه طهران.
- ١٤- لباب الألقاب في ألقاب الأطياب للمولى الآقا ملّا حبيب الله الشريف الكاشاني، المتوفى سنة (١٣٤٠ هـ)، نشر مكتبة «أبوذر الجمهرى المصطفوي»- سماه في الذريعة ١٨: ٢٧٧ رقم ٩٣:  
لباب الألباب في ألقاب الأطياب.
- ١٥- لسان العرب لابن منظور الأفريقي المصري، نشر أدب الحوزة- قم ١٤٠٥ هـ.
- ١٦- مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي- قم ١٤٠٣ هـ.
- ١٧- معالم العلماء لابن شهر آشوب المازندراني، المتوفى سنة ٥٨٨، نشر المطبعة الحيدريّة- النجف ١٣٨٠ هـ.
- ١٨- الممل والنحل للشهرستاني، منشورات الرضى- قم ١٣٦٤ هـ. ش.

ص: ٦٨

الهوامش:

**اقل ما يجب معرفته من تاليف الشهيد الثاني**





ص: ٧١

أقل ما يجب معرفته من تأليف الشهيد الثاني

أحكام الحج والعمرة

تحقيق رضا المختارى

ترجمة الشهيد الثاني:

وُلد العالم الجليل والفقير النبيل، بديع زمانه ونادرة أوانه، الشيخ زين الدين بن على بن أحمد العاملى الشامى المعروف بالشهيد الثانى - أفاض الله على روحه المراحم الربانية، وأسكنه فى جناته العلية- فى يوم الثلاثاء ثالث عشر شهر شوال سنة ٩١١، واستشهد فى شهر رجب سنة ٩٦٥.

قال فى وصفه المحقق التستريصاحب المقابس:

أفضل المتأخرين وأكمل المتبحرين، نادرة الخلف وبقية السلف، مُفتى طوائف الأمم، والمرشد إلى التى هى أقوم، قُدوة الشيعة ونور الشريعة، الذى قصرت الأكارم الأجلاء عن استقصاء مزاياه وفضائله السنية، وحارت الأعظم الألباء فى مناقبه وفضائله العلية .. المؤيد المسدد بلطف الله الخفى والجلى

ص: ٧٢

.. وله كتبٌ ورسائل كثيرةٌ فاخرةٌ مهذبَةٌ في فنونٍ مختلفةٍ ومطالبٍ متشعبةٍ .. (١).

ووصفه العلامة الأمين بقوله:

كان عالماً فاضلاً جليل القدر رفيع المنزلة تقياً نقياً ورعاً زاهداً عابداً، حائزاً لصفات الكمال، متفرداً منها بما لا يشاركه فيه غيره، مفخرة من مفاخر الكون وحسنه من حسنات الزمان .. كان فقيهاً ماهراً في الدرجة العليا بين الفقهاء .. والفقهاء أظهر وأشهر فنونه، وكتبه فيه .. مدار التدريس من عصره حتى اليوم، ومحط أنظار المؤلفين والمصنّفين، ومرجع العلماء والمجتهدين ...

وما ظنك برجل يؤلف مؤلفاته الجليلة الخالدة على مرور الدهور والأعوام في حالة الخوف على دمه، لا يشغله ذلك عنها مع ما تقتضيه هذه الحالة من توزع الفكر، واشتغال البال عن التفكير بمسألة من مسائل العلم، يؤلفها بين جدران البيوت المتواضعة وحيطان الكروم، لا في قصور شاهقة ورياض ناضرة، ولا مساعد له ولا معين حتى على تدبير معاشه ...

وما ظنك برجل من أعظم العلماء وأكابر الفقهاء يحرس الكرم ليلاً ويطلع الدروس، وفي الصباح يلقي الدروس على الطلبة - وكرمه الذي كان له في جُبع معروف محلّه إلى الآن - ويختطّب لعياله ليلاً .. ويباشر بناء داره ومسجده الذي هو جنبها في قرية جبع - وقد رأيتهما - وداره مفتوحة للضيوف والواردين وغيرهم، يخدمهم بنفسه، ويباشر أمور بيته ومعاشه .. ولا يدع لحظة تمضي من عمره في غير اكتساب فضيلة وإفادة مستفيد .. (٢).

وقال في وصفه تلميذه ابن العودي:

... ولقد كان مع علو همته وسمو منزلته على غاية من التواضع ولين الجانب، ويبذل جهده مع كلّ وارد في تحصيل ما يبتغيه من المطالب. إذا اجتمع بالأصحاب عدّ نفسه كواحدٍ منهم، ولم تملّ نفسه إلى التمييز بشيء عنهم ...

١-١ مقابس الأنوار: ١٥.

٢-٢ أعيان الشيعة ٧: ١٤٤-١٤٦.

ص: ٧٣

ولقد شاهدت منه سنة ورودى إلى خدمته أنه كان ينقل الحطب على حمارٍ فى الليل لعياله، ويصلّى الصّبح فى المسجد، ويشغل بالتدريس بقيّة نهاره ...

وكان يصلّى العشاء جماعةً، ويذهب لحفظ الكرم، ويصلّى الصّبح فى المسجد، ويجلس للتدريس والبحث كالبخر الزاخر ...  
... فقد كان غالب الزمان فى الخوف الموجب لإتلاف النفس، والتستّر والاختفاء الذى لا يسع الإنسان معه أن يفكر فى مسألة من الضروريات البديهية ...

... كانت أصابع يديه أقلام فضة، إذا نظر الناظر فى وجهه، وسمع عذوبه لفظه لم تسمح نفسه بمفارقته، وتسلى عن كلّ شىء بمخاطبته، تمتلئ العيوم من مهابته، وتتهج القلوب لجلالته. وأيم الله، إنه لفوق ما وصفت، وقد اشتمل من حميد الخصال على أكثر مما ذكرت (١).

وتحدّث عنه الشيخ على العاملي صاحب الدر المنثور حفيد الشهيد، فقال:

مما سمعته فى بلادنا مشهوراً، ورأيتة أيضاً مشهوراً فى غيرها أنه - قدّس الله روحه - لما سافر إلى اصطنبول، ووصل إلى المكان الذى قُتل به تغير لونه.

فسأله أصحابه عن ذلك، فقال ما معناه: «إنه يقتل فى هذا المكان رجل كبير - أو عظيم - له شأن». فلما أخذ قتل فى ذلك المكان (٢).  
وقال العلامة الأمينى أعلى الله مقامه فى ترجمته:

... فى رسالته مسائل السيد بدر الدين ... الحسينى المدنى التى سألتها عن الشيخ حسين بن عبد الصمد والد شيخنا البهائى ماصورته:  
سؤال: «ما يقول مولانا فيما يروى عن الشهيد الثانى أنه مرّ بموضع فى اصطنبول، ومولانا الشيخ معه، فقال: يوشك أن يُقتل فى هذا الموضع رجلٌ له شأن - أو قال شيئاً قريباً من هذا المعنى - ثم إنه استشهد رحمه الله فى ذلك الموضع، ولا

١- ١ الدر المنثور ٢: ١٥٥-١٥٧.

٢- ٢ الدر المنثور ٢: ١٨٩.



ص: ٧٤

ريب أن هذه من كراماته».

الجواب: «نعم، هكذا وقع منه قدس الله روحه، وكان الخطاب للفقير، وبلغنا أنه استشهد في ذلك الموضوع، وذلك مما كشف لنفسه الزكية، حشره الله مع الأئمة الطاهرين» (١).

وفي بعض المصادر توجد بعد الجواب هذه الزيادة: «كتبه حسين بن عبد الصمد الحارثي ثامن عشر ذى الحجة سنة ٩٨٣ في مكة المشرفة زادها الله شرفاً وتعظيماً» (٢).

ونقل عن بعض مؤلفات شيخنا البهائي رحمه الله أنه قال:

أخبرني والدي قدس سره أنه دخل فيصبيحة بعض الأيام على شيخنا الشهيد المعظم عليه [كذا] فوجده متفكراً، فسأله عن سبب تفكره، فقال: «يا أخي، أظن أنني أكون ثاني الشهيدين - وفي رواية: ثاني شيخنا الشهيد في الشهادة - لأنني رأيت البارحة في المنام أن السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله عمل ضيافة جمع فيها علماء الإمامية بأجمعهم في بيت، فلما دخلت عليهم قام السيد المرتضى ورحب بي، وقال لي: يا فلان اجلس بجانب الشيخ الشهيد. فجلست بجانبه، فلما استوى بنا المجلس انتبهت من المنام، ومنامي هذا دليل ظاهر على أنني أكون تالياً له في الشهادة» (٣).

ورثاه ابن العودي بقصيدة مفعلة لما بلغه خبر شهادته - وكان تلميذه الملازم له، كان وروده إلى خدمته في عاشر ربيع الأول سنة ٩٤٠، وانفصل عنه بالسفر إلى خراسان في عاشر ذى القعدة سنة ٩٦٢ (٤) - وإليك بعضها:

هدى المنازل والآثار والطلل محبرات بأن القوم قد رحلوا

ساروا وقد بعدت عنا منازلهم فالآن لا عوض عنهم ولا بدل

١- ١ شهداء الفضيلة: ١٣٧، وانظر الدر المنثور ٢: ١٩٠ الهامش.

٢- ٢ الدر المنثور ٢: ١٩٠ الهامش، أعيان الشيعة ٧: ١٥٧.

٣- ٣ روضات الجنات ٣: ٣٨٣، وانظر كلام الشهيد نفسه في عناية الله تعالى به في منية المرید: ١٦٠.

٤- ٤ انظر منية المرید: ١٠ و ٤٣ مقدمة التحقيق.

ص: ٧٥

فسرت شرقاً وغرباً في تطلبهم وكلما جئت ربعاً قيل لي: رحلوا  
فحين أيقنت أن الذكر منقطع وأنه ليس لي في وصلهم أمل  
رجعت والعين عبرى والفؤاد شج والحزن بي نازل والصبر مرتحل  
وعاينت عيني الأصحاب في وجلٍ والعين منهم بميل الحزن تكتحل  
هل نالكم غير بعد الإلف عن وطن؟ قالوا: فجعنا بزین الدين يا رجل  
أتى من الروم لا أهلاً بمقدمه ناع نعاه فنار الحزن تشتعل  
يقول: إن أولى العدوان قد شهروا سيف الضلال وللمذكور قد قتلوا  
لما سمعت كلام القوم خامرنى وجد وحلّ بقلبي المبتلى وجل  
وصار حزني أنيسى والبكا سكنى والنوح دأبى ودمع العين ينهمل  
لهفى له نازح الأوطان منجدلاً فوق الصعيد عليه الترب مشتمل  
مضرباً بالدماء لا غسل لا كفن لا قبر فيه يوارى ذلك البطل  
لا بلغ الله عيني طيب رؤيته ان حلّ في خاطري يوماً له بدل  
أشكو إلى الله رزءاً ليس يشبهه إلا مصيبة من في كربلا قتلوا  
لكن تسلت همومي مذ رأيتهم في النوم في جنة الفردوس قد نزلوا  
منعمين مع الأصحاب قاطبة في جنة الخلد لا بؤس ولا وجل

هذا، وحزني عليهم لا انقضاء له حتى أراهم عياناً حينما نزلوا (١)\*\*\* تتلمذ الشهيد الثاني على عدد كبير من علماء عصره من الخاصة  
والعامّة في مختلف العلوم، منهم: والده على بن أحمد، والشيخ على بن عبد العالی الميسى، والسيد بدر الدين حسن بن السيد جعفر  
الأعرجى الحسينى الكركى، والمحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكّي، وشهاب الدين أحمد الرملى الشافعى، والشيخ أبو  
الحسن البكرى، وشمس الدين ابن طولون الدمشقى الحنفى.

١-١ الدر المشور ٢: ١٩٧-١٩٨، والأبيات طبعت في هذا الكتاب مغلوطة، وصححناها بقدر الإمكان بعد المراجعة إلى سائر المصادر  
ونسخه المخطوطة.

ص: ٧٦

وتتلمذ عليه جمع غفير من العلماء منهم: الشيخ عز الدين حسين بن عبد الصمد والد الشيخ البهائي، والشيخ علي بن زهرة الجبعي، والسيد علي العاملي والد صاحب المدارك، والسيد عطاء الله بن السيد بدر الدين الحسيني الموسوي، والمولو محمود بن محمد اللاهيجاني، والسيد جمال الدين حسن بن السيد نور الدين، وابن شعير العاملي، والسيد علي بن الصائغ العاملي، والسيد نور الدين بن السيد فخر الدين عبد الحميد الكركي، وبهاء الدين محمد بن علي بن الحسن العودي الجزيني وهو من خواص تلاميذه، وهو الذي أَلَّف كتاباً في ترجمة الشهيد وسماه «بغية المرید في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد». أَلَّف الشهيد الثاني في عمره القصير (٥٤ سنة) زهاء ستين كتاباً ورسالة في مختلف الموضوعات، كان الكثير منها ولا يزال المورد الصافي لإفادة العلماء. منها:

الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، وهو أشهر مصنفاته، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، وهو أكبر مصنفاته، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان، المقاصد العلية في شرح الرسالة الألفية، الفوائد المليئة لشرح الرسالة النغلية، وتمهيد القواعد الأصولية والعربية، وهذه الكتب طبعت طبعه حجريه.

ولقد فقد عدد من آثار الشهيد مثل: غنية القاصدين في معرفة اصطلاحات المحدثين، منار القاصدين في أسرار معالم الدين، بغية المرید مختصر منية المرید، مبرّد الأکبار مختصر مسکن الفؤاد، ورسالة في عشرة مباحث من عشرة علوم. وهناك عدد من آثار الشهيد الموجهة لم يطبع بعد مثل: تقليد الميت، رسالة في التية، مناسك الحج، تيات الحج والعمرة، تحقيق الإجماع في زمن الغيبة، حاشية الألفية، تفسير آية البسملة، أجوبة المسائل السماكية وحاشية خلاصة الأقوال.

ص: ٧٧

لقد بدأت قبل عدّة أعوام تحقيق رسائل الشهيد الثاني، واللّه أسأل أن يوفّقني لإتمام هذا العمل، وقد تجلّت أولى عنايات الربّ لي أنْ ثَقَفْتُ مصورةً عددٍ من رسائل الشهيد كتبها بخطه الشريف قدس سره. وهذه الرسالة هي إحدى رسائله في الحجّ، ولم تطبع بعدُ - سوى طبعتنا هذه - . وقد حقّقناها اعتماداً على مخطوطتين منها، إحداها ضمن مجموعة محفوظة في مكتبة الأستاذ حجّة الإسلام والمسلمين الحاج السيّد محمد علي الروضاتي

ص: ٧٨

دامت افاضاته، وثانيتها ضمن مجموعة محفوظة في مكتبة الفاضل المعاصر فخر الدين النصيري الأميني دام بقاءه. ولم أعثر لهذه الرسالة على مخطوطة غير هاتين سوى مخطوطة محفوظة في المكتبة الوطنية بطهران برقم ٢٥٧٣/٣، مذكورة في فهرسها ج ١٢، ص ٥٠٢-٥٠٣، ولكن لم يعلم مفهرس المكتبة أنها من تأليف الشهيد الثاني قدس سره. الحمد لله مُسهِّل الصعاب وميسر الحساب، والصلاة على أشرف الأحاب وعلى آله وأصحابه خير آل وأصحاب. وبعد، فهذه جملة كافلة بيان أقل ما يجب معرفته من أحكام الحج والعمرة؛ تسهلاً على المكلفين وتيسيراً على المتعلمين، فإن التيسير مُراد الله تعالى، وهو حسبنا ونعم المعين.

اعلم أن الواجب على الآفاقي - وهو من نأى منزله عن مكة بمرحلتين مع استطاعته إلى الحج - حج التمتع، وهو الذي يقدم عمرته على حجه.

والواجب إذا وصل إلى ميقات الإحرام - وهو مسجد الشجرة لمن حج على طريق المدينة، والجحفة لمن حج على طريق مصر، ويملك لأهل اليمن ولمن قربه، والعقيق لأهل العراق ومن في معناهم، ومحاذي أحد المواقيت ولو ظناً لمن لم يصادف طريقه أحدها - أن يحرم منه بأن ينزع المخيط ويكشف رأسه وقدميه إلا ما يتوقف عليه لبس النعلين إن كان رجلاً، ويزل ما على بدنه من رائحة الطيب. ثم ينوي العمرة، وصفتها: «أخرم بعمرة التمتع لوجوبه قربة إلى الله»، ولو اقتصر على قوله - ناوياً: «أخرم بالعمرة لله» كفى - ثم يلبي ناوياً: «أبى لوجوبه قربة إلى الله»، ويكفى «أبى لله» ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك، إن الحمد والنعمة

ص: ٧٩

والملك لك، لا شريك لك لبيك».

ويُسَنُّ قبل الإحرام توفير شعر الرأس من أول ذى القعدة، والتنظيف عنده بإزالة شعر العانة والإبط، وقصّ الأظفار، والغسل، ثم يصلى سنّة الإحرام، وهى ستّ ركعات، وأقله ركعتان، وتبتهما: «أصلى ركعتين من سنّة الإحرام لله تعالى».

فاذا نزع المخيط لبس ثوبى الإحرام، يأتزر بأحدهما ويرتدى بالآخر أو يتوشح به. ويعتبر كونهما من جنس ما تصح الصلاة فيه اختياراً، وتجوز الزيادة عليهما، ويسنّ كونهما من القطن الأبيض الخالص.

فاذا عقد الإحرام بالتلبية حرم عليه صيد البر الممتنع بالأصالة المحلل، وسنّه من المحرّم: الأسد والثعلب والأرنب والضب واليربوع والقنفذ، وأكله والإعانة عليه، والاستمتاع بالجماع ومقدماته، وعقد النكاح، واستعمال الطيب مطلقاً، والاكتحال بالسواد، والأدهان بالدهن المطيب وغيره، وإخراج الدم وإزالة الشعر اختياراً فيهما، وقلم الأظفار، وقطع الشجر والحشيش النابتين فى الحرم إلّا الإذخر وما فى معناه، والفسوق وهو الكذب مطلقاً، والجدال وهو الحلف مطلقاً، ولبس الخاتم والحناء للزينة لا للسنّة - فيهما - والفارق القصد، وقتل القمل وغيره من هوائم الجسد، والنظر فى المرأة، ولبس المخيط للرجل وإن قلت الخياطة - عدا المنطقه والهميان - وفى معناها الزرّ، والخلال ولبس ما أحاط بالبدن من اللبّد والدرع، والتظليل سائراً اختياراً، وتغطية الرأس ولو بالارتماس، وستر ظهر القدم بالخفّ ونحوه، وتغطية المرأة وجهها إلّا القدر الذى يتوقّف عليه تغطية رأسها، ويجوز لها سدّل ثوب على وجهها على وجه لا يصيبه، ويحرم عليها لبس ما لم تعتده من الحلى، وما اعتادته بقصد الزينة أو مع إظهاره للزوج.

ص: ٨٠

فإذا فعل المحرم شيئاً من هذه المحرمات: فإن كان جاهلاً أو ناسياً فلا شيء عليه إلاًفى الصيد، فلا يفزق فيه بين العامد وغيره، وإن كان عامداً أثم ووجبت عليه الكفارة إلاًفى الاكتحال والأدهان بغير المطيب وإخراج الدم ولبس الخاتم والحناء والنظر فى المرأة والفسوق ولبس الحلى، فلا شيء فيها سوى الإثم.

والكفارة فى الباقى مفصلة فى بابها.

فإذا وصل إلى مكة وجب أن يتدئ بطواف العمرة فيتطهر من الحدث والخبث على حد ما يعتبر فى الصلاة، ويستر عورته، «ويختتن إن كان رجلاً مع المكنة» كالصلاة.

وكيفية الطواف: أن يقف بإزاء الحجر الأسود مستقبلاً له، جاعلاً أول جزء منه ممّا يلى الركن اليمانى، محاذياً لأول كتفه الأيمن ولو ظناً، ثم ينوى: «أطوف طواف العمرة لوجوبه قربة إلى الله» ثم ينتقل ويجعل البيت على يساره، ويطوف به سبعة أشواط من غير زيادة ولا نقصان فى القدر الذى بين البيت والمقام، مدخلاً للحجر فى الطواف، مخرجاً لجميع بدنه عن البيت، فلا يمس الحائط ماشياً بل يقف إن أراد، ولا ينتقل حتى يخرج يده عنه.

فإذا فرغ من الطواف وجب عليه صلاة ركعتيه خلف المقام أو مع أحد جانبيه وتيتهما: «أصلى ركعتى طواف العمرة لوجوبه قربة إلى الله».

فإذا فرغ من الصلاة خرج إلى السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط بادئاً بالصفا خاتماً بالمروة، مستقبلاً للمطلوب بوجهه، ذاهباً بالطريق المعهود، وتيته- وهو على الصفا: «أسعى سعى العمرة لوجوبه قربة إلى الله».

فإذا فرغ من السعى قصر من ظفره أو من شعره مسماً ناوياً: «أقصر لوجوبه قربة إلى الله».

وبالتقصير يتحلل من عمره التمتع- لا الحلق- وهو آخر أفعالها، ويبقى

ص: ٨١

على إحلاله إلى أن يحرم بالحج.

ويستحب كونه يوم الثامن من ذى الحجة من المسجد الحرام، وأفضله المقام أو الحجر تحت الميزاب، ونيتته: «أحرم بحج التمتع لوجوبه قرباً إلى الله» ثم ينوي التلبية: «أبى لوجوبه قرباً إلى الله» [ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك، إن الحمد والنعمة والملك لك، لا شريك لك لبيك»].

فإذا وصل إلى عرفات وجب عليه الكون بها من زوال الشمس يوم التاسع إلى غروبها ناوياً - قبل الزوال أو بعده بغير فصل تقريباً: «أقف بعرفة لوجوبه قرباً إلى الله».

فإذا غربت الشمس أفاض إلى المشعر الحرام، ووجب عليه المبيت به بقيته تلك الليلة ناوياً: «أبيت بالمشعر لوجوبه قرباً إلى الله»، فإذا أصبح وجب عليه الكون به إلى طلوع الشمس ناوياً بعد الفجر أو قبله - كما مرّ - «أقف بالمشعر لوجوبه قرباً إلى الله». ولو اقتصر على نية واحدة حين الوصول إليه ليلًا تشتمل على قصد الكون به إلى طلوع الشمس كفى.

فإذا طلعت الشمس أفاض إلى منى، ووجب عليه بها ثلاثة أفعال: رمى جمرة العقبة بسبع حصيات حرمية أبكار، مبتدئاً به عند وصوله إلى منى، ثم ذبح الهدى، وهو ثني من النعم تأم الخلقه سمين بحيث يكون على كليته شخم ولو ظناً، وتفريقه ثلاثة أجزاء: فياكل شيئاً منه، ويهدي ثلثه لبعض إخوانه من المؤمنين، ويتصدق بثلثه على فقير من فقرائهم. ونية الرمي: «أرمى هذه الجمرة بسبع حصيات لوجوبه قرباً إلى الله». ونية الذبح: «أذبح هذا الهدى لوجوبه قرباً إلى الله». ونية الأكل والإهداء والصدقة: «أكل من هذا الهدى لوجوبه قرباً إلى الله، أهدى ثلث هذا الهدى لوجوبه قرباً إلى الله، أتصدق بثلث هذا الهدى لوجوبه قرباً إلى الله».



ص: ٨٢

فإذا فرغ من ذلك حلق رأسه أو قصّر من شعره أو ظفره - كما مرّ - ناوياً: «أحلق رأسي - أو أقصّر - لوجوبه قربةً إلى الله».

فإذا فعل ذلك أحلّ من كلّ شيءٍ عدا النساء والطيب والصيد، فإذا طاف للحجّ وسعى حلّ له الطيب، فإذا طاف للنساء حللن له. ثم يخرج إلى مكّة من يومه إن أمكنه الرجوع قبل الغروب، وإلا فمن غده أو بعد انتصاف الليل. فإذا وصل إلى مكّة وجب عليه طواف الحجّ وصلاة ركعتيه، ثم السعي بين الصفا والمروة سبعمائة - كما مرّ - ثم طواف النساء ثم صلاة ركعتيه، وكيفياتها وواجباتها كما مرّ، إلا أنه ينوي طواف الحجّ وسعيه وطواف النساء، وصفته: «أطوف طواف الحجّ لوجوبه قربةً إلى الله، أصلي ركعتي طواف الحجّ لوجوبه قربةً إلى الله، أسعي سعي الحجّ لوجوبه قربةً إلى الله، أطوف طواف النساء لوجوبه قربةً إلى الله، أصلي ركعتي طواف النساء لوجوبه قربةً إلى الله».

فإذا فرغ من ذلك وجب عليه الرجوع إلى منى للمبيت بها ليالي التشريق الثلاث، وهي الحادية عشرة والثانية عشرة والثالثة عشرة. ويجوز لمن اتقى الصيد والنساء الاقتصار على مبيت الليلتين الأوليين ما لم تغرب عليه الشمس في الليلة الثالثة، فيجب عليه مبيتها مطلقاً ناوياً عند الغروب: «أبيت هذه الليلة بمنى لوجوبه قربةً إلى الله».

ويجب رمي الجمرات الثلاث كلّ واحدة بسبع حصياتٍ في كلّ يوم يجب مبيت ليلته. وثية الرمي: «أرمي هذه الجمره بسبع حصياتٍ لوجوبه قربةً إلى الله».

ولو اقتصر في جميع هذه التيات على قوله: «أفعل كذا لله» من غير تعرّض للوجوب ولفظ القربة كفى.

ص: ٨٣

والنائب عن غيره يُضَيَّفُ إلى ذلك: «نيابةً عن فلان» أو «عمّن استؤجرت عنه». وحسبنا الله وكفى، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين.  
الهوامش:

**امارة الحج وبيت الموسوى**

ص: ٨٤

فارس تبريزيان الحسون

إمارة الحج وبيت الموسوى

بعد النظر والتأمل في أمّهات مصادر التاريخ التي لها صلة بتاريخ الحج، وما جرى على حجاج بيت الله الحرام من أنواع العذاب والزجر، يتبين أن مسلمى القرن الرابع الهجرى كانوا أكثر من تحمّل القتل والنهب بسبب إقامتهم مراسم الحج، وعدم تعطيلهم لهذه الفريضة الإلهية، فقد عاشوا في زمن وظروف صعبة للغاية، حيث اضطرت أحوال الدولة، وتنازعت السلطة على الحرمين الشريفين فئات مختلفة، حتى إن بعض الأعراب كانت مهنتهم وعملهم اعتراض قوافل الحجاج ونهبها، ومنع الناس من مواصلة المسير نحو مكة لأداء فريضة الحج، حتى بلغ بهم الأمر إلى أسر الحجاج واسترقاقهم، وفرض الضرائب عليهم. وكانت هذه المسائل في تزايد حتى بلغت ذروتها في أواسط القرن الرابع الهجرى، وتعدت إلى القرن

ص: ٨٥

الخامس الهجرى.

هكذا كانت ظروف الحج فى هذه البرهه من الزمن بل أكثر بكثير من ذلك، وفى مثل تلك الأزمنه وأوضاعها لم يكن الإعداد للحج، ورعايه قوافله، وأداء الشعائر، ثم العوده إلى الوطن أمراً سهلاً، وقد كانت هذه المهام تقع على عاتق أمير الحج أو من ينوب عنه. وفى مثل تلك الفترة الشديده- التى تعدّ أشد وأصعب فترة مرّ بها الحجاج على مرّ العصور- كانت مباشرة بيت أبى أحمد الموسوى لإمارة الحج، ومن هنا تتضح جسامه المهمه التى تقلدها هذا البيت الشريف.

وظائف أمير الحج:

الولاية على الحج ضربان:

أحدهما: أن تكون على تسيير الحجيج.

الثانى: أن تكون على إقامة الحج.

أما الولاية على تسيير الحجيج:

فهى ولاية سياسيه وزعامه وتديبر، ويشترط فى المولى والأمير على هذه المهمه أن يكون مطاعاً، ذا رأى وشجاعه وهيبه وهدايه. وتجب على أمير الحج فى هذه الولاية عشرة أشياء:

١- جمع الناس فى مسيرهم ونزولهم حتى لا يتفرقوا فيخاف التوى والتغيرير.

٢- ترتيبهم فى المسير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقاداً، حتى يعرف كل فريق منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل، فلا يتنازعون فيه ولا يضلّون عنه.

٣- يرفق بهم فى السير حتى لا يعجز عنه ضعيفهم، ولا يضلّ عنه منقطعهم، فقد روى عن النبي صلى الله عليه و آله أنه قال: «الضعيف أمير الرفقة»، يريد صلى الله عليه و آله: أن من ضعفت دوابه كان على القوم أن يسيروا بسيره.

٤- أن يسلك بهم أوضح

ص: ٨٦

الطرق وأخصبها، ويتجنب أجدبها وأوعرها.

٥- أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت، والمراعى إذا قلت.

٦- أن يحرسهم إذا نزلوا، ويحوطهم إذا رحلوا، حتى لا يتخطفهم داعر، ولا يطمع فيهم متلصص.

٧- أن يمنع عنهم من يصدّهم عن المسير، ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج، بقتال إن قدر عليه، أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه. ولا يسعه أن يجبر أحداً على بذل الخفارة إن امتنع منها، حتى يكون باذلاً لها عفواً، ومجيباً إليها طوعاً، فإنّ بذل المال على التمكين من الحج لا يجب.

٨- أن يصلح بين المتشاجرين، ويتوسط بين المتنازعين، ولا يتعرض للحكم بينهم إجباراً إلا أن يفوض الحكم إليه، على أن يكون من أهله، فيجوز له حينئذ الحكم بينهم، فإن دخلوا بلداً فيه حاكم جاز له ولحاكم البلد أن يحكم بينهم، فأيهما حكم نفذ حكمه.

٩- أن يقوم زائنهم ويؤدّب خائنهم، ولا يتجاوز التعزير إلى الحدّ، إلا أن يؤذن له فيستوفيه إن كان من أهل الاجتهاد فيه.

١٠- أن يراعى اتساع الوقت حتى يؤمن القوات، ولا يلجئهم ضيقه إلى الحثّ في السير، فإذا وصل إلى الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سنه.

وأما الولاية على إقامة الحج، فالوالى فيه بمنزلة الإمام فى إقامة الصلوات، فمن شروط الولاية عليه مع الشروط المعترية فى أئمة الصلوات: أن يكون عالماً بمناسك الحج وأحكامه، عارفاً بمواقيته وأيامه، وتكون مدّة ولايته مقدرة بسبعة أيام: أولها من صلاة الظهر فى اليوم السابع من ذى الحجة، وآخرها يوم الثالث عشر من ذى الحجة.

وعلى الذى يختص بولايته خمسة أحكام متفق عليها، وحكم سادس مختلف فيه:

ص: ٨٧

- ١- إشعار الناس بوقت إحرامهم، والخروج إلى مشاعرهم، ليكونوا له متبعين، وبأفعاله مقتدين.
  - ٢- ترتيبهم للمناسك على ما استقرّ الشرع عليه؛ لأنه متبوع فيها، فلا- يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدماً، سواء كان الترتيب مستحقاً أو مستحباً.
  - ٣- تقدير المواقع بمقامه فيها ومسيره عنها، كما تقدّر صلاة المأمومين بصلاة الإمام.
  - ٤- اتباعه في الأركان المشروعة فيها، والتأمين على أدعيته بها؛ ليتبعوه في القول كما اتبعوه في العمل.
  - ٥- إمامتهم في الصلوات.
- وأما السادس المختلف فيه:
- حكمه بين الحجيج فيما لا يتعلق بالحج وإقامة التعزير والحدّ في مثله (١).
- هذه هي شروط أمير الحاج آنذاك، وهي ذات فروع كثيرة ومتشعبة وصعبة.
- وبيت أبي أحمد الموسوى- الذي كان مشهوداً له بالإقدام على صعاب الأمور، وتحمل المسؤوليات- تقلّد مهمة أمير الحاج والولاية على الحج، سواء في ذلك الولاية على تسيير الحجيج، أم الولاية على إقامة الحج، وأدى هذا البيت المبارك هذه المهمة أحسن أداء، وسيأتى تفصيل ذلك.
- بيت أبي أحمد الموسوى:
- عرف هذا البيت المبارك من بدو أمره بالبركة واليمن والصلاح والكرم والتدين والإباء و...، لأنه غصن من أغصان شجرة النبوة، وفرع من فروع ذلك البيت الطاهر الذي أذهب الله عنه الرجس. وقد عرف من هذا البيت الشريف ثلاثة أعلام:
- ١- أبو أحمد الموسوى.
  - ٢- الشريف الرضى.
  - ٣- الشريف المرتضى.
- أبو أحمد الموسوى:
- الحسين بن موسى بن محمد بن

ص: ٨٨

موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام بن الإمام محمد الباقر عليه السلام بن الإمام على زين العابدين عليه السلام، بن الإمام الحسين السبط الشهيد عليه السلام بن الإمام على بن أبى طالب عليه السلام. ولد سنة ٣٠٤هـ، وتوفى سنة ٤٠٠هـ، ودفن أولاً فى داره، ثم نقل إلى مشهد الإمام الحسين عليه السلام.

كان جليل القدر، عظيم المنزلة فى دولة بنى العباس ودولة بنى بويه، ولقب بالطاهر ذى المناقب، وخاطبه بهاء الدولة أبو نصر بن بويه: الطاهر الأوحد.

ولّى نقابة الطالبين خمس دفعات، ومات وهو متقلداً، وكان السفير بين الخلفاء وبين الملوك من بنى بويه، والأمراء من بنى حمدان وغيرهم.

كان مبارك الغرة، ميمون النقيبة، مهيباً نبيلاً، ما شرع فى إصلاح أمر فاسد إلا واصلح على يديه، وانتظم بحسن سفارته وبركة همته، وحسن تدبيره ووساطته.

واجه الشريف أبو أحمد الموسوى ظروفاً صعبة وعسيرة، وذلك من قبل أعداء مذهب أهل البيت عليهم السلام، لأنهم كانوا يموتون غيضاً عندما ينظرون إلى أحد علماء الشيعة يتقلد منصباً ما، حتى أنهم لفقوا عليه الاتهامات، وزوروا عليه كتاباً نسبوه إليه فى إفشاء الأسرار، مما أدى إلى عزله عن النقابة وإمارة الحج. ثم قبض عليه، وقد نصّ أكثر المؤرخين بأنه كان مظلوماً. ولما ولّاه بهاء الدولة قضاء القضاء، هذا المنصب المهم اشتد غيظ الأعداء، وسعوا بكل قدراتهم حتى تمكنوا من تغيير هذا المنصب عنه (١).

الشريف الرضى:

محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أبو الحسن الرضى الموسوى. نقيب العلويين ببغداد، أخو

١- ١ شرح نهج البلاغ لابن أبى الحديد ١: ٣١-٣٢، المنتظم ٧: ٢٤٧، البداية والنهاية ١١: ٢٩٥، الكامل فى التاريخ ٩: ١٠٥، أعيان الشيعة ٦: ١٨٣.

ص: ٨٩

المرتضى، كان فاضلاً عالمياً ورعاً، عظيم الشأن رفيع المنزلة.

ولد سنة ٣٥٩ هـ، وتوفى سنة ٤٠٦ هـ فى السادس من المحرم، وشهد جنازته الوزير فخر الملك وجميع الأعيان والأشراف والقضاء، وورثاه أخوه الشريف المرتضى وغيره بأبيات.

وكان شاعراً مبرزاً، حتى قيل:

إنه أشعر قريش، نظم الشعر وهو ابن عشر سنين.

تعلم فى نشأته العلوم العربية وعلوم البلاغة والأدب، والفقه والكلام والتفسير والحديث على مشاهير العلماء ببغداد، كالشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان، وأبى الفتح عثمان بن جنى.

كان أوحد علماء عصره، أديباً بارعاً متميزاً، وفقهياً متبحراً، ومتكلماً حاذقاً، ومفسراً لكتاب الله وحديث رسوله.

قال بعض العلماء: لولا الرضى لكان المرتضى أشعر الناس، ولولا المرتضى لكان الرضى أعلم الناس (١).

ولم يمنع الشريف الرضى انتظامه فى سلك العلماء والفقهاء وأعاضم الأدباء من تولّى أعلى المناصب، بل كان يرى أنه أحق بالخلافة من غيره، وذلك من باب النيابة العامة التى جعلت فى زمن الغيبة الكبرى للعلماء العدول الصائنين لدينهم، المخالفين لهوهم، المطيعين لأمر مولاهم.

فتقلد الشريف الرضى نقابة الطالبين مراراً، وكانت إليه إماره الحج والمظالم، كان يتولى ذلك نيابة عن أبيه، وبعد وفاة أبيه مستقلاً.

وحج بالناس مرّات، وله فيها مواقف عظيمة سجلها التاريخ وأبقى له ذكرى خالده، وقصائده الحجازيات من أشهر شعره (٢).

قال حسن محمود: وقد تولى الرضى هذه الإمارة منذ صباه، وفى أكثر أيام حياته وزيراً لأبيه ونائباً عنه ومستقلاً بها، وقد عانى الكثير، وكانت دافعاً له لتغذية طموحه نحو المجد والعلى؛ لأن تلك الإمارة مهما كانت محدودة هى مثال مصغر لتلك المرتبة

١- ١ رجال النجاشى: ٣٩٨، خلاصة الأقوال: ١٦٤، الكامل فى التاريخ ٩: ٢٦١-٢٦٢، مرآة الجنان ٣: ١٨، العبر ٣: ٩٥، شرح نهج

البلاغة، الجزء الأول، مقدمة المؤلف، روضات الجنات ٦: ١٧٩-١٨٠، أعيان الشيعة ٩: ٢١٦، سفينة البحار ٣: ٣٧٢.

٢- ٢ أعيان الشيعة ٩: ٢٢٠، روضات الجنات ٦: ١٧٩ و ١٨١، الغدير ٤: ٢٤٢.



ص: ٩٠

التي يتوق إليها منذ صغره، ويرى أنه الأجدر بها.

وكانت إمارة الحج متشعبة، فهي إما إمارة على تسيير الحجيج أو على إقامة الحج، والإمارة التي تولّاها أبو أحمد وولده الرضى كانت تجمع بين الأمرين؛ لأنهما كانا إذا تخلّفا عن الركب أبابا عنهما من يحج بالناس.

وتسيير الحجيج ولاية سياسة، تقتضى تدبيراً لأمر القافلة قبل الرحلة وتأمين السبل لها، ويشترط في أميرها أن يكون مطاعاً شجاعاً صاحب رأى وهيبه وهداية، يقيم حدود الله، ويقضى بين الناس، ويدبر لهم ما يحتاجون إليه وكذلك فإنّ الولاية على إقامة الحج تقتضى من صاحبها فقهاً في الدين، وبصراً بشعائر الحج، وأن يكون قدوة صالحة (١).

ومرّ الشريف الرضى - رضوان الله عليه - بظروف صعبة جداً، وهي على قسمين:

الأول: زمن اعتقال والده حيث لفقوا عليه التهم وهو برىء منها، وقد سبق ذكره.

الثاني: اتهامه بالميل إلى ولاة الدولة الفاطمية بمصر، بعد أن اشتهرت قصيدة مطلعها:

ما مقامى على الهوانِ وعندى مقولّصارمٍ وأنفٌ حمى إلى آخر الأبيات التي فيها إظهار أمنيته بالالتحاق بمصر، وأنّ بقاءه في بغداد فيه ذلّ وضيم وهوان، ونسبت هذه القصيدة إلى الشريف الرضى، فعقد القادر بالله مجلساً، أحضر فيه الطاهر أبا أحمد الموسوى، وابنه أبا القاسم المرتضى، وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء، وأبرز إليهم أبيات الرضى، وقال للنقيب أبى أحمد:

قل لولدك محمد: أى هوان قد أقام عليه عندنا؟ أى ضيم لقي من جهتنا؟

وأى ذل أصابه فى مملكتنا؟ وما الذى يعمل معصاحب مصر لو مضى إليه، أكان يصنع إليه أكثر من صنعنا؟ ألم نولّه النقابة؟ ألم نولّه

الحجيج؟ فهل كان

ص: ٩١

يحصل له من صاحب مصر أكثر من هذا؟ ما نظنه يكون لو حصل عنده إلاً واحداً من أبناء الطالبين بمصر. فاعتذر والد الشريف الرضى بأنه لم يسمع هذه الأبيات منه، بل نسبها له الأعداء، فعندها أمر القادر بالله بترتيب محضر يتضمّن القدح فى أنساب ولاء مصر، وأمضى فيه الكثير، وامتنع الرضى من إمضائه، واعتذر بخوفه من غيلة دعاة المصريين (١). هذه هى أصل الواقعة، وهى كانت الأشعار للشريف الرضى، أم نسبت إليه لتكون مقدمة لترتيب المحضر الذى يتضمّن القدح فى أنساب ولاء مصر؟ وهل وقع فى المحضر الشريف الرضى بعد الامتناع، أم استمر امتناعه من التوقيع حتى النهاية؟ أسئلة تحتاج إلى مزيد من البحث ليس هذا محلها.

الشريف المرتضى:

على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، أبو القاسم المرتضى ذو المجدين علم الهدى.

حاز من العلوم ما لم يدانه فيه أحد فى زمانه، متوحد فى علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدّم فى علوم، مثل علم الكلام والفقه وأصول الفقه، والأدب من النحو والشعر واللغة وغير ذلك، وسمع من الحديث فأكثر، عظيم المنزلة فى العلم والدين والدنيا، صنّف كتباً كثيرة فى شتى العلوم، وبكته استفادت الإمامية منذ زمنه إلى زماننا هذا.

قال الشيخ أبو العباس النجاشى: مات رضى الله عنه لخمسة بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ هـ، وصلى عليه ابنه فى داره ودفن فيها، وتولت غسله ومعى الشريف أبو يعلى محمد بن الحسن الجعفرى وسلار بن عبد العزيز، وكان مولده فى شهر رجب سنة ٣٥٥ هـ.

قرأ على الشيخ المفيد محمد بن

ص: ٩٢

محمد بن النعمان وغيره من علماء الفريقين، وكان يدرّس في علوم كثيرة ويجرى على تلامذته رزقاً، فكان للشيخ الطوسى أيام قراءته عليه كل شهر ١٢ ديناراً، وللقاضى ابن البراج كل شهر ٨ دنانير.

تولّى نقابة النقباء وإمارة الحج والمظالم بعد أخيه الرضى أبى الحسن، وهو منصب والديهما، وكان هو وأخوه الرضى ينوبان والديهما في حياته في سنين كثيرة لإمارة الحج.

إمارة بيت أبى أحمد الموسوى للحج حسب تسلسل السنين:

في هذا الفصل من البحث نذكر ما سطره المؤرخون في كتبهم من إمارة بيت أبى أحمد الموسوى حسب تسلسل السنين، وهذا لا يعنى أن ما ذكره المؤرخون هو جميع ما كان من إمارتهم للحج، فإنّ الشواهد التاريخية تدلّ على أنّ إمارتهم كانت أكثر من هذا الذى ذكر بكثير، لكنه سقط من أقلام المؤرخين.

سنة ٣٥٤هـ:

وفيها رابع جمادى الآخرة تقلّد الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى والد الرضى والمرضى نقابة العلويين، وإمارة الحاج، وكتب له منشور من ديوان الخليفة (١).

سنة ٣٥٨هـ:

فيها حجّ بالناس من العراق أبو أحمد الموسوى (٢).

سنة ٣٥٩هـ:

فيها حجّ بالناس من بغداد أبو أحمد النقيب (٣).

سنة ٣٦٠هـ:

فيها حجّ بالناس من بغداد النقيب الشريف أبو أحمد الموسوى (٤).

وفي المنتظم ٧: ٢٤٧. ولى النقابة في سنة ٣٥٤، ثمصرفه أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازى وزير عزّ الدولة سنة ستين.

١- ١ الكامل فى التاريخ ٨: ٥٦٥-٥٦٦، المنتظم ٧: ٢٤.

٢- ٢ النجوم الزاهرة ٤: ٢٦، تاريخ الإسلام: ٤٣ حوادث سنة ٣٥١-٣٨٠.

٣- ٣ تاريخ الإسلام: ٤٦ حوادث سنة ٣٥١-٣٨٠.

٤- ٤ النجوم الزاهرة ٤: ٥٨.

ص: ٩٣

سنة ٣٧٦ هـ:

فيها أعيد أبو أحمد إلى النقابة لما مات عضدالدولة فيصفر سنة ٧٦ هـ (١).

ومن مستلزمات إعادته إلى النقابة إعادته إلى إمارة الحج.

سنة ٣٨٠ هـ:

في ربيع الأول قُلت الشريف أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي نقابة الأشراف الطالبين، والنظر في المظالم، وإمرة الحاج، وكتب عهده بذلك، واستخلف ولداه المرتضى أبو القاسم والرضي أبو الحسين على النقابة وُخّل عليهما من دار الخلافة.

وحج بالناس أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عبد الله العلوي نيابة عن النقيب أبي أحمد الموسوي (٢).

سنة ٣٨٩ هـ:

فيها حج بالناس محمد بن محمد بن عمر من العراق، وكان في الحج الشريفان الرضي والمرتضى، فاعترض ركب الحاج أبو الجراح الطائي، فأعطياه تسعة آلاف دينار من أموالهما حتى أطلق الحاج (٣).

وهذا هو أحد المواقف المهمة للشريفين، حيث بذلا من أموالهما الخاصة لنجاة الحاج، ولهما - رضوان الله عليهما - مواقف كثيرة مهمة في غير الحج لأجل الدفاع عن الحق والعقيدة وإقامة الشعائر.

سنة ٣٩٤ هـ:

فيها قُلت بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي قضاء القضاء والحج والمظالم ونقابة الطالبين، وكتب له من شيراز العهد، ولقبه الطاهر الأوحاد «ذو المناقب» (٤).

أقول: تقليده قضاء القضاء لم يتم، لمخالفة البعض له.

سنة ٣٩٦ هـ:

فيها قُلت الشريف الرضي نقابة الطالبين بالعراق، ولقب بالرضي ذي الحسين، ولقب أخوه المرتضى ذا المجدين، فعل ذلك بهاء الدولة (٥).

والظاهر اتحاد هذا التقليد مع

١-١ المنتظم ٧: ٢٤٧.

٢-٢ الكامل في التاريخ ٩: ٧٧-٧٨، النجوم الزاهرة ٤: ١٥٧، البداية والنهاية ١١: ٣٠٨.

٣-٣ إتحاف الوري بأخبار القرى حوادث سنة ٣٨٩، النجوم الزاهرة ٤: ٢٠٠.

٤-٤ تاريخ الإسلام: ٢٢٩ حوادث سنة ٣٨١-٤٠٠، المنتظم ٧: ٢٢٦-٢٢٧.

٥-٥ الكامل في التاريخ ٩: ١٨٩، البداية والنهاية ١١: ٣٣٥.

ص: ٩٤

التقليد فى السنة الآتية (٣٩٧ هـ)، والاختلاف فى سنة وقوعه، فلاحظ.

سنة ٣٩٧ هـ:

فى يوم الاثنين لأربع خلون من جمادى الأولى ورد كتاب من بهاء الدولة بتقليد الشريف أبى الحسن محمد بن أبى أحمد الحسين بن موسى العلوى النقابة والحج وتلقيه بالرضى ذى الحسين، ولقب أخوه أبو القاسم بالشريف المرتضى ذى المجدين (١).

سنة ٤٠٣ هـ:

فيها قلّد الشريف الرضى الموسوى نقابة الطالبين فى سائر الممالك (٢).

ويحتمل تقليده إمارة الحج أيضاً مع النقابة.

سنة ٤٠٦ هـ:

فى يوم السبت، الثالث من شهر صفر، قلّد الشريف المرتضى أبو القاسم الحج والمظالم ونقابة نقباء الطالبين وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى، وجمع الناس لقراءة العهد فى الدار الملكية، وحضر فخر الملك والأشراف والقضاء والفقهاء قراءة العهد، وكان فى العهد: هذا ما عاهد عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى على بن موسى العلوى، حيث قربته الأنساب الزكية، وقدمته لديه الأسباب القوية، واستظلّ معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختصّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، فقلّد الحج والنقابة، وأمره بتقوى الله، وذكر كلاماً فيه طول من إيصاله بالخير واللطف فيما استرعى (٣).

المراجع:

- ١- إتحاف الورى بأخبار القرى، أبو القاسم بن فهد الهاشمى.
- ٢- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
- ٣- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مطبعة السعادة، مصر.
- ٤- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، دار الكتاب العربى، بيروت.

١- ١ تاريخ الإسلام: ٢٣٦ حوادث سنة ٣٨١-٤٠٠، المنتظم ٧: ٢٣٤.

٢- ٢ تاريخ الإسلام: ١٥ حوادث سنة ٤٠١-٤٢٠، البداية والنهاية ١١: ٣٤٧، الكامل فى التاريخ ٩: ٢٤٢.

٣- ٣ المنتظم ٧: ٢٧٦، الكامل فى التاريخ ٩: ٢٦٣، البداية والنهاية ١٢: ٢، النجوم الزاهرة ٤: ٢٣٩، تاريخ الإسلام: ٢٣ حوادث سنة ٤٠١-٤٢٠.

ص: ٩٥

- ٥- خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، العلامة الحلبي الحسن بن يوسف؛ المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨١ هـ.
  - ٦- رجال النجاشي، الشيخ أحمد بن علي النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم.
  - ٧- روضات الجنات، الميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري، الدار الإسلامية، بيروت.
  - ٨- سفينة البحار، المحدث الشيخ عباس القمي، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٤ هـ.
  - ٩- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية.
  - ١٠- الشريف الرضي دراسة في عصره وأدبه، حسن محمود أبو عليوي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٦ هـ.
  - ١١- العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت.
  - ١٢- الغدير في الكتاب والسنة والأدب، العلامة الشيخ عبد الحسين الأميني، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٤ هـ.
  - ١٣- الكامل في التاريخ، علي بن أبي أكرم محمد المعروف بابن الأثير، دارصادر، بيروت.
  - ١٤- مرآة الجنان، عبد الله بن أسعد اليافعي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.
  - ١٥- المنتظم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد.
  - ١٦- النجوم الزاهرة، يوسف بن تغري بردي الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر.
- الهوامش:

الحج والسلام العالمي



ص: ٩٧

عبد الكريم آل نجف

الحج والسلام العالمى

يمثل الحج محوراً مهماً من محاور النهج السلمى للإسلام، بل يمكن عدّه المحور الأساس منها. وتأتى هذه الأهمية المتميزة له من جهتين:

الأولى: أن الحجّ بشعائره، ومناسكه، وأذكاره، يمثل جزءاً مهماً من النظام التربوى والروحى فى الإسلام. وهذا النظام يمثل المرحلة الثانية فى النهج السلمى للإسلام. ومن المعلوم أن هذا النظام يحظى بأهمية خاصة فى مختلف جوانب الحياة الإسلامية؛ لأنه هو الذى يمنح الإسلام الفاعلية، والتأثير، والايجابية العملية لمناهجه فى هذه الحياة. فأهمية الحج للنهج السلمى فى الإسلام جزء من أهمية النظام التربوى والروحى للحياة الإسلامية ككل، وقد وردت فى تأكيده أخبار كثيرة، حتى عدّ أحد أركان الإسلام الخمسة، وحكم على تاركه أن يموت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً (١).

---

١-١ المحجة البيضاء، الفيض الكاشانى ٢: ١٤٥.



ص: ٩٨

الثانية: أن المغزى السلمى أساس العديد من شعائر الحج ومناسكه، بحيث قد لا نرى قضية إنسانية يخدمها الحج أكثر من قضية السلم، ولا نرى فريضة إسلامية أخرى تخدم قضية السلم أكثر من الحج. وعندما يتضح ذلك، سيكون بإمكاننا أن نقرر باطمئنان أن الحج فى بعده السياسى فريضة ذات مفهوم سلمى شديد التركيز. وهو مفهوم يتكون من عدة أبعاد مهمة فى الحج، هى:

أولاً: البعد الزمانى:

فالحج فريضة مؤقتة بزمان خاص، وفى شهر خاص، هو شهر ذى الحجة، وهو أحد الأشهر الحرم، ويتوسط شهرين آخرين منها هما ذو القعدة ومحرم، والرابع منها هو شهر رجب، وهى الأشهر التى حرمت الديانة الإبراهيمية القتال فيها، وأمضى الإسلام حرمتها. إن تحريم القتال فى هذه الأشهر على المسلمين، وإلزامهم قبل غيرهم به، يمثل محاولة رائعة لتجفيف دواعى الحرب، وتنشيط أسباب السلام فى المجتمع الإنسانى، لفترة زمنية تساوى ثلث السنه، يقضيها المجتمع الإسلامى فى عملية تربوية إيجابية، هدفها السلام من خلال جانبيين: الأول سلبى: وهو التخلّى عن دواعى الحرب. وذلك بتحريمها فى هذه الأشهر، والثانى إيجابى: وهو التحلى بروح السلم، واحترام الأمن، وحق الحياة للآخرين، وذلك عبر الأبعاد السلمية الأخرى فى الحج. الذى تهيمن أجواؤه النفسية الايجابية على المجتمع الإسلامى كله مدة انشغاله بالحج، منذ الأيام الأولى لسفر الحجاج إلى الديار المقدسة، وحتى أيام عودتهم إلى أوطانهم. إن مبدأ الأشهر الحرم يجسد نزعة سلمية عميقة لا تجعل الإسلام يكتفى من مجتمعه بأن يكون مسالماً ومحافظاً على الأمن فحسب، بل لا بد له من أن

ص: ٩٩

يكون قدوة وداعية في هذا المجال، انسجاماً مع القاعدة التوحيدية الكبرى التي يقوم عليها هذا المجتمع، والتي تجعله ركيزة السلم في المجتمع الإنساني كله، بحيث ينحصر التوحيد الحقيقي بالمجتمع الإسلامي يكون هذا المجتمع قاعدة السلم في المجتمع الإنساني.

من هنا فإن مبدأ الأشهر الحرم يمثل دعوة إلى إقامة نظام أمني عالمي. فإن التمسك بهذا المبدأ من طرف واحد، مهما كان شديداً، لا يحقق الهدف المطلوب، فلا بد من إقامة التزام دولي متبادل بهذا المبدأ. وهكذا فإن الإسلام أوقف مجتمعه على أرقى درجة يمكن أن يلتزمها لصالح السلم، فيما علق درجة التحريم المطلق للحرب في الأشهر الحرم على ظهور نظام أمني عالمي تتبادل فيه الأطراف الدولية المختلفة الاحترام لمبدأ الأشهر الحرم. ولذلك أجاز للمسلمين القتال في هذه الأشهر إذا كانوا في حالة دفاعية، أو كان خصمهم ممن لا يرى لهذه الأشهر حرمة. وهما شرطان ينسجمان تماماً مع ذلك المبدأ، لأنهما يتفقان معه على محاربة العدوان، وتضييق فرصه. فليس من مفهوم السلم - بل مما يخالف السلم - أن يُمنع المظلوم من استرداد حقه، أو يقال لأحد طرفي النزاع: كُفَّ عن القتال في هذه الأشهر، واسمح لعدوك أن يقضى عليك فيها. فإنها بهذه الصورة ستكون أشهر العدوان، لا أشهر الحرم.

وهكذا فإن مبدأ الأشهر الحرم هو مبدأ المسلمين الدائم حتى يثبت عدم إيمان العدو به، لذلك «الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمان قصاص» فكما لا حرمة لدم القاتل ظلماً وعدواناً لهدره حرمة دم المقتول، كذلك لا يمكن التزام حرمة شهر لا يرى العدو حرمة له. ولذلك «فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم» دون أن تتجاوزوا حدَّ القصاص العادل، أو تشتط بكم نزع الانتقام إلى حدود الظلم «واتقوا الله» فإن الشرَّ لا يعالج بالشر «واعلموا

ص: ١٠٠

أن الله مع المتقين» (١)

. وتأكدوا من سلامة مواقفكم، وخلوها من الشر والعدوان.

ويبقى الإسلام يوالى تأكيدات على المسلمين لكي يبقوا قاعدة للأمن والسلام فى الأرض. قال تعالى:

«يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام» (٢).

لأن مبدأ الأشهر الحرم نابع من قيمومة هذا الدين على الناس، وهميته على شؤونهم، وصلاحيته لقيادة حياتهم (٣). قال تعالى:

«إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن

أنفسكم» (٤).

وبما أن هذا المبدأ لا تكمن أهميته فى نفسه فقط، كقانون دولى. وإنما مرتبط بفريضة الحج التى تمنحه الفاعلية والقدرة على التأثير

من خلال المحتوى الروحى والعرفانى لهذه الفريضة. لذلك فقد شن القرآن الكريم جملة شعواء على المشركين لتصرفهم فى الحكم

الشرعى من خلال النسىء، الذى كانوا يقومون به، إذ كانوا يستبيحون حرمة أحد الأشهر الحرم، ويعوضون عن ذلك بإسباغ الحرمة

على شهر آخر يختارونه، فلا يقاتلون فيه. قال تعالى: «إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً...»

(٥).

وما أحرى العالم فى هذا اليوم أن يتمثل خطى الإسلام، ويجعل مبدأ الأشهر الحرم قاعدة من قواعد الحياة الدولية فيه، لكى ينعم

بالسلم فى ثلث حياته، ويوفر على نفسه الإمكانيات الجيدة لمعالجة قضايا السلم فى الثلثين الآخرين منها.

ثانياً: البعد المكاني:

وترتبط فريضة الحج كذلك بمكان خاص يتصف بالحرمة والقداسة، وهو

١-١ البقرة: ١٩٤.

٢-٢ المائدة: ١٢.

٣-٣ الميزان فى تفسير القرآن ٩: ٢٦٨.

٤-٤ التوبة: ٣٦.

٥-٥ التوبة: ٣٧.

ص: ١٠١

الحرم المكي الذي جعلته السماء منطقةً آمنَةً منزوعةً السلاح، ومعزولةً عن الحروب. قال تعالى: «وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمنًا» (١)

فهو قطعةً أمن وأمان، لا أنه مكان يتصف بالأمن والأمان فحسب. وهذا من أبلغ التعبير وأدقه. قال تعالى: «فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنًا» (٢).

وقد انعكست عليه صفة الأمن نتيجةً لعلاقته بالتوحيد، وكونه عاصمته ومركزه في الأرض. وإذا كان البعد الزماني محددًا من جهة الزمان، ومطلقًا من جهة المكان، فإن البعد المكاني بعكسه محدد من جهة المكان، ومطلق من جهة الزمان. فحرمة الحرم المكي خاصة بأرض معينه، ولكنها ليست خاصة بزمان معين. ويلتقي البعدان عند حلول الأشهر الحرم في الحرم المكي لتؤكد حرمة القتال، وتتعرّز الحاجة إلى السلم، وتأتي فريضة الحج لتزيدهما حرمة وتأكيد السلم، وليبلغ الشعور السلمي في المجتمع المسلم ذروته وأوجه. ويفترق البعدان بعد ذلك في الباقي من أشهر السنة، حيث يجوز القتال في كل أرض. وفي الباقي من الكرة الأرضية حيث يجوز القتال في كل وقت.

وللعلّة نفسها التي ذكرت سابقاً في البعد الزماني، نجد أنّ الإسلام لم يجعل حرمة القتال في الحرم المكي بصورةً مطلقةً، فاستثنى القتال الدفاعي. وهذا الاستثناء يجسد الكمال في نظرية السلم والأمن في الإسلام، لأنّ التحريم المطلق للقتال في الحرم المكي، يعنى فسح المجال لظهور فرص واسعة من العدوان والظلم. وهذا ما يتنافى مع مبدأ الحرم المكي.

قال تعالى: «ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه» (٣).

وهذا يعنى أنّ مبدأ الحرم المكي يمثل دعوةً إسلاميةً لقيام نظام عالمي، تتبادل فيه الأطراف الدولية الاحترام لمبدأ الحرم المكي من جهة، ولقيام مجتمع

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ آل عمران: ٩٧.

٣-٣ البقرة: ١٩١.

ص: ١٠٢

إسلامي يقوم بدور القدوة الحسنة في هذا المجال من جهة ثانية.

وقد كان لهذه الدعوة أثر بالغ في الحياة الاجتماعية للمسلمين. فقد كان المرء يرى قاتل أبيه، أو أخيه في الحرم المكي فلا يتخذ ضده إجراءً، مع شدة التزام العرب تقاليد الثأر. وهذا ما يمكن عده دليلاً على إمكان أن يلعب مبدأ الحرم المكي دوراً مماثلاً على الصعيد الأمن والسلم في العالم.

ولتأكيد الأهمية الأمنية لمكة المكرمة، عدّ القرآن الكريم كلّ لون من ألوان الظلم في مكة إلحاداً، وعدّ أيضاً الهّم بذلك الظلم بمثابة القيام به من حيث استحقاق العقوبة عليه، بينما لم يأخذ بهذه الدرجة من الشدة في البقاع الأخرى من العالم. وذلك ما يحمل دلائل واضحة على ضرورة عدم الاكتفاء بمرحلة سلم الجوارح، بل لابدّ من أن يكون المسلم في مركز التوحيد، وقد وصلت عنده المشاعر السلمية والأمتية درجة من النضج بحيث تستولى على قلبه أيضاً، وتمنعه من أن يخطر عليه الهّم بالظلم والرغبة فيه.

فإذا كان المسلم في باقي الأرض هو من سلم الناس من يده ولسانه، فإنّ المسلم حينما يكون في مكة المكرمة يطلب منه أن يسلم الناس من يده ولسانه وقلبه، وأن يبلغ مرحلة سلم الجوارح والجوانح؛ لأنّ النزوع نحو السلم يجب أن يتناسب مع درجة التوحيد التي يصل إليها المؤمن. ولما كان المطلوب من المسلم أن يكون في مكة قد وصل إلى ذروة ما يمكنه الوصول إليه من التوحيد، فلا بدّ من أن يكون نزوعه السلمي قد بلغ أوجه أيضاً. وهذه هي المعادلة التي جعلت الحرم المكي يمتاز على باقي الأرض بهذه الأبعاد السلمية المركزة.

قال تعالى: «ومن يرد فيه بظلم بإلحاد نذقه من عذاب أليم» (١)

قال ابن مسعود: ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالهمة قبل العمل إلامكة.

وتلا هذه الآية ... ونسب إلى الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية قوله:

ص: ١٠٣

«كَلَّ ظَلَمَ إِحَادًا، وَضَرَبَ الْخَادِمَ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ مِنْ ذَلِكَ الْإِحَادِ» (١).

وقال عليه السلام: «كَلَّ ظَلَمَ يَظْلِمُهُ الرَّجُلُ نَفْسَهُ بِمَكَّةَ مِنْ سَرْقَةٍ أَوْ ظَلَمَ أَحَدًا أَوْ شَيْءٍ مِنَ الظلم، فَإِنِّي أَرَاهُ إِحَادًا، وَلِذَلِكَ كَانَ يَتَّقِي الْفُقَهَاءَ أَنْ يَسْكُنُوا مَكَّةَ» (٢). وقد سار العرب قبل الإسلام على تقديس مكة واحترامها، ومنع وقوع القتال فيها، وكان شاعرهم يقول: إنَّ الفُضُولَ تَعَاقَدُوا وَتَعَاهَدُوا أَنْ لَا يَقَرَّ بِيَطْنَ مَكَّةَ ظَالِمٌ وَلَمْ يَكُنْ لِيَبُوتِ الْمَكِّيِّينَ مِصَارِيحَ بِفَضْلِ الْأَمْنِ الَّذِي كَانَ تَنْعَمُ بِهِ مَكَّةُ، وَالتَّزَامِ الْمَكِّيِّينَ وَاجِبِ الضِّيَافَةِ تَجَاهَ الْوَافِدِينَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَقْطَارِ الْأُخْرَى.

إنَّ عناية الإسلام بمنطقه معيَّنة من العالم، وتحريمها عسكرياً، وعزلها عن السلاح، ثم ربط الحج كفريضة ذات مضمون سلمى بها، حيث تفد عليها سنوياً جموع هائلة من الحجيج، ومن ورائهم قلوب المسلمين كافة، تتطلع إلى هذه المنطقه روحياً وترتبط بها معنوياً في أيام الحج. تعكس مستوى الرقى في هذا الدين، ومدى اهتمامه بالسلم والطبيعة العملية لما يتَّخذه من اجراءات في هذه المضمار. فإذا كانت الأرض كلها مفتوحة أمام الحروب والنزاعات التي تمزق المجتمع الإنساني، فلماذا لا تعزل من الكرة الأرضية منطقة تعدّ منزوعة السلاح، يحرم فيها القتال والعدوان؟ وإذا كانت أيام السنة كلها يمكن القتال فيها، فلماذا لا نعزل منها أربعة أشهر حرم تكون فرصة أمام الطرفين للتثبت من براءتهم فيما يتَّخذونه من مواقف قتالية؟ ثم يلتقى الزمان الحرام بالمكان الحرام في فريضة الحج التي تزيدها حرمة، وتجعل الشعور السلمى يصل ذروته، وتحوّل مكة إلى مركز لبث الروح السلمية في العالم، وخلع النزعة العدوانية عنه. وما أحوج البشرية في هذا الزمان - وفي كلِّ زمان - إلى بقعة من الأرض تتخذها مركزاً لحلِّ

١-١ المحجة البيضاء ٢: ١٥٥.

٢-٢ المصدر نفسه ٢: ١٥٦.

ص: ١٠٤

الصراعات الدولية المختلفة.

وإذا كان الغرب قد اتخذ من جنيف مركزاً لعقد المؤتمرات الخاصة بالسلم والأمن، وفضّ النزاعات الدولية واتّخاذ القرارات والمواقف اللازمة لدعم الأمن العالمي، فإنّ الإسلام قد سبق الغرب في هذا المجال. بل إن إبراهيم الخليل عليه السلام - الذي رفع القواعد من البيت، وطلب من الله - سبحانه وتعالى - أن يجعل مكة بلداً آمناً قبل أربعة آلاف سنة - يعدّ المؤسس الأوّل لهذه الفكرة. قال تعالى:

«وإذ قال إبراهيم ربّ اجعل هذا البلد آمناً واجنّبني وبنّي أن نعبد الأصنام» (١).

على أن اختيار الإسلام لمكة أرجح بكثير من اختيار الغرب لجنيف، فإنّ القانون وحده لم يكن - يوماً - كافياً لحلّ مشكلة من المشاكل الإنسانية، فكيف إذا كانت هذه المشكلة هي مشكلة الأمن العالمي، التي ليست هناك مشكلة أعقد منها في دنيا السياسة؟ فلا مناص، إذن، من وجود قاعدة روحية أخلاقية تملأ الحياة الإنسانية بإشعاعاتها الإيجابية لأيّ حلّ قانوني يفترض، لتعمل بشكل إيجابي يخدم قضية السلم العالمي، إمّا في عمق وجدان أهل الحلّ والعقد من أطراف الصراع، وإمّا في وجدان الجماهير التابعة لهم؛ لتكون قوّة سياسية ضاغطة عليهم بهذا الاتجاه. وليس هناك من يضمن وجود هذه القاعدة الروحية الأخلاقية غير الإسلام، كما أنه ليس في دنيا الإسلام مدينة يمكنها أن تستثير المشاعر الروحية والأخلاقية، وتجعلها قوّة متدفّقة ومؤثرة، كمكّة، مركز التوحيد، وموطن الكعبة، التي خلقها الله - سبحانه وتعالى - أوّلًا ثمّ مدّ الأرض من حولها، والتي كان آدم قد أتى إليها ألف مرّة على قدميه، والتي اختارها الله من الأرض، فهي خيرته من أرضه، ويقوم الدين ما قامت، والتي حجت الملائكة إليها قبل آدم بألفي عام، كما في الأخبار عن أهل البيت عليهم السلام (٢).

١- ١ إبراهيم: ٣٥.

٢- ٢ المحجّة البيضاء ٢: ١٥٢-١٥٣.

ص: ١٠٥

هذا من جهة. ومن جهة ثانية فإن فريضة الحج ترتبط بمكة دون سواها، وهذا ما يمنحها درجة إضافية من التقديس والإحترام الذى يكتنه لها مليار مسلم - أى خمس البشرية المعاصرة - ولا توجد مدينة أخرى فى الأرض يمكنها أن تستنفر هذا القدر الكبير من المشاعر الإنسانية الصادقة، وتجذب حولها قلوب هذا العدد من الناس. أضف الى ذلك أن مكة تقع فى منطقة كانت منطلقاً للتأريخ الإنسانى برمتها، ومحطة لأعقد صراعات العالم، وهى منطقة الشرق الأوسط. وكل ذلك من شأنه أن يجعل مكة مركزاً مهماً فى الحياة الدولية.

قال تعالى:

«جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام...» (١).

فبالكعبة والشهر الحرام - أى بالبعد الزمانى والبعد المكانى من الحج - قوام الحياة الإنسانية وسندها؛ لأنهما يعطيان الإنسان التوحيد حتى يستقيم عقله، والأمن حتى يهنأ عيشه.

ثالثاً: البعد التوحيدي العرفانى:

إن البعد التوحيدي والعرفانى هو البعد الأرسخ فى الحج. إذ ليس الحج فى الجانب الأوضح منه إلا كتلة متماسكة من الممارسات والشعائر، التى تكرر عقيدة التوحيد فى شخصية المسلم؛ فالطواف، والسعى، ورمى الجمار، وغير ذلك من واجبات الحج وشعائره. كل ذات مفهوم توحيدى خالص، الغرض منها تركيز الحس التوحيدي عند الإنسان المسلم.

وقد عرفنا فيما سبق أن التوحيد عقيدة ذات مضمون سلمى؛ لأنها تزرع السلم حقيقة فى داخل الإنسان، وتشيعه نهجاً فى حياته الاجتماعية، لذلك كان السلام اسماً من أسماء الله، واسماً من أسماء الجنة، وشعاراً للمؤمنين فى دار الدنيا



ص: ١٠٦

ودار الآخرة. كما أنه الشعار الذى يهتف به المسلم من أعماقه فى كل يوم خمس مرات فى خاتمة صلواته الخمس، حيث يسلم أولاً على النبى قائلًا: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ليؤكد بقاءه مؤمناً بهذا النبى، ولن يكون محارباً له، ويسلم ثانياً على نفسه، وعلى المؤمنين، فيقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. فالسلام الاجتماعى يبدأ من السلام الداخلى للإنسان. ثم يؤكد السلام العام مرةً ثالثةً فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولقد كان الحج فريضةً بدأ تشريعها منذ النبوة الإبراهيمية التى وظفت بشكل خاص لإرساء قواعد التوحيد وترسيخها فى الأرض، ولم تنشغل بقضية أخرى كانشغالها بهذه القضية. والأديان التوحيدية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام إنما تنهل من انجازات تلك النبوة المباركة التى كان لها الفضل المشهود على كل موحد.

وإذا كانت تلك النبوة قد ربطت بين التوحيد والحج من جهة، فإنها ربطت من جهة أخرى بين التوحيد والأمن. فقد نقل القرآن الكريم على لسان إبراهيم عليه السلام دعاءه إلى الله - سبحانه - قائلًا: «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبى وبنى أن نعبد الأصنام» (١).

وهكذا فإن الحرم المكى يمثل الرمز المشترك لكل من التوحيد والأمن.

وفى إحدى الروايات نجد تفسيراً رائعاً للعلاقة بين إحدى الشعائر التوحيدية فى الحج والأمن. قال الإمام الصادق عليه السلام: «ما من بقعة أحب إلى الله - عز وجل - من السعى؛ لأنه يذل فيه كل جبار عنيد» وقال عليه السلام: «جعل السعى بين الصفا والمروة مذلةً للجبارين» (٢).

فإن هذه الشعيرة التى تكرر العبودية المطلقة لله - سبحانه - وتعالى - والخضوع له. تلغى ذلك المحور (الطغيان والتجبر) أيضاً؛ لأن السعى مذلةً للطغاة

١- إبراهيم: ٣٥.

٢- وسائل الشيعة ٩: ٥٥.

ص: ١٠٧

والجبايرة، ووسيلة لمعالجة الطغيان عند الحكام، ذلك المرض الذي يهدد الأمن والسلام في المجتمع، ويسلمه إلى العنف والدمار.  
رابعاً: البعد العبادي الأول:

ويتمثل بمجموعة من محرّمات الإحرام وهي:

١- الجدل.

٢- الفسوق. بما يشمل أسباب المفاخرة والكذب، وهو أخطر من الجدل.

٣- إزالة الشعر.

٤- قلم الأظفار كلّاً أو بعضاً.

٥- قلع الضرس ولو لم يدم.

٦- قلع الشجر والحشيش النابتين في الحرم، وقطعهما.

٧- قتل هوام الجسد (القمل والبرغوث ونحوهما) وكذا هوام جسد الحيوانات.

٨- صيد البر اصطياداً وأكلًا... والطيور حتّى الجراد بحكم الصيد البري.

٩- لبس السلاح إلّا للضرورة (١).

ويمثل المحرّم الأول والثاني وسيلة وقائية وظيفتها الحيلولة دون حصول البغضاء والشحناء في مجتمع الحجيج، الذي يراد منه أن يكون قدوة في المحبة والوئام، ولمنع ظهور أي سبب أو مقدمة يمكن أن تؤدي إلى الإخلال بالأمن الاجتماعي.

والمحرّم الثالث والرابع والخامس: كلّ منها يمثل وسيلة تربية تمنع الإنسان من الإضرار بما تشبه الكائن الحي. فإنّ الشعر والأظفار والأضراس أجزاء مميّنة من الإنسان، لكنها تشبه الكائن الحي من جهة النمو، ولأجل هذا الشبه بالحياة،

ص: ١٠٨

والاقتراب من إحدَي صورها المقدَّسة كان لابدَّ للحاج من أن يحترز من التعرض لها.

المحرّم السادس: يمثل البدء بتحريم التعرّض للحياة، فالنبات بصورة عامّة يمثل الصورة الأولى للحياة. فالتعرّض لهذه الصورة لا يتناسب مع المفهوم السلمى للحج ولمبدأ حرمة الحرم المكى.

المحرّم السابع: يعنى تحريم التعرّض لحياة أكثر ظهوراً من حياة النبات وهو حياة هوام الجسد. فالحاج ينبغى له احترام هذه الحياة وإن كانت تعدّ صوراً بدائية من الحياة. بل وإن كان الحاج يعدّها صوراً من الحياة مضرّة بالإنسان.

فالحاج عليه أن يحافظ على تقديسه لها تمسكاً بمبدأ تقديس أصل الحياة. وليس من شك أنه سيتلقى من وراء هذا التمسك دروساً أخلاقية رائعة تعلّمه كيف ينبغى له أن يتعايش مع الكائن الحى الذى يلتقى معه بمصلحة معيّنة، بل مع الكائن الحى الذى لا أهميته لحياته وهو مضرّ به. وكيف ينبغى عليه أن لا يفكر فى التخلص منه. بل يفكر فى وسائل التعايش معه ليعكس ذلك على حياته الاجتماعية، التى تمتلئ بصور كثيرة من العلاقات، التى تتسم بالتنافر وعدم الانسجام، التى يسرع الإنسان فيها عادةً إلى التفكير فى وسائل للتخلص من الطرف المقابل له.

فالمحرّم السادس يعلمه أن هذا سلوك خاطئ، وأنّ السلوك الصحيح هو عدم الردّ بالمثل والتمسك بالصفح والصبر والتجمل بدلاً عن ذلك، فإذا كان الحاج لا يملك الحقّ فى أن يلحق الضرر بحياة هوام الجسد فالأولى أن لا يلحق الضرر بحياة أخيه الإنسان. وإذا كان إيذاء هوام الجسد بالإنسان لا يبزّر الإضرار بها، فالأولى أن لا يبزّر الاختلاف بين بنى الإنسان الميل نحو الإضرار المتقابل فيما بينهم.

ويمثل المحرّم الثامن تحريماً لصور أخرى من الحياة أكثر ظهوراً واحتراماً

ص: ١٠٩

من الصور السابقة. ويبقى المحرم التاسع الواضح فى مغزاه المباشر. فإن فى لبس السلاح تهديداً لأمن الحرم، وذلك مخالف لمبدأ الأشهر الحرم، ومبدأ الحرم المكى، والمضمون السلمى لفريضة الحج.

ومن الملاحظ أن محرّمات الإحرام تشتمل على تحريم الوسائل المباشرة، وغير المباشرة المؤدية إلى زعزعة الأمن. ولا تشتمل على تحريم الاعتداء نفسه على حياة الإنسان. فكيف دخلت مقدّمات الاعتداء حتى البعيدة منها فى دائرة المحرّمات؟ بل كيف حولت هذه المحرّمات قسماً من مقدّمات السلام البعيدة إلى واجبات هامة، بينما لم تُدخل فى عدادها المقدمّة الكبرى لزعزعة الأمن وهى الاعتداء نفسه؟

والواقع أن تحريم مقدّمات الشىء ناشئ من التشدد فى تحريم الشىء نفسه وهو نوع تأكيد. وربما كان عدم اشتمال المحرّمات على تحريم الاعتداء نفسه إشارة إلى كفاية تحريم المقدمات فى الدلالة على تحريم أصل الاعتداء، بل إشارة إلى عدم الحاجة إلى ذكر تحريم أصل الاعتداء، فإنّ تحريم المقدمات من شأنه أن يمنع ظهور حالات الاعتداء. وإلا فإنّ الشريعة الإسلامية لا يوجد من هو أكثر منها يؤكّد حرمة الاعتداء على حياة الإنسان، خصوصاً حينما يكون هذا الاعتداء فى أشهر الحرم، أو فى الحرم المكى. فقد ذكر الفقهاء أن القتل فى الزمان والمكان المذكورين موجب لتغليظ الدية فتكون دية وثلاث الدية. بل لو رمى وهو فى الحلّ بسهم ونحوه إلى من هو فى الحرم فقتله فيه، لزمه التغليظ أيضاً (١).

خامساً: البعد العبادى الثانى:

ويتمثل بلباس الإحرام، الذى يرتديه الحاج، بعد أن يخلع ثيابه العادية ضمن عملية واضحة الأهداف والدلالات. فالحجّ وظيفة ذات أبعاد عالمية

ص: ١١٠

تتكامل مع مشروع عالمية الإسلام الذى يستوعب العقيدة والشريعة الإسلامية. ويتخذ من الحج مرتكزاً فعالاً، ووسيلة مهمة من وسائله التطبيقية؛ لأنه ممارسة روحية يقدم عليها المسلم بكل قلبه ومشاعره، وبطوع اختياره، تبدأ بتقطيع كل أشكال العلاقات العنصرية، التى تربطه مع الأهل والعشيرة والوطن، وتنتهى بالتلبس بعلاقات توحيدية عالمية خالصة. فأول عمل يقوم به الحاج: هو توديع الأهل والأقارب والعشيرة والوطن، متجهاً إلى حياة تخيم عليها الروح العالمية الخالصة، فلا أبناء ولا وطن ولا لغة قومية ولا زى قومياً فى الحج. وإنما علاقات إنسانية هى علاقة التوحيد، ووطن عالمى سواء فيه العاكف والباد، وهو مكة. ولغة عالمية هى اللغة العربية. وزى عالمى هو الإحرام، الذى تتساوى فيه الطبقات الاجتماعية المختلفة، وتُمحى عنده الفوارق العنصرية، ومحور موحد تطوف حوله وفود الحجيج وهو الكعبة، التى يرمز الطواف حولها إلى بلوغ المؤمن نهاية القرب من الله - سبحانه وتعالى - الذى تتقطع عنده أسباب الدنيا، وعلاقات الأرض العنصرية، وتتكامل على انقاضها العلاقات الروحية.

يقول هاملتون جب [إن شعيرة الحج تُعدّ عاملاً قوياً فى تطبيق مبدأ توحيد العالم، فهى رمز للأخاء الذى يربط المسلمين بعضهم ببعض، دون تفرقة لونية أو عنصرية] (١).

ويتحدث الدكتور حسين مؤنس عن العناصر التى ربطت العالم الإسلامى مع بعضه البعض، وجمعت بينها فى العصور الإسلامية الأولى. ويذكر الطلاب والعلماء والتجار والملاحين، ويذكر الحجّاج من ضمنهم، وهم الذين يسمون بأهل الرحلة، الذين عمقوا مفهوم الوحدة لدى الناس فيقول:

[فأما الحجّاج فقد كانت قوافلهم تشقّ أرجاء ذلك العالم الإسلامى فى مسيرة دائمة لا تتوقف، ولا تبالى بالعقبات الطبيعية من جبال وصحارى وبحار،

ص: ١١١

ولا تراخى بسبب أخطار الحروب والقلاقل والفتن، فقد كان حجاج بيت الله الحرام من الأندلس والمغرب والسودان والصين والملايو يخرجون في رحلة الحج قبل مواعده بعام أو أكثر أو أقل، ومعنى هذا: أنه في كل وقت تقريباً كانت هناك قوافل حجاج تقصد بيت الله الحرام، أو تعود منه، أوفاً بعد ألوف من الناس، يخرجون من أطراف الأرض الأربعة، ووجهتهم بيت الله الأكرم، وهم في مرورهم بالمدن والواحات يذكرون الناس بوحدة الدين، التي تجمع بعضهم إلى بعض. والكثيرون منهم كانوا يستقرون بعد الحج أينما شاءوا من بلاد الإسلام، فكان قوافل الحج كانت أسلحة محارث قوية تشق الأرض الإسلامية، وتقلب تربتها، وتأذن لشمس العقيدة في أن تتخللها في عمق، وتبعث فيها الحياة. وهذا، ولا شك، كان في تقدير الخالق - سبحانه - حينما فرض على أمة الإسلام الحج إلى بيته الحرام... [١].

وليس من شك أن الدور العالمي الذي يلعبه الحج في المجتمع الإسلامي دورٌ سلمى وقائى، يحمى المجتمع من أخطار التمزق العنصرى، التي لم يكن في التاريخ ما هو أشدّ منها خطراً على قضية السلم والأمن في العالم. فالحج من هذه الجهة نوع من التربية الروحية، والفكرية المركزة والعميقة في الاتجاه العالمي للإسلام ...

ص: ١١٢

الهوامش:

**الاعتداء على حرمة البيت وامنه**

ص: ١١٣

الاعتداء على حرمه البيت وامنه

محمد رضا باقر صادق

مقدمه:

وإذا كانت الكعبة قد تعرّضت لأذى من بعض الديانات المخالفة، فإنها قد تعرّضت لفظائع ممن يدعون الإسلام مثل يزيد وأمثال يزيد. ومرجع تهديم الكعبة وتقويضها، والاعتداء على حرمتها، يعود إلى التعصّب الجاهلي، والانحلال من قيود الدين والشريعة، وإلى الانحلال الخلقى كالتجاهر بالفسق والفجور والميوعة والفساد المتمثل في مجموعة لا تعرف من الحياة إلّا الاستهتار والخلاعة والمجون.

ومنذ عهد الإسلام حتّى يومنا هذا اجتاحت الكعبة كوارث إحدائية عارمة منبعثة عن الأهواء والمطامع الشخصية، قوّضت الكعبة على أثرها، وانهارت وتهدمت وانتهكت حرمتها، وفيما يلي نورد بعض هذه الأحداث.

محنة البيت أيام يزيد:

١- جاء في كتاب الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتّى اليوم لمؤلفه «أحمد عبد الغفور عطار» ما نصّه:



ص: ١١٤

«وفي سنة ٦٣ و ٦٤ من الهجرة تعرّضت المدينتان المقدّستان، والحرمان الشريفان، وبيت الله، وحرّم رسوله لكارثة غاية في البشاعة والنكر، فقد أرسل يزيد بن معاوية جيشاً من أهل الشام إلى المدينة مهاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمر يزيد قائد جنده مسلم بن عقبه المرّي أن يذيق أهل المدينة، وأهل مكة كلّ ضروب الشرّ الذي لا شرّ مثله. ولم يكتفِ يزيد بقتل سيدنا الحسين وآل بيت محمد صلى الله عليه وآله حتّى ثنى ببلد رسول الله فأباحها لجند الشام ثلاثة أيام يفعلون من المنكر ما لا يجوز فعله ببلاد الكفر، وقتل جند الشام من الصحابة والتابعين وأولادهم وأطفالهم ونساءهم آلافاً مؤلّفة، وبلغ من كفر المرّي قائد جند يزيد أن سمى المدينة «نتنة» نكايّة بمن سماها «طيبة» وما سماها طيبة غير نبي الهدى، وأجبر أهل المدينة بالسيف على أن يبايعوا على أنهم عبيد ليزيد، فإن لم يبايعوا قتلهم، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من أخاف المدينة أخافه الله.

ويقول- عليه الصلاة والسلام:- من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء.

ولما انتهى المرّي من الشر الذي صبّه على المدينة وأهلها اتّجه مع جيش الشام إلى مكة، وفي الطريق هلك المرّي اللعين فتولّى القيادة الحصين بن نمير وكلّهم مثل بعض في الكفر والفسوق» (١).

٢- ومما جاء في كتاب «تاريخ الخلفاء» للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هجرية في الحديث عن يزيد، وما فعل بالكعبة ما نصّه:

«وفي سنة ثلاث وستين، بلغه أنّ أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً، وأمرهم بقتالهم، ثمّ المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير فجاءوا، وكانت وقعة الحرّة على باب طيبة، وما أدراك ما وقعة الحرّة؟ ذكرها الحسن مرّة فقال: والله ما كاد ينجو منهم أحد، قُتل فيها خلقٌ كثير من الصحابة

١-١ الكعبة والكسوة منذ أربعة آلاف سنة حتّى اليوم، أحمد عبد الغفور عطار، مطابع مكة المكرمة ١٣٩٧ هـ الطبعة الأولى: ص ١١٠.

ص: ١١٥

- رضى الله عنهم- ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتضَّ فيها ألف عذراء، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون! قالصلى الله عليه وآله: من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. رواه مسلم.

وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصى. وأخرج الواقدي من طريق: أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن يُرمى بالحجارة من السماء! إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة» (١).

هذا هو يزيد الذى يسميه البعض أمير المؤمنين...! وهذه هى أعماله قتلٌ وانتهاكٌ لأعراض الناس، وفسق وفجور واستهتار بالقيم، وخمرٌ وفساد. وأما قتله للحسين فتلك مصيبة أبكت حتى الحجر والسماء... فمما جاء فى المصدر نفسه ما نصّه:

«ولما قتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة، والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء، وكسفت الشمس ذلك اليوم، واحمرّت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله، ثم لا زالت الحمرة تُرى فيها بعد ذلك ولم تكن تُرى فيها قبله» (٢).

فهل بعد هذا يبقى شك لذى عينين من فسوق يزيد وفجوره وكفره؟ وقد أضاف السيوطى إلى حديثه ما هو أعجب وأغرب وأنكى للقلب فقال:

«وقيل إنه لم يُقلب حجر بيت المقدس يومئذ إلا وجد تحته دمٌ عبيطٌ، وصار الؤرس الذى فى عسكرهم رماداً، ونحروا ناقهً فى عسكرهم فكانوا يرون فى لحمها مثل النيران، وطبخوها فصارت مثل العلقم، وتكلم رجل فى الحسين بكلمة فرماه الله بكوكبين من السماء فطمس بصره» (٣).

«وأخرج الترمذى عن سلمى قال: دخلت على أم سلمة- وهى تبكى -

١-١ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ: ص ١٦٦-١٦٧.

٢-٢ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ: ص ١٦٥.

٣-٣ تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٦٥.

ص: ١١٦

فقلت: ما بيكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: ما لك يا رسول الله؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً.

وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله بنصف النهار أشعث أغبر، وبیده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم، فأحصى ذلك اليوم فوجدوه قتل يومئذٍ» (١).

أفسد أمر الناس اثنان:

قال الحسن البصري: «أفسد أمر الناس اثنان: عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف فحملت، ونال من القراء، فحكم الخوارج، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة.

والمغيرة بن شعبة، فإنه كان عامل معاوية على الكوفة فكتب إليه معاوية:

إذا قرأت كتابي، فأقبل معزولاً، فأبطأ عنه، فلما ورد عليه قال: ما أبطأ بك؟ قال:

أمر كنت أوطؤه وأهيوه. قال: وما هو؟ قال: البيعة ليزيد من بعدك! قال: أو قد فعلت؟ قال: نعم. قال: ارجع إلى عمك. فلما خرج قال له أصحابه: ما وراءك؟

قال: وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة. قال الحسن:

فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم، ولولا ذلك لكانت شوري إلى يوم القيامة» (٢).

والحق أقول: إن من يأتي إلى دفع الحكم بهذا الشكل مثل يزيد الفاسق الفاجر... صاحب الطرب واللهو والفجور، وصاحب الكلاب والقروود والفهود والمنادمة على الشراب لا يهتمه أن يرمى الكعبة بالمجانيق وقد فعل....

٣- أما ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، فقال:

١-١ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٦٦.

٢-٢ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٦٤.

ص: ١١٧

وكان مما أوصى به يزيد بن معاوية مسلماً بن عتبة المُرِّي أن قال له: «إن وصلت المدينة، وظهرت عليها، فأذهبها ثلاثاً فكل ما فيها من مالٍ أو دابةٍ أو سلاحٍ أو طعامٍ فهو للجندي» (١).

وبالفعل فقد «أباح مسلم المدينة ثلاثاً، يقتلون الناس، ويأخذون المتاع والأموال، فأفزع ذلك مَنْ بها من الصحابة» (٢).

«ودعا مسلمٌ الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم خَوَّلَ له «أى خدم وعبيد» يحكم في دمايتهم وأموالهم وأهليهم ما شاء» (٣).

«وكانت وقعة الحرة لليتين بقيتا من ذى الحجة سنة ثلاث وستين» (٤).

وحين أدرك الموت مسلماً هذا، كانت آخر وصاياه: «اللهم إنى لم أعمل قط بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله

عملاً أحبَّ إليَّ من قتلى أهل المدينة، ولا أرجى عندي فى الآخرة» (٥).

أما ما كان لشأن مكة فقد «رموا البيت بالمجانيق وحرّقه بالنار» (٦).

٤- ومما جاء عند المؤرخ الكبير المسعودى فى مروج الذهب ما يلى:

«وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود، ومنادمة على الشراب... وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من

الفسوق. وفى أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهى، وأظهر الناس شرب الشراب. وكان له قرد يكتنّى بأبى قيس يحضره

مجلس منادمته، وي طرح له متكأً وكان قرداً خبيثاً» (٧).

ولما بلغ يزيد خبر خلع أهل المدينة طاعتهم له «سیر إليهم بالجيوش من أهل الشام، عليهم مسلم بن عتبة المُرِّي الذى أخاف المدينة

ونهبها، وقتل أهلها، وبايعه أهلها على أنهم عبيدٌ ليزيد. وسماها نته، وقد سماها رسول الله صلى الله عليه وآله طيبة، وقال من أخاف

المدينة أخافه الله» (٨).

١- ١ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ: ٤٥٦ حوادث سنة ٦٣هـ.

٢- ٢ الكامل فى التاريخ: ٤٥٩ حوادث سنة ٦٣هـ.

٣- ٣ الكامل فى التاريخ: ٤٦٠ حوادث سنة ٦٣هـ.

٤- ٤ الكامل فى التاريخ: ٤٦١ حوادث سنة ٦٣هـ.

٥- ٥ الكامل فى التاريخ: ٤٦٣ حوادث سنة ٦٣هـ.

٦- ٦ الكامل فى التاريخ: ٤٦٤ حوادث سنة ٦٣هـ.

٧- ٧ مروج الذهب، على بن الحسين بن على المسعودى، المتوفى سنة ٣٤٦هـ؛ ٣: ٦٧.

٨- ٨ مروج الذهب، المسعودى ٣: ٦٩.

ص: ١١٨

أما تجاوزه على الكعبة وحرمتها، فانه أمر مسلم بن عقبة المري- إن أدركته المنية- أن ينصب بعده الحصين؛ ليضرب الكعبة. وكان ابن الزبير قد التجأ إليها. وقد نصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على المسجد من الجبال... فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمى مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحروقات، وانهدمت الكعبة... (١).

«وليزيد وغيره أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة، من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول، ولعن الوصي، وهدم البيت واحرقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور وغير ذلك مما قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه...» (٢).

هدم الكعبة على يد الحجاج وعبد الملك بن مروان:

الحجاج بن يوسف الثقفي وسب ولوعه بسفك الدماء:

ذكر المسعودي في مروج الذهب حكاية عن الحجاج قال:

«كانت أم الحجاج عند الحارث بن كلدة، فدخل عليها في السحر، فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها، فقالت: لِمَ بعثت إليّ بطلاقي؟ أليس رابك مني؟ قال: نعم... دخلت عليك عند السحر وأنت تتخللين، فإن كنتِ بادرتِ الغداء فأنت شرهه، وإن كنتِ بُتَّ والطعام بين أسنانك فأنتِ قدره، فقالت: كل ذلك لم يكن، لكنني تخللتُ من شظايا السواك. فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل الثقفي أبو الحجاج، فولدت له الحجاج بن يوسف مشوّهاً لا دبر له، فثقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدى أمّه أو غيرها، فأعياهم أمره، فيقال: إن الشيطان تصوّر لهم فيصورة الحارث بن كلدة فقال: ما خبركم؟ فقالوا: ابنٌ ولد ليوسف من الفارعة- وكان اسمها- وقد أبى أن يقبل ثدى أمّه أو غيرها. فقال: اذبحوا جدياً

١-١ مروج الذهب، المسعودي ٣: ٧١.

٢-٢ مروج الذهب، المسعودي ٣: ٧٢.

ص: ١١٩

أسود وأولغوه دمه، فإذا كان في اليوم الثاني فافعلوا به كذلك، فإذا كان في اليوم الثالث فاذبحوا له تيساً أسود وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسود، فأولغوا دمه، واطلوا به وجهه فإنه يقبل الثدى في اليوم الرابع. قال: ففعلوا به ذلك، فكان بعد لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في يده أمره، هذا وكان الحجاج يُخبر عن نفسه أن أكثر لذاته سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره، ولا سبق إليها سواه» (١).

أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان في سطور:

١- «بويغ بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير فلم تصح خلافته» (٢).

٢- «قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ... وفي هذا العام هدم الحجاج الكعبة» (٣).

٣- «دس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات» (٤).

٤- «وفي سنة أربع وسبعين سار الحجاج إلى المدينة، وأخذ يتعنت على أهلها، ويستخف بقايا من فيها من أصحابه رسول الله صلى الله عليه وآله، وختم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك ... فإننا لله وإنا إليه راجعون» (٥).

٥- «كان عبد الملك أبحر الفم» (٦) وكان يُلقب بأبي الذبان، فمما قيل: إن الذباب إذا مر على رأس عبد الملك سقط ميتاً، بسبب شدة رائحة فمه الكريهة.

٦- «كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء، فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء بعد النسك والعبادة، قال: إي والله، والدماء قد شربتها» (٧).

٧- «قال ابن أبي عائشة: أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره، فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك» (٨) وفي رواية أخرى قال: هذا فراق بيني وبينك.

١- ١ مروج الذهب، المسعودي ٣: ١٢٥.

٢- ٢ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: ١٧١.

٣- ٣ المصدر نفسه.

٤- ٤ المصدر نفسه.

٥- ٥ المصدر نفسه.

٦- ٦ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: ١٧٢.

٧- ٧ المصدر نفسه.

٨- ٨ تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي: ١٧٤.

ص: ١٢٠

٨- «قال العسكري: وأول خليفة بخل عبد الملك وكان يسمى «رَشَحَ الحجارة» لبخله ويكنى «أبا الذبان» لبخره» (١).

٩- «أول من نهى عن الأمر بالمعروف» (٢).

١٠- خطب على الناس يوماً فتهدّد وأزبد وأرعد، وفي نهاية خطبته قال:

«والله، لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاضربت عنقه، ثم نزل» (٣).

١١- لما حضر عبد الملك الموت دخل عليه ابنه الوليد وهو يبكي فقال عبد الملك: ما هذا أتحنن الأمة؟ إذا أنا مت فشمّر،

واتترز، والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه (٤).

هذا هو عبد الملك بن مروان... قليل من كثير... وهذا هو الحجاج سيئته من سيئاته و«لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلاالحجاج-

وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة- رضى الله عنهم- يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وجسماً، وقد قتل من الصحابة وأكابر

التابعين ما لا يُحصى، فضلاً عن غيرهم، وختم في عتق أنس وغيره من الصحابة ختماً يزيد بذلك ذلهم- فلا رحمه الله ولا عفا عنه»

(٥) فلو لم يكن من مساوئه إلاهذا لكفاه.

هدم عبد الملك والحجاج للكعبة:

بعد هذا التمهيد الوجيز عن حياة عبد الملك والحجاج، التي يمكن أن تكون مبرراً لهما في ضرب الكعبة، وهدمها كما يقول علماء

النفوس.

وقد تحدّث ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وسبعين، وابن كثير في البداية والنهاية، والطبري في تاريخ

الأمم والملوك، والفاكهي في كتابه المنتقى في أخبار أم القرى، والعلامة الحبر الشيخ عبد الحسين

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ تاريخ الخلفاء، السيوطي: ١٧٥.

٤-٤ تاريخ الخلفاء، السيوطي: ١٧٦.

٥-٥ المصدر نفسه.

ص: ١٢١

الأميني في كتابه شهداء الفضيلة. كل هؤلاء تحدّثوا عن تهديم الكعبة، والاعتداء على حرمتها بيد الطاغية الحجاج وسيده عبد الملك بن مروان ومفاد ذلك:

أنّ عبد الملك بن مروان بعث الحجاج بن يوسف الثقفي للقبض على عبد الله بن الزبير، سنة ٧٣ هجرية، فالتقى الفريقان في الطائف، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً، بعدها هرب ابن الزبير إلى مكة، وتحصّن فيها، فقصدته الحجاج، وحاصره فيها فضيّق على أهلها، ونصب المنجنيق في أعالي جبل أبي قبيس حتى يُجبر ابن الزبير، ومَن في طاعته، على التسليم والدخول في طاعة أميره عبد الملك، وبعد أن أبى ابن الزبير التسليم وقد تحصن بالبيت الحرام، جعل الحجاج ومرترقته يرمون الكعبة، والبيت الحرام بالمنجنيق، فقتلوا خلقاً كثيراً، وحبس عنهم الطعام والماء، فكانوا يشربون من ماء زمزم، وصارت الحجارة تقع في الكعبة فتهدم البيت بقذائف الحجاج .... حتى سقط ابن الزبير إلى الأرض، فأسرعوا إليه فقتلوه وجاءوا برأسه إلى الحجاج. بعدها صلب ابن الزبير بعد قتله منكساً، وأرسل رأسه لعبد الملك بن مروان فطيّف به في البلدان (١).

الوليد بن يزيد بن عبد الملك والبيت الحرام:

إنه ... «الخليفة الفاسق .. كان فاسقاً، شريباً للخمر، منتهكاً حرّمات الله، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة، فمقتته الناس لفسقه وخرجوا عليه، فقتل في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة هجرية» (٢).  
القرامطة والبيت المفجوع:

في سنة ٣١٧ هـ سّير المقتدر بالله العباسي ركب الحاج مع منصور الديلمي

١-١ الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٤: ١٢١-١٢٦ حوادث سنة ٧٣ هـ- البداية والنهاية، ابن كثير ٨: ٣٢٩-المنتقى في أخبار أم القرى، محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المتوفى ٢٧٢، ص ١٧٠- شهداء الفضيلة، العلامة الحبر الشيخ عبد الحسين الأميني: ص ١٩٣.  
٢-٢ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٠١.



ص: ١٢٢

فوصلوا مكة سالمين. وما إن طاب لهم المقام حتى وافاهم عدو الله أبو طاهر القرمطى بمكة يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج، وقتلوهم قتلاً ذريعاً في المسجد الحرام، وفي البيت نفسه، وطرح القتلى في بئر زمزم، ودفن الباقيين في المسجد الحرام بلا غسلٍ وكفن. ثم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره واقتلعه، وأقام بمكة أحد عشر يوماً، ثم رحل مع أصحابه إلى هجر، وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين عاماً، وقيل: إنه لما أخذ الحجر الأسود هلك تحته أربعون رجلاً من مكة إلى هجر، فلما أعيد حمل على قعودٍ هزيلٍ فسمين.

قال محمد بن الربيع بن سليمان: كنت بمكة سنة القرامطة، فصعد رجلٌ لقلع الميزاب، وأنا أراه، ففعلصبري، وقلت: يا رب ما أحلمك! فسقط الرجل على دماغه فمات. وقال أبو الفدا: وانتهب القرمطى أموالهم واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكة وشعابها، والمسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجاج خلقاً كثيراً. وجلس أميرهم أبو طاهر - لعنه الله - على باب الكعبة والرجال تُصرع حوله، والسيوف تعمل في الناس في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية الذي هو أشرف الأيام وهو يقول:

أنا لله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا فكان الناس يفرون منه فيتعلقون بأستار الكعبة فلا يجدى ذلك عنهم شيئاً بل يقتلون.

ودخل رجلٌ من القرامطة إلى حاشية الطواف، وهو راكب سكران قبال فرسه عند البيت، ثم ضرب الحجر بدبوس فكسره، ثم اقتلعه، وألحد هذا اللعين في المسجد الحرام إلحاداً لم يسبقه إليه أحد ولا يلحقه فيه. والذي حملهم على ذلك شدة كفرهم وغلوة زندقته. وكانت إقامة القرمطى بمكة أحد عشر يوماً، فلما عاد القرمطى إلى بلاده رماه الله - تعالى - في جسده، حتى طال عذابه، وتقطعت

ص: ١٢٣

أوصاله وأطرافه وهو ينظر إليها، وتناثر الدود من لحمه (١).

نكتفى بهذا القدر من الجرائم والمذابح الدامية التي راح ضحيتها الآلاف، والاعتداءات على الأماكن المقدسة، وعلى الكعبة المعظمة بالخصوص، وانتهاك حرمتها.

الهوامش:

### القبلة والطواف

- 
- ١- ١ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير ٧: ٥٣-٥٤ حوادث سنة ٣١٧ هـ- تاريخ الخلفاء، السيوطى: ٣٠٧- البداية والنهاية، ابن كثير ١١: ١٦٠- شهداء الفضيلة، العلامة الأمينى: ١٩٤- معجم البلدان، ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، ٢: ٢٢٤- دائرة المعارف، فريد وجدى ٧: ٧١٣- الاعلام بأعلام بيت الله الحرام، محمد بن أحمد بن محمد النهروانى المتوفى سنة ٩٩٠ هـ، ص ١٦٣-١٦٤.



ص: ١٢٥

القبلة والطواف

محمد مهدي الآصفي

قيمة الكعبة:

شرف الله «الكعبة» وجعلها مثابةً للناس يشوبون إليها، ويجمعون حولها، ويجدون عندها الأمن الذي يفتقدونه في حياتهم، «وإذ جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً...» (١).

وهي بيت الله شرفها الله - تعالى - وخصها لنفسه، وجعلها مباركةً، وهدى للعالمين.

وخص الله - تعالى - الناس من بين سائر خلقه ببيته الذي أكرمه وخصه بنفسه، فقال تعالى: «انَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِيكَةِ مَبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا...» (٢).

وجعل الله الكعبة قياماً للناس، تقوم علاقتهم بالله وحركتهم وكدهم

١-١ البقرة: ١٢٥.

٢-٢ آل عمران: ٩٦.

ص: ١٢٦

إليه، وتقوم معاشهم ومعادهم، وديانهم وآخرتهم، وتنظم علاقتهم بالله - تعالى - وبأنفسهم. «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» (١).

فضل الكعبة:

وقد خصّ الله - تعالى - الكعبة بفضلٍ عظيم، وخصّ أمير المؤمنين عليه السلام في فضل الكعبة: أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ، سُبْحَانَهُ، اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ؛ بِأَحْجَارٍ لَا تُنْضَرُ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَا تُبْصَرُ وَلَا تَسْمَعُ، فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ «الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا». ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا، وَأَقْلَّ نَتَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا، وَأَضْبِقِ بَطُونِ الْأُودِيَةِ قُطْرًا.

بَيْنَ جِبَالٍ حَشِيَّتِهِ، وَرِمَالٍ دَمِيئِهِ، وَعَيُونٍ وَشَلَلِهِ، وَقُرَى مُنْقَطِعِهِ؛ لَيَزُكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظَلْفٌ، فَصَارَ مَتَابَعًا لِلْمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ، وَعَايَةً لِمُلْقَى رَحِمِ إِلَهُهِمْ. تَهْوَى إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَاحِقَةٍ وَمَهَاوِي فَجَاحٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعِيهِ، حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا يُهْلَلُونَ (يهلون) لِلَّهِ حَوْلَهُ، وَيَزْمَلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْنًا غَيْرًا لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَشَوْهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ائْتِلَاءً عَظِيمًا، وَامْتِحَانًا شَدِيدًا، وَاخْتِبَارًا مُبِينًا، وَتَمَحِيصًا بَلِيغًا، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ، وَوَصِيلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ، وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ، بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ، جَمَّ الْأَشْجَارِ دَانِي الثَّمَارِ، مُلْتَفِّ؟؟؟ مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، وَأَرْيَافٍ مُحَدَّقَةٍ، وَعَرَاضٍ مُعَدَّقَةٍ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ، لَكَانَ قَدَصِيغُ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ. وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا،

ص: ١٢٧

وَالْأَخْيَارُ الْمُرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُودِهِ حَضْرَاءَ. وَيَأْقُوتُهُ حَمْرَاءَ، وَتُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ، وَلَوْضَعَ مُجَاهِدَةً  
إِلَيْسَ عَنِ الْقُلُوبِ، وَلَنْفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ  
الْمَكَارِهِ، أَخْرَجًا لِلتَّكْبِيرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَإِسْكَانًا لِلتَّدَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فَتْحًا إِلَى فَضْلِهِ، وَأَسْبَابًا ذُلًّا لِعَفْوِهِ.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا خرجتم حجاجاً إلى بيت الله - عز وجل - فأكثروا النظر إلى بيت الله، فإنَّ لله - عز وجل - مائة  
وعشرين رحمةً عند بيته الحرام، منها ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين» (١).

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله، قال: «لله - تبارك وتعالى - حول الكعبة عشرون ومائة رحمة، منها ستون للطائفين، وأربعون  
للمصلين، وعشرون للناظرين» (٢).

وعن إسحاق بن عمار، قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه  
ألف سيئة، أفلا - أخبرك بما هو أفضل من هذا؟ قلت: بلى. قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجةً كتب الله له طوافاً وطوافاً حتى بلغ  
عشراً» (٣).

دروس من الكعبة:

ل (الكعبة) المشرفة توجيهان في حياة المسلمين وهما: (القبلة) و (الطواف).

وكل منهما يرمز إلى معنى يختلف عن المعنى الآخر، وسوف نتحدث إن شاء الله عن كل منهما، ونبدأ بالقبلة.

١-١ بحار الأنوار ٩٩: ٢٠٢.

٢-٢ بحار الأنوار ٩٩: ٢٠٢.

٣-٣ بحار الأنوار ٩٩: ٢٠٣.

ص: ١٢٨

١- القبلة

«فلنولينك قبلة ترضاها» (١) للقبلة دور مزدوج. فهي أولاً توجه المسلمين إلى الله في كل يوم خمس مرّات على الأقل. وتوحد جهة المسلمين بهذا الاتجاه ثانياً. ولا بدّ من بعض التفصيل في هذا وذاك:

١-١ البقرة: ١٤٤.

ص: ١٢٩

الدور الأول للقبلة: تسليم الوجوه إلى الله:

استقبال الكعبة في الصلاة يرمز إلى تسليم الوجوه لله تعالى. وتسليم الوجه لله بمعنى أن يسلم الانسان جهة حركته ومساره لله تعالى، ويعطى وجهه لله.

أنحاء التسليم:

والتسلم لله في حياة الانسان على ثلاثة أنحاء:

١- التسليم لقضاء الله وقدره؛ بمعنى أن لا يعترض الانسان ولا يتذمر لما يقدر الله - تعالى - له من القضاء والقدر في السراء والضراء. وفوق درجة التسليم هذه درجة (الرضا بقضاء الله وقدره) وهو من أسمى مراتب العبودية واليقين.

٢- التسليم لدين الله وحكمه وشريعته، بمعنى الطاعة والانقياد والاستسلام لأمر الله وحكمه، والالتزام بحدود الله - تعالى - بصورة دقيقة، وهو (التقوى). وهذا التسليم يختلف عن التسليم الأول، فإن التسليم هنا يتم بالانقياد الطوعى والإرادى لحكم الله تعالى وحدوده ... بينما التسليم في الفقرة الأولى بمعنى عدم الاعتراض والتذمر من قضاء الله - تعالى - وقدره والرضا به. أما القضاء والقدر فينزلان على الإنسان بغير إرادته واختياره، ويقهرانه على ذلك، أراد ذلك أو لم يرد.

٣- أن يسلم الإنسان وجهه لله، بمعنى أن يجعل وجه الله - تعالى - ومرضاته غايته في حركته، ويسعى إليه، ويكون همه تحقيق مرضاة الله، والتقرب إليه وابتغاء وجهه الكريم.

وهذا التسليم يختلف عن التسليم في الفقرة الثانية، ففي الفقرة الثانية يأتي التسليم بمعنى الطاعة، وتجنب المعصية، والعمل والحركة ضمن حدود الله تعالى، وعدم تعدى الحدود الإلهية والاجتناب عن انتهاك حرمت الله.



ص: ١٣٠

بينما التسليم فى الفقرة الثالثة مسألة نفسية وذهنية وهى ابتغاء وجه الله ومرضاته.

\*\*\* والتسليم لله بالمعنى الثالث هو رسالة القلب، وهو أحد الدورين الذين تنهض بهما (الكعبة) فى حياة الإنسان. قال تعالى: «فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله، ومن أتبعن...» (١)

. و «بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه...» (٢)

، و «ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن...» (٣)

، و «ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى...» (٤).

وكما ليس للإنسان إلقب واحد «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» (٥)

كذلك ليس للإنسان إلقب واحد. وهذا الوجه إما أن يكون إلى الله، أو إلى جهة أخرى غير جهة الله.

وقد يتمكن الإنسان فى وقت واحد أن يقوم بعملين (يمشى ويتكلم مثلاً)، ولكن لا يمكن أن يعطى وجهه فى وقت واحد إلى جهتين.

إذن معنى تسليم الوجه هو أن يكون هم الإنسان، وغايته فى حركته ومسعاها هو مرضاء الله تعالى «قل إنصلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين» (٦).

وتسليم الوجوه لله - تعالى - بهذا المعنى هو أن يضع الإنسان وجهه قبال وجه الله الكريم، ويعطى وجهه لله. وهو بمعنى الإقبال على الله فى الحركة والاعراض عن غير الله.

إذن فإن (وجه الله الكريم) ينظم مسير الإنسان وحركته، إذا أعطاه الإنسان وجهه وسلمه ناصيته.

وقد يعبر القرآن عن هذا المعنى ب (إقامة الوجه للدين).

١-١ آل عمران: ٢٠.

٢-٢ البقرة: ١١٢.

٣-٣ النساء: ١٢٥.

٤-٤ لقمان: ٢٢.

٥-٥ الأحزاب: ٤.

٦-٦ الأنعام: ١٦٢.

ص: ١٣١

«وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين» (١).

وإقامة الوحدة للدين، بمعنى تسليم الوجوه وتوجيهها لله تعالى، فإن مهمة الدين في حياة الانسان هو توجيه وجه الإنسان إلى الله. الحالات الثلاث للإنسان:

وتوجيه الوجوه إلى الله هي الحالة الوحيدة للاستقامة على الصراط المستقيم في حياة الإنسان. وهذه الحالة تقع مقابل حالة الإعراض والانحراف عن الله ... وهما حالتان مختلفتان في حياة الإنسان.

فحالات الإنسان بالنسبة إلى الله تعالى ثلاث:

١- حالة الاستقامة على الصراط المستقيم في حياة الإنسان.

٢- حالة الإعراض والصدود عن الله وهي حالة (المغضوب عليهم).

٣- حالة الانحراف عن الله، من دون إعراض وصدود، وهي حالة (الضالين).

فهذه ثلاث حالات للإنسان بالنسبة إلى الله - تعالى - تشير إليها سورة الفاتحة.

والحالة الأولى هي الحالة الوحيدة للاستقامة في حياة الإنسان.

وأبعد حالات الإنسان عن الله - تعالى - هي حالة الإعراض والصدود عن الله، وهي حالة المغضوب عليهم ... وفي هذه الحالة يخرج

الإنسان عن دائرة رحمة الله الواسعة التي لا تضيق بشيء إلا أن يشاء الله، وهي حالة السقوط والهلاك للإنسان ... وهذه الحالة تحجب

الإنسان عن الله حجباً كاملاً، وبين هاتين الحالتين حالة الانحراف عن الله، من دون إعراض وصدود، وهي حالة الضالين. وهذه الحالة

حالة منحرفة عن الله، وليست على الصراط المستقيم،

ص: ١٣٢

ولكنها لا تحمل إعراضاً وصدوداً عنه تعالى، فهي لذلك تقع في دائرة رجاء رحمته عز وجل. واستقبال القبلة يرمز إلى هذه الحالة الوحيدة للاستقامة على الصراط المستقيم، وهي الحالة التي يوجه الإنسان وجهه ويسلمه لله - تعالى - وهذا هو الدور الأول للقبلة.

الدور الثاني للقبلة:

والدور الثاني للقبلة أنها توجه وجوه الناس جميعاً إلى الله. وهذه الصفة (الاجتماعية) في تسليم الوجوه لله تعطي الإنسان قرباً وسرعة وإقبالاً أكثر في حركته إلى الله.

ومن عجب، أن حركة الإنسان إلى الله وسط حركة جماهير المؤمنين إلى الله أسرع وأقوى وأرضى إليه تعالى، من أن يتحرك الإنسان وحده إلى الله إلا أن يكون أمة لوحده، كما كان إبراهيم عليه السلام أمة.

والله تعالى يحب أن يستقبل عباده مجتمعين، فإذا أقاموا الصلاة، أقاموها جميعاً، وإذا توجهوا إلى وجهه الكريم بوجوههم توجهوا جميعاً، وإذا صاموا صاموا جميعاً، وإذا أفطروا أفطروا جميعاً. وهذه الصفة (الاجتماعية) أمر أصيل وجوهري في هذا الدين. والقبلة تحقق هذه الصفة الاجتماعية في تسليم الوجوه إلى الله، إضافةً إلى أصل التسليم.

٢- الطواف

«وليطوفوا بالبيت العتيق» (١) والدور الثاني للكعبة أن هذه الغاية (وهي مرضاة الله، ووجهه الكريم)

ص: ١٣٣

تستوعب كل جهد الإنسان وهمة وحرسته، وهو ما يرمز إليه (الطواف).  
فإن (القبلة) توجه الإنسان إلى الله فيصلاته. وهذه مهمة صعبة وشاقة.

إلا أن هذه المهمة - في حدود القبلة - لا تستوعب كل جهد الإنسان وحرسته، فإن الإنسان يصلى، ويسعى ويتحرك في مناكب الأرض ابتغاء للرزق، ويتزوج، ويتعلم، ويعلم، ويحب، ويغض، ويذهب إلى السوق، ويعود إلى البيت، وهو لا يطلب في هذه الحركة الواسعة وجه الله، ولا يطلب إرزاقه ولذته وحاجاته، في غير معصية الله، وليس عليه من بأس في ذلك، إذا كانت هذه الحركة في غير معصية الله. غير أن شطراً كبيراً من جهد الإنسان وحرسته واهتماماته يقع خارج هذه الجهة (مرضاة الله ووجه الله) دون أن تعارضه. ولا يستوعب وجه الله ومرضاة كل همومه وحرسته وسعيه. ولا بأس على الإنسان في ذلك، غير أن حرسته في هذه الحالة إلى الله تكون حركة بطيئة. يتحرك إلى الله إذا قبل بوجهه على الله فيصلاته، ويتوقف عن الحركة إلى الله إذا قضى صلته، وذهب لغيرها من شؤونه في الحياة، كالمجتمعات المسيحية المعاصرة، فإن التوجه إلى الله في هذه المجتمعات لا يستوعب الأجزاء يسيراً من شخصية الناس وحركتهم في ساعة أو بضع ساعة من أيام الأحاد في الكنيسة، فإذا قضوا هذه الساعة في الكنيسة، وانصرفوا إلى سائر شؤونهم في الحياة، انصرفوا عن الله إلى غيره من شؤونهم من حلال أو حرام.

وأقل ما في ذلك أن حركة الإنسان إلى الله - تعالى - تكون بطيئة، ومنقطعة، ومثل هذه الحركة البطيئة المتقطعة، لا تكاد أن توصل الإنسان إلى (لقاء الله).

و (الطواف) يعلمنا أن من الممكن أن يستوعب (وجه الله) و (مرضاة الله) كل جهد الإنسان وحرسته وسعيه في السوق والبيت والمسجد والمدرسة وساحات الحرب وميادين السلم دون أن يعطل شيئاً من حرسته ونشاطه.

ص: ١٣٤

الحالات الثلاث للإنسان:

ولابد من توضيح وتفسير لهذا الأمر فنقول:

إن للإنسان تجاه الله ثلاث حالات:

١- حالة الشرك.

٢- حالة التوحيد.

٣- حالة الإخلاص.

وفيما يلي توضيح لهذه الحالات:

١- الشرك: وهي أن يحكم الإنسان أكثر من عامل على سلوكه، بمعنى أن يحكم الله - تعالى - على نفسه، ويحكم الهوى والطاغوت في الوقت نفسه على نفسه، فيخضع في سلوكه لهذه العوامل جميعاً وليس لحكم الله - تعالى - وأمره فقط، فيطيع الله تعالى، ويطيع الهوى والطاغوت في معصية الله، ويحل ما أحلوه له ويحرم ما حرموه عليه في مقابل ما أحل الله وما حرم الله. وهذه الطاعة والانقياد للهوى والطاغوت ... تأتي في حياة الإنسان في عرض طاعة الله، وبمعصية الله ومخالفته. والقرآن يسمي هذه الطاعة التي تأتي في عرض طاعة الله، وتتم بمعصية الله - تعالى - ومخالفته ب (الشرك). فيقول - تعالى - في طاعة الهوى: «أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً» (١) ، «أفأرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم ...» (٢).

وطاعة الهوى هو تأليه الهوى، ولا نعرف نحن معنى آخر لتأليه الهوى غير الطاعة والتسليم لعامل الهوى: هذا في طاعة الهوى. وأما في طاعة الطاغوت فيقول تعالى: «اتخذوا أبحارهم ورببانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً» (٣).

١- ١ الفرقان: ٤٣.

٢- ٢ الجاثية: ٢٣.

٣- ٣ التوبة: ٣١.

ص: ١٣٥

والعبودية هنا الطاعة، فإنّ النصرارى لم يزيدوا على طاعة أبحارهم ورهبانهم فيما أحلّوا لهم وحرّموا عليهم، فعبادتهم لهم هى تحكيم أوامرهم ونواهيهم عليهم.

وقد روى فى ذلك أنّ عدى بن حاتم قال لرسول اللّهلصلى الله عليه و آله: إنّنا لم نعبد أبحارنا ورهباننا؟ فقال له رسول اللّهلصلى الله عليه و آله: ألم تحلّوا ما أحلّوه، وحرّموا ما حرّموه؟

٢- التوحيد: وهو أنّ يحكّم الإنسان على نفسه حكم الله- تعالى- فقط، ويأخذ بما أحلّ الله- تعالى- وينتهى عمّا حرّم الله- تعالى-، ولا- يحلّل غير ما أحلّ الله، ولا- يحرم غير ما حرّم الله. ويجعل الإنسان كلمة الله هى العليا فى حياته، وأمر الله ونهيه هو النافذ على سلوكه، يمتثل ما أمر الله تعالى به وينتهى عمّا نهى الله عنه. وهذا هو (التوحيد) و (التقوى).

ولكن ليس بالضرورة أن يكون كلّ عمله وحرّكه وسعيه لوجه الله، وابتغاءً لمرضاة الله، فليس ممّا يضر ب (التوحيد) أن يذهب الإنسان إلى السوق ابتغاءً للرزق، لا ابتغاءً لوجه الله ومرضاته، وإنّما يضرّ بالتوحيد أن يجعل عامل الرزق حاكماً على سلوكه فى عرض حاكمية الله، ويأخذ بما يتطلّب الرزق محللاً له، وإن كان فى ذلك معصية الله ومخالفته.

والخلاصة: أنّ (التوحيد) هو قبول الإنسان سيادة الله- تعالى- وولايته المطلقة على حياته. و (التقوى) هو تحكيم سيادة شريعة الله وحدها على سلوكه.

فلا يرتكب الإنسان ما ينهى الله عنه، ولا يترك عمّا يأمر الله تعالى به، وليس من الضرورى فى (التوحيد) و (التقوى) أن يكون سلوك الإنسان كلّ- حتّى فى دائرة المباح- لوجه الله وابتغاء مرضاته.

٣- الإخلاص: وهو فوق مرتبة التوحيد، وتتحقّق هذه الحالة عندما

ص: ١٣٦

يمحّض الانسان نفسه وحياته، وسلوكه كلّ لله، وابتغاءً لمرضاته ووجهه، وتستوعب مرضاً لله كلّ حركته ونشاطه وسلوكه، وتصيب هذه الغاية (مرضاً لله) كلّ سلوكه ونشاطه وحركته، أولئك المخلصون. والإخلاص بهذا المعنى هو الدعوة الثانية للأنبياء بعد دعوة (التوحيد). والإخلاص ليس بمعنى أن يعطل الإنسان نشاطه وسعيه في مناكب الحياة، في السوق والبيت والمزرعة وساحات الحرب والإدارة والسياسة، ولكن بمعنى أن يطوّع الإنسان نشاطه وحركته في هذه الساحات كلّها لله تعالى.

ومن السهل أن يعطل الإنسان شطراً كبيراً من نشاطاته وسعيه، لئلا يكون سعيه وحركته لغير الله، ولكن من الصعب أن يطوّع الإنسان نشاطه وحركته كلّها لله تعالى. ودعوة الإسلام هو أن يطوّع الإنسان حركته وسعيه لله، وليس أن يعطل الإنسان نشاطه وحركته. وهذان منهجان في التربية الروحية: التعطيل والتطوّع.

والأول منهج سلبي يرفضه الإسلام، والثاني منهج ايجابي يدعو إليه الإسلام.

والطواف يرمز إلى هذا الشأن الصعب في علاقة الإنسان بالله تعالى. ففي الطواف يطوف الإنسان دورة كاملة حول الكعبة، في هذه الدورة يتحرك كتفه الأيمن حول محيط دائرة كاملة من الشرق إلى الغرب، ومن الجنوب إلى الشمال وفيما بين هذه الجهات جميعاً، ولا تبقى نقطة على هذا المحيط الدائري الشامل إلّا ويقطعه الإنسان بكتفه الأيمن. وهذا المحيط يساوي ٣٦٠٠ ولا نعرف جهة هندسية أوسع وأشمل من ٣٦٠٠ (أي محيط الدائرة).

وبينما يتحرك كتف الإنسان الأيمن حول هذه الدائرة الشاملة يثبت كتفه الأيسر على مركز الدائرة وهو الكعبة، ولا يحيد عنه، في كلّ هذه الحركة الدائرية.

ص: ١٣٧

ولهذا التركيز والتثبيت إلى جانب تلك الحركة الشاملة معنى عميق في حياة الإنسان المسلم. فإنّ من الممكن أن يقوم الإنسان بكامل النشاط المباح، الذي يقوم به سائر الناس في مناكب الحياة المختلفة، دون أن ينحرف حتّى لحظة واحدة عن ابتغاء وجه الله ومرضاته في شيء من ذلك. فيذهب إلى السوق لله، ويسعى في مناكب الحياة لله، ويتزوّج لله، ويؤمّن معيشة أهله لله، ويعمل في ميادين السياسة لله، ويقا تل لله، ويدافع لله. وإذا أحبّ أحبّ لله، وإذا أبغض أبغض لله، وإذا سرّ سرّ لله، وإذا غضب غضب لله.

فلا تفوت الإنسان في هذه الحركة الواسعة حركة ولا نشاط ممّا ينشط له الناس في مساحة المباح، ولا ينحرف الإنسان في جزء من هذا النشاط الواسع عن ابتغاء وجه الله ومرضاته، وعندئذٍ يكون مخلصاً لله، أى خالصاً، لا يشوب نفسه ونيته شيء لغير الله.

يقول تعالى عن رسوله وكليمه موسى بن عمران: «واذكر في الكتاب موسى إنّه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً» (١).

ويقول تعالى: «وما تُجزون إلّأما كنتم تعملون إلّأعباد الله المخلصين» (٢).

«فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلّأعباد الله المخلصين» (٣).

و (المخلص والمخلصين) في هذه الآيات بفتح اللام بمعنى الخالص، الذي خلصت نفسه ونيته من كلّ شائبة لغير الله تعالى.

ففي تفسير قوله تعالى: «إلّأمن أتى الله بقلب سليم» (٤).

عن الامام الصادق عليه السلام، والراوى سفيان بن عيينة، قال: سألته عن قول الله «إلّأمن أتى الله بقلب سليم» قال: «القلب السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحدٌ سواه. قال: وكلّ قلب فيه شركٌ أو شكٌ فهو ساقط. وإنّما أرادوا الزهد

١-١ مريم: ٥١.

٢-٢ الصافات: ٤٠.

٣-٣ الصافات: ٧٤.

٤-٤ الشعراء: ٨٩.



ص: ١٣٨

في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة» (١).

وإذا أخلص الإنسان نفسه لله، وكان كل سعيه وحركته ونشاطه لله، فإن كل شيء في حياته يقربه إلى الله - تعالى - ... ذلك أنه مقبل بوجهه إلى الله، كادح للقاء الله كدحاً في كل عمل وحركه ونشاط، ولا يتوقف عن الكدح والحركة والإقبال على الله في سعي أو عمل، مهما كان نوع هذا السعي والعمل، في ساحات السياسة أو القتال، وفي السراء أو الضراء، وفي السوق أو البيت أو المسجد ... كل ذلك يقربه إلى الله. ويكون مع الصادقين في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

\*\*\* وقبل أن نهى هذا الدرس عن (الطواف) نضيف إلى خصائص الطواف خصلة أخرى وهي الصفة الاجتماعية في الطواف، إن الله تعالى يحب أن يقبل عباده إليه مجتمعين، ويكدحون ويتحرّكون إلى وجهه الكريم فيصفوف مترابطة، وحشود بشرية كبيرة من المؤمنين.

وهذه الخصلة الاجتماعية في الحركة إلى الله تعطي لهذه الحركة سرعة وقوة ومتانة واستحكاماً أكثر. وشتان بين أن يعبد الإنسان لوحده الله - تعالى -، أو يعبد في وسط حشد من المؤمنين، فإن العبادة الثانية أرضى وأقرب إلى الله تعالى، وأسرع إلى القبول ونيل مرضاة الله من الأولى.

وفي الطواف نجد هذه الخصلة الاجتماعية بوضوح. حيث يدعو الله - تعالى - المؤمنين لطواف هذا البيت في أيام معدودات معلومات من السنة، فيتراحم المؤمنون حول البيت العتيق، ويتدافعون بطبيعة الحال ويخلصون إلى الله في وسط هذا التدافع والتراحم. وهو درس عجيب من دروس الطواف.

فإن العبادة وابتغاء مرضاة الله في وسط حشود المؤمنين يستتبع، بطبيعة الحال، مثل هذا التدافع والتراحم، والتنافس، وأحياناً التنافس السلبي، ومع

ص: ١٣٩

ذلك كله فإن الله - تعالى - يدعوننا إلى أن نسلك الطريق إليه وسط حشود المؤمنين مع هذا التراحم والتنافس، ويدعوننا إلى التسامح والتساهل والترفع عن المشاكل التي تحدث فيما بين المؤمنين أنفسهم. ولا بد من أن يحدث مثل ذلك، ولا بد من الترفع عنها، والتساهل فيها.

روى داود بن سرحان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أربع لا يخلو منهنّ المؤمن أو واحدة منهنّ مؤمن يحسده، وهو أشدّهنّ عليه، ومنافق يقفو أثره، أو عدو يجاهده، أو شيطان يغويه. وللطواف في نفوسنا مشهتان:

مشهد الطواف من الداخل، ومشهد الطواف من الخارج، ومشهد الطواف في كلّ منهما يختلف عن الآخر.

فاذا أشرفنا على الطواف من الأعلى من سطح البيت الحرام، وجدنا هذا الجمهور الحاشد يدور حول البيت في حركة هادئة مريحة متصلة مستمرة، وكأنّ أرض المسجد الحرام تدور بهم في حركة وديعة هادئة. وهذا هو مشهد (الطواف) من الخارج، وقراءة لحركة (التوحيد) و (الإخلاص) في التاريخ من بعيد، من أعمال التاريخ.

وللطواف مشهد آخر، وقراءة أخرى من الداخل، عندما ندخل في زحمة الطواف، ويعصرنا الطائفون، ونشقّ الطريق حول بيت الله الحرام في زحمة الطائفين ومنافستهم، وأحياناً مضايقاتهم ومشاكساتهم. وهذا مشهد الطواف من الداخل، وكذلك قراءة من الداخل لحركة التوحيد و (الإخلاص).

فلا تكاد تخلص حركة (التوحيد) و (الإخلاص) لله - تعالى - في حياتنا، فيصفوف المؤمنين الموحدين والمخلصين من هذا التراحم والتنافس الايجابي، والسلبى أحياناً. ومع ذلك فإنّ الله - تعالى - يريد منا أن نحمل عب رسالته

ص: ١٤٠

(التوحيد) و (الإخلاص) في الحياة في وسط جمهور المؤمنين، وحشود الدعاء إلى الله - تعالى -، ويطلب منّا أن نتقبل نتائج هذا التزاحم والتنافس في العمل كأمر واقع لا بدّ من أن يقع، ويدعوننا إلى التساهل والتسامح في هذا الأمر، وإلى الترفع عنه ما أمكن. وهذا هو الدرس الثاني من دروس الطواف.

الهوامش:

ص: ١٤١

مختصر معجم

مَعَالِم مَكَّةَ التَّارِيخِيَّةُ

عَاتِقُ بِنِ عَيْثِ البِلَادِي

أَجْيَاد:

كَأَنَّهُ: جمع جواد، والناس تقول (جِيَاد)، كان الإسم يطلق على شعبين كبيرين من شعاب مكة، يأتي أحدهما من الجنوب، يقاسم خُمًّا الماء فيتجه شمالاً، والآخر يأتي من الشرق من جبل الأعراف، ثم يجتمعان أمام المسجد الحرام من الجنوب فيدفعان في وادي إبراهيم. وقد أصبحا اليوم مأهولين بأحياء عديدة من أحياء مكة، أشهرها: حى جواد، و المصافى، و بئر بليئة. و من جواد الكبير طريق يفرع ريع بخش - رأس جواد - ثم ينحدر فى (خُم) فإلى بطحاء قُرَيْش فَتَوَّر جنوباً. قال ميمون بن قيس (الأعشى) (١):

فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الحُجُونِ وَلَا الصِّفَا وَلَا لَكَ حَقُّ الشَّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمَزَمَ

وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ بَيْتَكَ فِي العُلَا بِأَجْيَادِ غَرْبِي الصِّفَا وَالْمَحْرَمِ

ص: ١٤٢

و قال عمر بن أبي ربيعة (١):

هيهات من أمة الوهاب منزلنا (٢) لما نزلنا بسيف البحر من عدن  
وحل أهلك أجياداً فليس لنا إلا التذكر، أو حظ من الحزن وله ذكر كثير في كتب المتقدمين و أشعارهم.

وقال بشر بن أبي خازم (٣):

حلفت برب الداميات نهورها وما ضم أجياد المصلى ومذهب  
لئن شبت الحرب العوان التي أرى وقد طال إبعاد بها وترهب  
لتحتملن بالليل منكم ظعينة إلى غير موثوق من العز تهرب وقال أبو بكر العبدى العدنى الوزير (٤):

يا موحياً نور الصباح البادى ونسيم الرياح غب الغوادي

حى أحبنا بمكة ما بى - ن نواحي الصفا وبين جياذ أما أجياد الصغير فيأتى من الشرق، وكان حياً كالمسدود فى سنة ١٤٠٤ هـ فتح منه  
نفق إلى حى العزيزية تحت جبل الأعراف، وجعلت فيه طريق مختصرة لمشاة الحجاج، فصار مرفقاً مفيداً، وقصر الطريق على سكان  
حى العزيزية، ومنتسبى جامعة أم القرى إلى أقل من ثلث الطريق القديم المار فى الأبطح.

الأخشبان:

مثنى الأخشب وهو الجبل الخشن وعر المرقى.

قال الشريف الرضى (٥):

أجبتك ما أقام منى وجمع وما أرسى بمكة أخسبها  
وما دفع الحجيج إلى المصلى يجزون المطى على وجاها  
وما نحروا بخيف منى وكبوا على الأذقان مشعرة ذراها

١-١. ديوانه: ٣٤٨.

٢-٢. أمة الوهاب: ابنه عمر بن أبي ربيعة.

٣-٣. معجم البلدان أجياد.

٤-٤. معجم البلدان جياذ و فى الإكليل ٢: ٤٧ هو أبوبكر أحمد العيدى الأبينى، نسبه إلى أبين - و فى العقد الثمين ٨: ٩ ذيل: اختلف  
فى نسبه، فقول: العبدى، و العيدى، و العيدى. والصواب: العيدى؛ بالياء قبل الدال المهلة و أبين مقاطعة يمينه قرب مدينة عدن.

٥-٥. ديوانه: ٥٦٣.

ص: ١٤٣

وقال ساعده بن جُوَيَّة الهذلي (١):

ومقامهنّ إذا حُسن بمازِمَ ضَيِّقِ أَلْفٍ وَصَدَّهِنَّ الْأَخْشَبُ وَأَكْتَرُ الْأَقْدَمُونَ مِنَ الْقَوْلِ عَنِ الْأَخْشَبِينَ، وكادوا يتفقون على أنهما: أبو قبيس وقعيقعان، أما أبو قبيس - بضم القاف - فهو من أشهر جبال مكة بل أشهرها على الإطلاق، وهو الجبل المشرف إشرافاً مباشراً على المسجد الحرام من مطلع الشمس، ولذا يقول أهل مكة: الواقف على أبي قبيس يرى الطائف! وسيأتي ذكر «قعيقعان» في باب. أما أهل البادية فيطلقون على الجبلين المشرفين على المزدلفة من الشرق «الأخشبين» ويسمّون الطريق بينهما «المأزمين». وقد يطلق اسم الأخشبين على جلي مني فيميزان بأخشبي مني، وكان الشامي منهما يسمى القابل، وهو وجه ثبير غيناء من الجنوب، وثير غيناء سيأتي معناه، وكان يسمى ثبير الأثيرة أي كبيرها، أما جبل مني اليماني فكان يسمى الصابح، وسفحه الشمالي الشرقي يسمى «خيف مني» وله شهرة في أشعار العرب، يقول الشريف الرضي:

نظرتك نظرة بالخيف كانت جلاء العين أو كانت قذاها (٢)

ولم يك غير موقفنا فطارت بكل قبيلة منا نواها وعلى كل حال فكل هذه الأجل أخشب، ولذا يكون أبو قبيس وقعيقعان: أخشبي مكة، والقابل والصابح: أخشبي مني، والمأزمان: أخشبي مزدلفة.

أذاخِرُ:

كجمع أذخر. جمع قلة. وهو نبات معروف.

قال بلال بن رباح رضی الله عنه:

١-١ معجم البلدان الأخشبان.

٢-٢ في الديوان: جلاء العين مني بل قذاها.

ص: ١٤٤

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلَةً بفخٍّ وحولي أذخر وجليلٌ؟

وهل أُرِدن يوماً مياه مَجَنَّةٍ وهل يَبْدُون لى شامَةٌ وطْفيلٌ؟ فى هذا الشعر:

أ- فَخٌّ: بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة. هو وادى مكةَ الثانى، وقد ألمحنا إليه فيما تقدّم. وهذا الوادى يدخل بين حراء ومكة، فيمر فى الزاهر ويذهب إلى الحديدية ثم يصب فى مر الظهران فوق حداء.

ب- أذخر: هو جبل أذخر. وقال: أذخر ليستقيم له وزن الشعر. وليس كما فسره بعض المتأدبين بأن بلاً كان يحب شميم الأذخر بل كان يحب مكة: شعابها وجبالها وضواحيها، كما هو ظاهر من شعره.

وأذخر هذا: هو الجبل الذى يشرف على الأبطح من الشمال يتصل بالحجون من الشرق، ولا زالت هناك ثنية تعرف منذ القدم بثنية أذخر، قال الأزرقى فى أخبار مكة (٢: ٢٨٩) ثنية أذخر: الثنية التى تشرف على حائط خرمان، ومن ثنية أذخر دخل النبى (صلى الله عليه وآله) يوم فتح مكة، وقبر عبد الله بن عمر بأصلها مما يلي مكة. أى فى مقبرة آل عبد الله بن أسيد. وحائط خرمان: يعرف اليوم بالخرمانية. بصدر مكة. صار رحبه تقف بها سيارات الكراء. ويشرف عليه من مطلع الشمس (قرن غراب) وسيأتى مستقبلاً، وقد عمر اليوم جله كمقر لأمانة العاصمة.

وحكى لى الأخ الاستاذ داخل المسعودى: أنهم اكتشفوا مقبرة بطرف الخرمانية كان الدم ينزف من أحد قبورها، فترجح لديهم أنها المقبرة المشار إليها، فاحيطت بجدار، وهى الآن بطرف بناية أمانة العاصمة مما يلي أذخر.

ج- جليل: بفتح أوله وثانيه: شعب يصب من حراء فيصدر فخ. وقد أصبح حياً من أحياء مكة جل سكانه من الروقة من عتبية.

ص: ١٤٥

الأقحوانة:

على لفظ واحدة النبات المعروف:

كان يطلق هذا الاسم على ما بين المنحنى والمفجر الأوسط، أو بتحديد أوضح ما كان يعرف بالمحصب، وهو صدر وادي إبراهيم الذي يصب فيه سيل عقبه منى.

قيل: إن أهل مكة كانوا يخرجون إليه متنزهين في ثياب زاهية مختلفة الألوان شبهت بزهر الأقحوان. وتشمل الأقحوانة اليوم أحياء: الروضة والششة وما جاورهما.

قال الحارث بن خالد المخزومي:

من كان يسأل عنا: أين منزلنا؟ فالأقحوانة منا منزل قمن

إذ نلبس العيش غصاً لا يكدره قرف الوشاء ولا ينبو بنا الزمن بثر ميمون:

قال شاعر لم أعر على اسمه (١):

تأمل خليلي هل ترى قصر صالح وهل تعرف الأطلال من شعب واضح إلى بئر ميمون إلى العيرة التي بها ازدحم الحجاج بين الأباطح في هذا الشعر: بئر ميمون: بئر حفرها ميمون أخو العلاء الحضرمي والى البحرين. عندها قبر أبي جعفر المنصور فيما يسمى اليوم بحى الجعفرية بين أذاخر والحجون. والعيرة كمؤنث العير: هو الجبل الذى عليه المنحنى بالمعابدة- بالباء الموحدة- أى بين حى الملاوى وحى الروضة.

والأباطح: أبطح مكة، والجمع من عادة شعراء العرب.

هذا ما جاء فى معجم معالم مكة بطبعته الأولى والثانية.



ص: ١٤٦

وعندما حددت بئر ميمون هذا التحديد اعتمدت على:

- ١- ورود ذكرها في يوم الفتح؛ حيث دخل رسول الله (صلى الله عليه و آله) من أذاخر، وأنه استقى من بئر ميمون.
  - ٢- وجود هذا الحى بجوار أذاخر يسمى الجعفريه، ولم أر من نسبه فترجح عندي أنه نسبة إلى أبى جعفر المنصور.
  - ٣- ما جاء في تاريخ الفاكهي: أن أبى جعفر حين مات هنا صلى عليه في المسجد الصغير المجاور للخمرانية، وهذا يعنى أنه مات قريب منه، أى أن بئر ميمون مقترنة بهذه المواضع كلها.
- ولكن الشريف شاكر بن هزاع العبدلى قائم مقام مكة أوقفنى بعد حج عام ١٤١٢ هـ على بئر قديمة شرقى قصر أماره مكة، على يمين الطريق الذاهب إلى الشرائع فالطائف عن طريق نخلة اليمانية، فقال: هذه بئر ميمون، وأراني حجيرة قربها، قال: هذا قبر أبى جعفر المنصور.

ومع اعترافى بخبره الشريف شاكر فى جغرافيه مكة، ألما ان هناك تساؤلًا، إذا كانت هذه بئر ميمون على بعدها من أذاخر، وهو بعد معاكس لا تجاه المسجد الحرام للآتى من أذاخر، فما علاقتها برسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم الفتح؟ ثم إذا كان أبو جعفر مات فى هذا المكان، لم حمل إلى هذا المسجد الصغير على بعد، ثم أعيد بعد الصلاة عليه إلى بئر ميمون؟ فإذا كان المقصود دفنه حيث مات لصلّى عليه هناك، وإذا كان المقصود التيمن بالمسجد، فالذين حملوه لم يبق بينهم وبين المسجد الحرام ما يعجزهم عن المواصلة، ثم لم لم يدفن عند المسجد الذي صلى عليه فيه، وليست لبئر ميمون قدسية أو ميزة؟ ثم إن مقبرة أهل مكة كانت قريبة جداً من ذلك المسجد، فلم لم يدفن هذا الخليفة فى المقبرة؟ ولأنها كما قيل كانت قد اتسعت إلى حى الجعفرية اليوم، فلعله دفن فى طرف المقبرة مما يلي أذاخر، ثم إن هذا الحيز

ص: ١٤٧

من المقبرة توقف الدفن فيه بعد إنشاء المقبرة السليمانية، فدفن الطمع بعض الناس إلى الاستيلاء على الأماكن المندثرة، فسارع الولاة إلى تسوير المقبرة القديمة، ثم أخذ ذلك الجانب اسم الجعفرية؛ لعلم الناس أن أبا جعفر مدفون فيه. وعلى كل حال فمع عدم جزمى بأحد المكانين، فإن رأى لم يتغير، واستتاجى أجد له قوة، والبحث مفتوح لمن يدقق ويحقق. وأقول: إنى ختمت البحث بهذا القول دون أن تكون لدى التية أن أزيد فيه، ولكن تصفحت كتاب الفاكهي المطبوع قبل سنوات، فإذا فيه ما يأتي:

٢٤٨٢- حدثنا أبو يحيى عبد الله بن أحمد بن أبي مسرة، قال: حدثني محمد بن عبيدة الشؤيفعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي صالح، مولى عبد الله بن عامر، قال: توفي أبو جعفر يوم التزوية سنة ثمان وخمسين ومائة، وصلى عليه عند الحطيم (١) في مسجد هناك، وضرب على المقبرة- يعنى مقبرة مكة- سرادق، ثم أتى بنعشه، فأدخل في السرادق، فلما فرغ من دفنه، ورجع الناس، ورفع السرادق، وإذا بقبرين، واحد في أعلى المقبرة، وواحد في أسفلها، مما يلي المسجد، ثم بنى عليهما جئندان. قال لي أبو يحيى: أدركت أحد الجئندان أنا. قال: ثم حج المهدي بعد ذلك؛ فرأيته جاء إلى الجئند الأعلى في المقبرة، فوقف على ذلك القبر، والناس خلفه فصلى عليه.

وفي وجه شجيرة الخوز دار لبابة بنت علي، ومحمد بن سليمان بن علي. وفي هذه الدار كان يسكن عبيد الله بن قثم، وهو يومئذ والي مكة مع زوجته لبابة بنت علي، وفيها رأى الرؤيا التي أفرعته.

٢٤٨٣- حدثنا أبو يحيى عبد الله بن أحمد، قال: ثنا خالد بن سالم مولى ابنصيفي المكي، قال: أخبرني إبراهيم بن سعيد بنصيفي المخزومي، وكان صديقاً

ص: ١٤٨

لعبيد الله بن قثم، قال: أرسل إلى عبيد الله بن قثم وهو أمير مكة نصف النهار، وكان نازلًا ببئر ميمون، في دار لبابة بنت علي، زوجته. وتري في رواية الفاكهي: توفي أبو جعفر وصلى عليه عند الخطم، ودفن في مقبرة أهل مكة، وقد اقترن موته فيما تقدم ببئر ميمون، ثم ترى أن بئر ميمون عند شعب الخوزأي حيث يدفع في الوادي، وهكذا تحفر الآبار، وأنه دفن في الجهة الشرقية حيث الجعفريه اليوم، وهذا شاهد بل هناك عدد من الشواهد على أن بئر ميمون كانت في حيز ما بين البياضية ومقبرة مكة.

البطحاء:

بفتح الباء وسكون الطاء: اسم مألوف - لدى العرب - لكل أرض في مسيل السيل: قال حذافه العدوي يمدح بني هاشم (١):  
 هُم مَلَأُوا البطحاء مَجِيداً وَسُوِّدَدَا وَهَم تَرَكَوْا رَأْيَ السَّفَاهَةِ وَالهَجْرَ وَقِيلَ: جَاءَ هِشَامُ بِنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ فَيَقْتَرِبُ مِنَ الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَلَا يُفْسِحُ لَهُ أَحَدٌ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا بَعْلَى زَيْنِ الْعَابِدِينَ بِنِ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، إِذَا اقْتَرَبَ مِنَ الْحَجْرِ انْجَفَلَ النَّاسُ عَنْهُ وَتَرَكَوْهُ لَهُ، فَاعْتَظَ هِشَامٌ لَذَلِكَ فَسَأَلَهُ أَحَدُ مِرَاقِيهِ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لَا أَعْرِفُهُ. وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ حَاضِراً فَاعْتَظَ لَذَلِكَ فَأَنشَأَ قَصِيدَهُ مِنْهَا:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي التقي الطاهر العلم

وليس قولك: لا - أعرف بضائره العزب تعرف من أنكرت والعجم وكان الفرزدق في حاشية هشام، ولكن الأمويين ما كانوا يقربونه؛ لكثرة افتخاره بكرم أبيه وإطرائه بني هاشم، فغضب هشام فسجن الفرزدق بعسفان.

ص: ١٤٩

ثم اطلعت على أقوال في قصيدة الفرزدق هذه، فبحثتها في كتابي أمثال الشعر العربي، قافية الميم المضمومة، فاذا شئت فراجعه. وكانت فيصغرنا بطحاء. أما اليوم فهي شارع معبد وأرصفة، وكان أهل مكة يعرفون أن البطحاء بين مهبط ريع الحجون والمسجد الحرام، فإذا تجاوزت ريع الحجون مشرقاً فهو الأبطح إلى المنحنى عند بئر الشيبى. ويطلق عليها المعلاة، أما ما بعد المسجد جنوباً بغرب فهو المسفلة إلى قوز المكاسة. وقوز المكاسة: دعص رمل أسفل من كدى، كان يسمى «الرَّمَصَة».

وكان لقريش اعتزاز بالبطحاء، فالسيد العنديد يسمى (سداد البطحاء)، وقريش مكة يسمون قریش البطاح، تمييزاً لهم عن قریش الظواهر أى ظاهر البادية.

بَلَدَح:

بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الدال المهملة وآخره حاء مهملة أيضاً.

قال ابن قيس الرقيات (١):

فَمِنَى فَالْجِمَارُ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ مُقْفَرَاتٍ، فَبَلَدَحٍ فَجِرَاءٍ وَقَالُوا: لَمَّا قَتَلَ الْحُسَيْنُ صَاحِبَ فَخٍّ سَمِعَ عَلَى مِيَاهِ غَطْفَانَ كَلَّهَا هَاتِفٌ يَقُولُ:

أَلَا يَا لِقَوْمٍ لِلسَّوَادِ الْمَصْبُوحِ وَمَقْتَلِ أَوْلَادِ النَّبِيِّ بَبَلَدَحِ

لِيَبْكِكَ حُسَيْنًا كُلُّ كَهْلٍ وَأَمْرَدٍ مِنَ الْجَنِّ، إِنْ لَمْ تَبْكِكَ لِلإِنْسِ نُوحٍ وَبَلَدَحِ: هُوَ وَادِي مَكَّةِ الثَّانِي، الَّذِي تَقَعُ فِيهِ مَقْبَرَةُ الشُّهَدَاءِ وَأُمُّ الدُّوْدِ (أُمُّ الْجُودِ). وَسَمَاهُ الْأَزْرَقِيُّ وَادِي مَكَّةِ.

وقال: إن وادي بكة هو الذي يمر بالبيت (وادي إبراهيم)، وكان بلدح في

ص: ١٥٠

عهد الأزرقي لكل جزع منه اسم: فبقرب حراء يسمى مكة السدر، وعند الشهداء يسمى فحاً. ويظهر أن اسم بلدح - من قديم - لا يطلق إلا على ما تجاوز الزاهر إلى الحديبية (الشمسية)، وهناك أقوال وتعريفات تركت للاختصار، راجعها في المعجم (١).

والحسين المقتول بفخ، الذي صار يسمي صاحب فخ: هو الحسين بن علي بن الحسن بن عم موسى الكاظم (عليه السلام)، خرج على الدولة العباسية سنة ١٦٩ هـ فقتله والي مكه، بعد معركة دامية في المكان المعروف - اليوم - بالشهداء، فسمى هذا الحي الشهداء من يومها، أي مقبرة الشهداء. ولتلك الموقعة أخبار مطولة سنأتي عليها عند ذكر فخ إن شاء الله.

وقد نقل بعض المؤرخين: أن عبد الله بن عمر دفن في هذا الموضع، وهذا وهم، فعبد الله بن عمر دفن بمقبرة بنى عبد الله بن أسيد في أذاخر.

وقد تقدم الحديث عنها في «أذاخر».

التنضباوى:

جزء كبير من وادي ذى طوى: واد كبير يسيل من الطرف الغربي لجبل أذاخر وشمال جبل (قَعَيْقَعَان)، فيسمى أعلاه اللصوص نسبة إلى ريع في رأسه يسمى ريع اللصوص، سمي الآن ريع السد، نسبة إلى سد فخ القريب منه.

ثم يسمى العتيبة إذا صار بين الحجون والكحل (الثنية الخضراء) وعند بئر طوى يسمى جرول.

فاذا تجاوز الطرف الغربي لجبل الكعبة سمي التنضباوى؛ والاسم الذى يكتب فى الدوائر اسم غريب لم أر له اشتقاقاً أو نسبة هو الطندباوى، وهذا خطأ واضح، والاسم الصحيح هو (التنضباوى) نسبة إلى أشجار التنضب التى لحقنا

ص: ١٥١

نحن بعضها عندما كانت تبني تحتها أكواخ التكاثر، وسألت بعض شيوخ قبيلة المجانين عن اسم هذا الوادي، فقال: كله وادي طوى. وسألته عما كان ينبت في هذا الجزء من الوادي؛ فتبسم وقال: ما لحقنا فيه غير التنضب.

وسماه الأزرقى - في هذا الموضع - (الليط). ثم يجتمع وادي طوى بوادي إبراهيم تحت جبل (ثبير الزنج) جبل المسفلة من الجنوب الغربي، فيكون أكبر روافد وادي إبراهيم. وكانت هناك لوحة كتب عليها الطنبدأوى، وقال بعض العامة: الطنطباوى، إلى آخر التحريفات.

التنعيم:

واد ينحدر شمالاً بين جبال بشم شرقاً وجبل الشهيد جنوباً فيصب في وادي ياج، وهو ميقات لمن أراد العمرة من المكين، وتسمى عمرته: عمرة التنعيم، أى مكان الاعتمار، وذلك تمييزاً لها عن عمرة الجعرانة، وكان يسمى نعمان، قال محمد بن عبد الله النميرى:

فلم تر عيني مثل سرب رأيتُه خرجن من التنعيم معتمرات

مررن بفخ ثم رحن عشية يلين للرحمن مؤتجرات

فأصبح ما بين الأراك وخذوه إلى الجذع جذع النخل والعمرات

له أرح بالعبير الغض فاغم تطلع رياه من الكفرات

تضوع مسكاً بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة عطرات وقد توهم بعض أن نعمان الوارد هنا هو نعمان الأراك، وهذا خطأ، إذ إن من يعتمر قاصداً المسجد الحرام ليس قريباً من نعمان الأراك.

ص: ١٥٢

وقد أصبح التنعيم اليوم حياً جميلاً من أحياء مكة. وقد ثبت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر عبد الرحمن بن أبي بكر أن يعمر عائشة أخته من التنعيم، ومن ذلك اليوم اتخذها أهل مكة عمرة، وهو أقرب الحلّ إلى المسجد الحرام، فهو يقع على قرابة ستة أكيال شمالاً من المسجد الحرام على طريق المدينة.

وقد فسّر بعض الأدباء شعر النميري: أنه على نعمان الأراك، لورود اسم نعمان، وذكر الأراك في هذا الطريق، وليس لهم ذلك، ففي هذا الشعر: ذكر العمرة من التنعيم، ثم هبوط النسوة فحاً بعد ذلك، متجهات إلى المسجد الحرام (موتجرات).  
تبيير:

بفتح التاء المثلثة، وكسر الباء:

قال عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو الملقب بالعرجي نسبة إلى عرج الطائف (١):

وما أنس م الأشياء لا أنس موقفاً لنا ولها بالسفح دون تبيير

ولا قولها وهناً وقد سمحت لنا سوابق دمع لا تجف غزير:

أنت الذي خبّرت أنك باكر غداة غدٍ أو رائح بهجير؟ ويقول الحارث بن خالد المخزومي:

إلى طرف الجمار وما يليها إلى ذات الفتادة من تبيير قلت: معظم جبال مكة الكبار كانت تسمى الأثيرة جمع تبيير فمنها: تبيير غيناء وهو

أشمخ هذه الأثيرة، وهو الذي تسميه عامة أهل مكة اليوم جبل الرّخم ذلك أن على رأسه غر الطير لا يفارقه، وكان يسمى - أيضاً - تبيير

الأثيرة، أي كبيرها. وكان يسمى في الجاهلية سميراً ثم سمي صفرًا، وكان يقال لقمته ذات

ص: ١٥٣

القتادة، وهو المقابل لجبل النور (حراء) من الجنوب، والمشرف على منى من الشمال، ويسمى منته الشمالى الشرقى «تَقْبِيَّة» بثلاث فتحات.

وكان الجاهليون لا يفيضون من مزدلفة حتى تشرق الشمس على رأسه.

ولذلك يقولون: أشرق تَبِيرٌ كيما نغير.

الأثيرة:

جمع تَبِيرٍ بفتح التاء وكسر الباء الموحدة:

اسم يطلق على عدد من جبال مكة منها تَبِيرٌ غَيْئَاءُ - كما تقدم - وهو أضخم جبال مكة، يشرف على الأبطح من الشرق، ويشرف على منى من الشمال، ويقابل حِزَاءَ من الجنوب، وتعرفه العامة اليوم بجبل الرخم - كما تقدم أيضاً -.

وتبیر الزنج: جبل المسفلة الذى يشرف عليها من الغرب، ومنه جبل عُمَرُ وجبل الشراشف وجبل الناقة وغيرها.

أجزاء من الجبل يسمى كل منها جبلاً، وهى من عادات العرب فى التسمية.

وتَبِيرُ الخضرَاء: الجبل الذى يتصل بالخدادم من الشرق، يناوح تَبِيرٌ غَيْئَاءُ من الغرب الجنوبى، يمتد جنوباً إلى جبل سُدَيْر، وغرباً إلى جبل السبع بنات، ومنه تشاهد جبل ثَوْر جنوباً عدلاً.

وتَبِيرُ النَّصْع: جبل المزدلفة. وغيرها.

قال الفضل بن العباس اللُّهْبِيُّ نسبةً إلى أبى لهب عمّ النبى (صلى الله عليه وآله) (١):

هيهات منك قُوعِقَاعَانُ وبلدح فجنوب أثيرة فبطن عِساب

فالهاتوان فكبكب فجتاوب فالبعوض فالأفراع من أشقَاب قوله: فبطن عِساب، لعلصوابه (فبطن كِساب)؛ لأن كساباً جبل لا زال معروفاً فى طرف وادى ملكان، وهو الذى يقول فيه عمر بن أبى ربيعة:

حى المنازل قد عمرنا خرابا بين الجرير وبين ركن كسابا (٢) أما عِساب - أوله عين - فلم أجد من يعرفه.

وتَبِيرُ الأُحْدَب: وهذا هو الطرف الشمالى من تَبِيرِ النَّصْع، يقع بين جبل تَقْبِيَّةَ وجبل الطارقى شمال مُزْدَلِفَةَ، ولا تتصل حدودها به، ومنه يسيل وادى أفاعية الذى يمر بين تَبِيرِ غَيْئَاءُ وبين حِزَاءَ، وكان يُكُونُ نَصْدِرَ وادى إبراهيم، فكان سيله يضر بالمسجد الحرام؛ لأنه يسيل من

جبال شوامخ، فلما بنى (العدل) حُوْلَ ماء أفاعيه إلى مكة السدر «الصفيراء اليوم» فصار يذهب إلى فَخٍ فبلدح.

وتَبِيرُ النَّصْع: وهذا هو الجبل الضخم الذى يشرف على مزدلفة من الشمال والشرق، ويعرف باسم جبل المزدلفة، يفصل بينه وبين المأزمين ريع يسمى رقع المزار.

وتَبِيرُ الزُّنْج: ويقول الأزرقى انه سمى بذلك، لأن زنوج مكة كانوا يحتطبون منه، ويلعبون عنده، وهو المعروف - اليوم - بجبل المسفلة، وله أسماء عديدة منها:

جبل عُمَرُ، يطلق على القسم المشرف على الشُّبَيْكَةِ، يأخذه ريع الحفاير، وجبل الناقة يجاور جبل عُمَرُ من الجنوب الشرقى، والناقة: حصاة هناك تشبه الجمل.

يجاور ذلك جبل الشراشف، وفى الجنوب الغربى يسمى جبل التوبة، ولعل هذا لهصلة باسم الزنج، ويسمى غربه جبل الحفاير، والحفاير كانت تسمى فى عهد الأزرقى «الممادر»، أى حيث يستخرج المدر: وهو الطين الذى كانوا يبنون به، وهى - اليوم - حى من

أحياء مكة، وتَبِيرُ الخضرَاء هو الجبل ذو القلة الذى يشرف على الأقحوانة من الجنوب، ويمتد غرباً بجنوب فيتصل بالخدادم، ويمتد جنوباً فيتصل بجبل سُدَيْر، كما تقدم.



١-١ انظر معجم معالم مكة التاريخية والأثرية.

١-٢ انظر معجم معالم مكة التاريخية والأثرية.



ص: ١٥٥

وَتَبِيرٌ ثَوْرٌ: وهو يتلو هذا.

وتجدر الإشارة إلى أنه لا يعرف -اليوم- اسم تَبِير بل أن كثيراً من جبال مكة لا تعرف لها أسماء.

ثَوْر:

بلفظ ثور البقر جبل يقع جنوب مكة: يرى من المزدلفه ومن المسفله، وقد تقدم أيضاً أنه أحد أثيرة مكة. قال أبو طالب عم النبي

(صلى الله عليه وآله) (١):

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ عَلَيْنَا بَشَرٌ، أَوْ مُخَلَّقٍ بَاطِلٍ

وَمِنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيَّةٍ وَمِنْ مُفْتَرٍ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَحَاوِلِ

وَتَوْرٍ وَمِنْ أَرَسَى تَبِيرًا مَكَانَهُ وَعَيْرٍ وَرَاقٍ فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ وَهَذَا الشَّعْرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ثَوْرًا كَانَ مَعْرُوفًا فِي مَكَّةَ. ومنذ أن لجأ إليه رسول

الله (صلى الله عليه وآله) عند بدء الهجرة أصبح هذا الجبل مقدساً يزوره المسلمون للذكرى، ويدخله بعضهم تيمناً.

وجاء في سبب تسميته أطحل على وزن أفعل من الطُّحْلَة وهي لون معروف (٢).

قال المتقدمون: إنه اسم الجبل المعروف اليوم باسم ثور، وإن اسم ثور هو ابن عبد مناة بن أد بن طابخة، فنسب ثور هذا إلى الجبل

أطحل فقيل: ثور أطحل. وإليه ينسب الفقيه المحدث سفيان بن سعد الثوري. وليس إلى ثور قضاة.

قال البعيث الشاعر:

وَجِئْنَا بِأَسْلَابِ الْمَلُوكِ وَأَحْرَزْتُ أَسْتِنَّا مَجْدَ الْأَسْنَةِ وَالْأَكْلِ

وَجِئْنَا بِعَمْرٍوَ بَعْدَمَا حَلَّ سَرِبَهَا مَحَلَّ الذَّلِيلِ خَلْفَ أَطْحَلٍ أَوْ عَكْلٍ

١-١ معجم البلدان ثور والسيرة «لامية أبي طالب».

٢-٢ ان يكون صدر الدابة يميل إلى الحمرة، وهو لون مميز.

ص: ١٥٦

ويعرف هذا الجبل - اليوم وفي التاريخ الإسلامي - بجبل ثور، وفيه غار ثور الذي أوى إليه محمد (صلى الله عليه وآله) ورفيقه في بدء الهجرة إلى المدينة.

وقد تناقل الناس - إلى اليوم - تحديداً خاطئاً لجبل ثور، فنجد في مقررات المدارس أنه جبل بأسفل مكة. وهذا خطأ، فالجبل يقع جنوباً عدلاً من مكة أي جنوب المسجد الحرام، ولكن الطريق إليه كانت من المسفلة، ثم من ربيع كُدَي وهما أسفل مكة، فظن زائروه أنه أسفل مكة. أما اليوم فيمكن الذهاب إليه من أجياد مباشرة بعد أن شُقَّ ربيع هناك سَمَى ربيع بَحْش.

والناس يزورون الغار المقدس هناك، ولهم خرافة تقول: إن من يتعسر خروجه منه فهو لغير أبيه، ولا أدري من أول من أطلق هذه الخرافة؟ غير أننا لم نر سميماً استطاع دخوله كما لم نر نحيفاً تعسر خروجه منه. والإسلام لا- يجيز مثل هذه الإشاعات، واختراع الخزعبلات.

وشهرة غار ثور في مكة تغني عن تحديده، وأنت تراه من حيث أتيت مكة بارزاً يشبه شكله شكل ثور مستقبل الجنوب، ولعل لشكله علاقة باسمه.

الجزل:

بفتح الجيم وسكون الزاي ..

قال عمر بن أبي ربيعة (١):

ولقد قلت ليلة (الجزل) لما أخضلت ريطتي على السماء

ليت شِعْرى وهل يردنّ (ليت) هل لهذا عند (الزباب) جزاء؟ وقال السباعي في تاريخ مكة: جزل - بكسر أوله وتشديد ثانيه -: نسب إلى طائفة من الجنود كانت تلعب فيه.

وأقول: شعر عمر يدل على أن المكان كان معروفاً قبل أن تعرف مكة

ص: ١٥٧

الجنود. ووصف هذا الجبل ينطبق على الجبل المعروف بجبل خليفه. وهو المقابل للمسجد الحرام من الجنوب على يمين الداخل في اجياد الكبير، فوقه قلعه بناها الشريف سرور أحد ولاة مكة في العهد العثماني. وهذا الجبل شق تحت نفق سنة ١٤٠٦ هـ يوصل بين سفلة مكة وحي جياذ الكبير.

الجِعْرَانَةُ:

بكسر أوله وسكون ثانيه وتخفيف الراء، كذا اتفق اللغويون على ضبطها.

وأهل مكة اليوم ينطقونها بضم الجيم.

قال أحدهم (١):

فيا ليت بالجِعْرَانَةُ، اليوم، دارها ودارى ما بين الشَّام فَكَبَّكَب

فكنتُ أراها في الملبين ساعةً ببطنِ منى ترمى جِيارِ المَحْصَبِ ويقصد الشاعر أن تكون داره شمال كَبْكَب، لأن الجِعْرَانَةُ هناك. ولعلصواب قوله: ما بين الشَّام فَكَبْكَب يكون (ما بين الستار وكَبْكَب)؛ ذلك أن جبل الستار يقع قرب الجِعْرَانَةُ من الجنوب، وهو الجبل الذي يشرف على علمى طريق نجد من الشمال، والذاهب من مكة إلى نخلة يجعل الستار على يساره عن قرب. والجِعْرَانَةُ اليوم: قرية صغيرة فيصدر وادى سرف، فيها مسجد يعتمر منه أهل مكة المكرمة، ولها مركز إمارة، وتربطها بمكة طريق معبده، وفيها زراعة قليلة. وكان النبي (صلى الله عليه و آله) اعتمر منها بعد غزوة الطائف، خرج منها ليلاً وعاد من ليلته.

ص: ١٥٨

جَمْع:

ضد التفرق.

قال ابن هرمه (١):

سلا القلب إلا من تذكّر ليله بجَمْع وأخرى أسعفت بالمحصّب  
ومجلس أبكارٍ كأنّ عيونها عيونُ ألمها أنضين قُدّام ربرب وقال آخر:

تَمَنّى أن يرى ليلي بجَمْع يسكن قلبه مما يعانى  
فلما أن رآها خولته بعداً فَتَّ فى عَضد الأمانى

إذا سمح الزمانُ بها وضنت علىّ فأىّ ذنبٍ للزمان وقال أبو طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله):

وليله جَمْعُ والمنازل من منى وهل فوقها من حرمةٍ ومنازلٍ؟

وجَمْعٌ إذا ما المقربات أجزنه سراعاً كما يخرجن من وقع وابل وجمع هي المزدلفة سميت لاجتماع الحجاج فيها عند الإفاضة من عرفه،  
وبها المشعر الحرام، ومن قال: هي قرح فقد وهم. يصلى الحاج بجمعصلاة المغرب والعشاء جمع تأخير، ثم يبيت بها- على أغلب  
المذاهب- فيصلى الصبح ويدفع إلى منى.

وكانت العرب لا تدفع إلا بمجيز يدفع بها من جمع. فكانت الإجازة لخزاعه، ثمصارت لعدوان، وكان من عدوان أبو سيارة أحد بنى  
سعد بن وابش بن زيد بن عدوان، فقال أحدهم (٢):

نحن دفعنا عن أبى سياره وعن مواليه بنى فزاره

حتى أجاز سالماً حماره مستقبل القبلة يدعو جاره وكان أبو سياره يدفع بالناس على أتان (٣).

١- ١ معجم البلدان جمع.

٢- ٢ شفاء الغرام، ٢: ٣٢.

٣- ٣ الأتان: انثى الحمار.

ص: ١٥٩

وفزاره من عطفان، ولا أدري كيف كانوا موالى لأبى سياره؟ ولم أر من علل ذلك.

وكان أبو سياره يتقدم الحجاج صباح جمع ركباً حماراً ويخطب قائلاً:

اللهم أصلح بين نساءنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال بين سمحائنا، أوفوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، وأقروا ضعيفكم. ثم يقول: أشرق  
ثبير كيما نغير.

وعلى كل فالناس - اليوم - لا تعرف جمعاً، إنما يعرفون المزدلفة، وهم يقولون (مزدلفة) و (مستلفة).

... يتبع

ص: ١٦٠

الهوامش:

**زمزم فى الشعر العربى ماءً زمزم لما شُربَ له**



ص: ١٤١

زمزم في الشعر العربي ماء زمزم لما شرب له  
يا زمزم الخير والروح الأمين أتى يشقها عند إسماعيل مرتضعا  
كأس من الحب أهدها الكريم إلى طفل الخليل فكان الرى والشبعا بزة السقام بها، بز الطعام بها رى الشراب بها في مائها اجتمعا  
أغنت أبا الذر عن رى لياليه وأسمنته بلا زاد فما جزعا  
وكم سقيم رأى في مائها فرجا لَمَا تناول من سلسالها جرجعا  
سور من الخلد أبقاه الكريم على مر الزمان لمن لبي ومن خشعا  
ضيافة منه للزاجين رحمته ولا يذاد الذي في برها طمعا  
كذلك يروى ابن عباس «لما شربت» فانهل بها ثم سل ما شئت مُقتنعا محى الدين عبد الحميد، عالج نفسك بماء زمزم: ١٥١

زمزم

ص: ١٦٢

زمزم

ورثنا المجد عن آبا ثنا فرقا بناصعدا  
 وأى مناقب الخير لم تشدد بنا عضدا!  
 ألم نسق الحجيج ونذ حر الدلالة الرفدا  
 ونلقى عند تصريف ال منايا سادة سددا  
 وزمزم من أرومتنا وبرغم أنف من حسدا  
 وخير الناس أولنا وخير الناس إن بعدا  
 فإن نهلك فلن نملك وهل من خالد خلدا  
 وأى الناس لم نملك ونمجده وإن مجدا مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس

\*\*\*

لقد فضل الرحمن آل محمد بعلم وكان الله بالناس أخيرا

سقامهم ليسقوا الحاج في الحج زمزما وخط لهم في جنة الخلد كوثر الفضل بن عبد الرحمن بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب

\*\*\*

ولنا حوضان لم يعطهما غيرنا الله ومجد قد تلد  
 حوضنا الكوثر حق المصطفى يرغم الله به أهل الحسد  
 ولنا زمزم حوض قد بدا حيث مبنى البيت فى خير بلد \*\*\* كما قال أيضاً:  
 حوض النبى وحوضنا من زمزم ظمى امرؤ يزوه حوضانا فإذا رأيت شربنا ومقامه من حوضنا فشربنا أروانا  
 متمكناً يقضى وينفذ أمره حتى يكون كأنه أسقانا الفضل بن العباس اللهبى

\*\*\*

زعم العلاء وغيره لم يزعم أن النبيذ مع النشيل محرم  
 كذبوا ورب منى لقد جاشت به حمر الحياض تحوز ذلك زمزم  
 هذا النبيذ بطن مكة سنة وإذا وردنا بطن حجر يحرم رجل من بنى حنيفه

\*\*\*

ويا واصفاً من ماء زمزم فضله نبي الهدى فى وصفه منك أوصفاً  
 شفاء لسقم، بل طعام لطاعم رويناه مرفوعاً لنا، ومعرفاً  
 وفى جندب لما استقى بك آية بتعكين بطن منه فى شدة العفا أبوذر الغفارى (جندب بن جنادة)

شوق ودعاء



ص: ١٦٤

شوق ودعاء

وزمزم مأوها عذب فرات تری فيها الشفاء وخیر طب

وكم نهلت على ظمأ قلوب وكم هنتت بها من دون ريب!

فهل لی رشفة منها قریباً أداوی مهجتي وأبل قلبي؟

فلا تحرم إلهی من تمنی ولا تمنع إلهی أیصب

إذا ما قلت: ذا ماء قراح یقول السائغون: بلی وربی

فحسبی جزعه أطفی أواری وأنتع غلتي، وأزیل کربی محی الدین عبد الحمید، عالج نفسک بماء زمزم: ١٦٨

**من أسماء زمزم عند الشعراء**

من أسماء زمزم عند الشعراء

لزمزم أسماء أت فهی برة وسیده بشری وعصمه فاعلم

ونافعه مضمونه عونهُ الوری ومزویه سُقیا وظئیه فافهم

وهمزة جبریل وهزمتة کذا مبارکه أيضاً شفاء لاسقم

ومؤنسة ميمونة حرمية وكافية شباعة بتكرّم

ومغذية عدت وصافية عدت وسالمة أيضاً طعام لأطعم

شراب لأبرار وعافية بدت وطاهر تکتّم فأعظم بززم وقال آخر:

لزمزم أسماء منها زمزم طعام طعم وشفا من یسقم

سُقیا نبی الله إسماعیلا مُزویة، هزمه جبرائیل

ص: ١٦٥

مُغْدِيَةٌ عَافِيَةٌ وَكَافِيَةٌ سَالِمَةٌ وَعَصْمَةٌ وَصَافِيَةٌ  
 وَبَرَّةٌ بَرَكَهٌ مَبَارَكَةٌ نَافِعَةٌ سُرٌّ يَغْشَى نَاسِكَهُ  
 مُؤَنَسَةٌ حِرْمِيَّةٌ مَيْمُونَةٌ وَظَبِيَّةٌ طَاهِرَةٌ مَضْنُونَةٌ  
 سَيِّدَةٌ وَعَوْنَةٌ قَدْ دُعِيَتْ شَبَاعَةُ الْعِيَالِ قَدَمًا سُمِّيَتْ مِنْ كِتَابِ فَضْلِ مَاءِ زَمْزَمٍ: سَائِدٌ بَكَدَاشٍ.

\*\*\*

زمزم خارج بأمر الله أغاثه لابن خليل الله  
 وأمه هاجر حين سكننا بمكة وبعده زال العنا  
 والابن هذا هو إسماعيل ذاك النبي الصادق النبيل  
 ابن خليل الله إبراهيم عليهما الصلاة والتسليم  
 وكان إسماعيل وهو يرضع عند خروج الماء وهو ينيح  
 قد وصلت حالته من الضرر من عطش في منتهى من الخطر  
 خافت عليه أمه الموت ولا أنيس ولا وحش لديهم لا ولا  
 قامت لتسعى سعيها في الوادي فرما يغيثها منادي  
 إذ سمعت صوتاً كصوت شخص فهولت تسعى أشد الحرص  
 فرأت الماء يفور جارياً صارت تحوطه ليبقى باقيا  
 أخرجته جبريل رفقا بهما صلى عليه ربنا وسلمنا  
 في ذلك العهد من الزمان بأمر رب الملك الديان  
 فشربت هاجر بعد أن سقت وليدها فرويا وفرحت  
 أغاثها رب العباد المنعم وصانها من الردى المحتم بنذا أتى الحديث في الصحيح فلا تمل عن قولنا الصحيح التاريخ القويم لمكة:  
 الكردي

زمزم

ص: ١٦٦

زمزم

هل ترى الشمس تحجّ الأربعا وضياها موشكاً أن يخشعا  
هاهنا واد نداء أدمع ما تراه العين حتى تدمعا  
فاخشعي يا روح في أرجائه والشمى البيت وحيى الأربعا  
أربعا لم تلف إلا حرّة هاهنا المجد الذى لن يركعا  
هاهنا فاضت ينابيع السنا وحبا التاريخ والدنيا معا  
طوّفى يا روح فى الوادى فكم من نبى قام فيه وسعى  
طهّر الله روايه العلى بسلام دائم لن يفزعا  
وأقام العزّ فى ساحاته وبنى البيت العتيق الأرفعا  
لا تقلصحراء فيها جفوة فطرة الله هنا ما أروعا  
إنها مدرسة المجد التى نظم الله بناها ورعى  
ومع الجذب فقدصارت بما قدمت للناس سهلاً ممرعا  
إنما الجذب عليها قبة ومجن رد عنها المطمعا  
قد حماها الروم والفرس فلم يجد الزيف إليها مهيعا  
حسبها والله أن أهدت لنا أحمدَ النور وكانت مرتعا  
من لدن آدم كانت مرتعا للهدى بأوى إليها طيعا  
يا نداء الله فى أرجائها يا أذان النور فيها مبدعا  
يا خليل الله هذى ساحة كتب الله لها أن ترفعا  
فامض يا جبريل واحفر زمزما وازو إسماعيل حتى يشبعا  
واسق أجيالاً عطاشاً بعده من حجيج البيت كأساً منزعا

ص: ١٦٧

إن يكن ماءً ففيه نفحة كم أثارت شوقهم والأدمعا  
يا ضيوفَ الله ثبوا ربكم قد دعاكم فأجيبوا إذ دعا  
يا ضيوفَ الله هذى مكة فادخلوها سجداً أو ركعا  
واحملوا البرَّ إلى أكنافها كتب الله هنا أن يجمعا  
وانثروا الدمعصلاة وانهلوا قرءة العين هنا أن تدمعا  
واسمعوا كلَّ ملبِّ جاءها نشوة الروح هنا أن تسمعا  
واطلبوا العودة في الحجر فكم تشتهى النفس هنا أن ترجعا  
يا ضيوفَ الله هذا بيته ويمين الله في الأرض معا محمد بدر الدين

\*\*\*

**تحقيق حول شعب أبي طالب**

ص: ١٦٨

تحقيق حول شعب أبي طالب

على قاضى عسكر

على قاضى عسكر

فى بدايه شارع الحجون شـعـبٌ، يُسـمـى فى الجاهليـة وبعد الإسلام بـ «شعب أبى دُبُّ»، ويسميه أهل مكـة اليوم بـ «مقبرـة المعلاة»، أو «جنـة المعلاة» (١) ومعروف بين الإيرانيين بـ «مقبرـة أبى طالب». وكان أهل الجاهليـة وفيصدر الإسلام يـدفنـون موتاهم فى شعب أبى دب (٢) من الحجون إلى شعب الصفى، صفى السباب، وفى الشعب اللاصق بثنية المدنيين الذى هو مقبرـة أهل مكـة اليوم (٣). ويسمى هذا الشعب أيضاً بـ «شعب العفاريت»، ويعرف اليوم بشعبـة الجن. وهو يتصل بالحجون الجاهلى (٤)، وهذا مكان يقصده الكثير من حجاج بيت الله

١-١ فقه العبادات الحج: ٢٠٥.

٢-٢ أبو دب كنية رجل من بنى سؤاءة بن عامر، سكنه فسمى به، أخبار مكـة للأزرقى ٢: ٢١٠- معجم معالم الحجاز: ٥٦.

٣-٣ أخبار مكـة للأزرقى ٢: ٢٠٩.

٤-٤ المصدر نفسه ٢: ٢٧٢ فى هامشه.



ص: ١٦٩

الحرام في كل عام بعد اتمام العمرة أو الحج لزيارة المدفونين فيه، منهم خديجة بنت خويلد زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله أم المؤمنين، وأبو طالب عم رسول الله صلى الله عليه وآله و....

يسمى بعض الناس هذا الشعب باسم «شعب أبي طالب»، ويريدون بذلك المكان الذي حوَّصر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأبو طالب ومن كان معهم، لمدة ثلاث سنوات من قبل المشركين، وهي تسمية غير صحيحة من الوجهة التاريخية؛ لأنَّ شعب أبي طالب مكان آخر بقرب المسجد الحرام.

نورد فيما يلي الأدلة الواضحة، والقطع على هذا الادعاء:

الشعب في اللغة:

قال الجوهري (م ٣٩٣ هـ) في الصحاح:

و «الشعب» بالكسر، الطريق في الجبل والجمع «الشعاب» (١).

قال ابن منظور (م ٧١١ هـ) في لسان العرب:

والشَّعْبُ: ما انفَرَجَ بينَ جَبَلَيْنِ. والشَّعْبُ: مسيل الماء في بطنٍ من الأرض (٢).

وقال فخر الدين الطريحي (م ١٠٨٥) في مجمع البحرين:

... «الشَّعْبُ» بالكسر، هو الطريق في الجبل، والجمع «شعاب» ككتاب (٣).

مكان شعب أبي طالب:

تقع مدينة مكة في أرض جبلية وبين شعاب كثيرة؛ ولهذا فهي في موقع منيع من مخاطر السيول، وتبدو كأنها تحتضن الدور التي فيها، بما يشبه الحصن الطبيعي، وقد كانت موطناً لسكنى مختلف القبائل.

وفي جوار المسجد الحرام ثلاثة شعاب متقاربة وهي:

١-١ الصحاح ١: ١٥٦.

٢-٢ لسان العرب ٧: ١٢٦.

٣-٣ مجمع البحرين ٣: ٥١٣.

ص: ١٧٠

١- شعب أبي طالب.

٢- شعب بني هاشم.

٣- شعب بني عامر.

وكان أجداد النبي صلى الله عليه وآله وقومه قد سكنوا في هذه الشعاب الثلاثة.

(موضع هذه الشعاب الثلاثة موضح في الخارطة بشكل دقيق)

ص: ١٧١

قال الطريحي بعد تعريفه لمعنى الشعب:

وشعبُ أبي طالب بمكة، مكان مولد النبي صلى الله عليه وآله وشعب أبي دُبٍّ أيضاً بمكة وأنت خارج إلى منى (١).

وجاء في معجم البلدان في ذيل كلمة «شعب أبي يوسف»:

وهو الشعب الذي أوى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله، وبنو هاشم لما تحالفت قريش على بني هاشم وكتبوا الصحيفة، وكان لعبد المطلب فقسمه بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي صلى الله عليه وآله أخذ حظَّ أبيه، وهو كان منزل بني هاشم ومساكنهم، فقال أبو طالب:

جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا وَتَيْمًا وَمَخْزُومًا عَقُوقًا وَمَأْتِمًا

بتفريقهم من بعد وُدِّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتِنَا كَيْمَا يَنَالُوا المَحَارِمَا

كذبتهم وبيت الله نُبزى محمداً ولَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشَّعْبِ قَائِمًا (٢) وقال العلامة المجلسي قدس سره:

والشعب بالكسر: ما انفرج بين جبلين، وشعب أبي طالب معروف بمكة، وهو الموضع الذي كان فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأبو طالب، وسائر بني هاشم عند إخراج قريش إياهم من بينهم. وكتب الكتاب بينهم في مهاجرتهم ومعاندتهم.

ثم يقول في ذيل كلمة الكليني رحمه الله: «في دار محمد بن يوسف»: المشهور في السير: أن هذه الدار كانت للنبي صلى الله عليه وآله بالميراث، ووهبها عقيل بن أبي طالب، ثم باعها أولادُ عقيل بعد أبيهم محمد بن يوسف أخا الحجاج فاشتهرت بدار محمد بن يوسف، فأدخلها محمد في قصره الذي يسمونه بالبيضاء، ثم بعد انقضاء دولة بني أمية حجت خيزران أم الهادي والرَّشيد من خلفاء بني العباس فأفرزها عن القصر وجعلها مسجداً. - والقصوى مؤنث أقصى أى الأبعد- والمكان بهذا الوصف موجود الآن يزوره الناس (٣).

١-١ مجمع البحرين ٢: ٥١٣.

٢-٢ معجم البلدان ٣: ٣٩٣.

٣-٣ مرآة العقول ٥: ١٧٣ و ١٧٤.

ص: ١٧٢

الدار التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وآله:

معرفة الموضع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله والديار التي كان يسكنها بنو هاشم في مكة؛ يساعدنا على أن نعرف شعب أبي طالب.

قال الأزرقى:

مولد النبي صلى الله عليه وآله أى البيت الذى ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله وهو فى دار محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف، كان عقيل بن أبى طالب أخذه حين هاجر النبي صلى الله عليه وآله وفيه وفى غيره يقول رسول الله صلى الله عليه وآله عام حجة الوداع حين قيل له: أين نزل يا رسول الله؟ وهل ترك لنا عقيل من ظل؟ فلم يزل بيده وببىده ولده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف، فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء، وتعرف اليوم بابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت فى الدار حتى حجت الخيزران أم الخلفيتين موسى وهارون فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار وأشرعته فى الزقاق الذى فى أصل تلك الدار يقال له: زقاق المولد (١)، وهذا الشعب يُعرف اليوم بشعب بنى هاشم وشعب على، ويتصل بالسوق المسمى بسوق الليل (٢).

وذكر الفاكهى (م ٢٧٢، ٢٧٩ هـ. ق):

ودار ابن يوسف لأبى طالب، والحق الذى يليه بعض دار ابن يوسف من مولد النبي صلى الله عليه وآله وهو الشعب الذى حاصرت فيه قريش بنى هاشم، ورسول الله معهم فى الشعب (٣).

ثم أشار محقق هذا الكتاب فى هامشه بأن هذا الشعب يعرف اليوم بـ «شعب على» (٤).

ثم قال الفاكهى بشأن دار أبى يوسف ما يلى:

وقال بعض الناس: إن دار ابن يوسف كانت لعبد المطلب، فأمر الحجاج

١- ١ أخبار مكة للأزرقى ٢: ١٩٨.

٢- ٢ المصدر نفسه، فى هامشه.

٣- ٣ أخبار مكة للفاكهى ٣: ٢٦٤.

٤- ٤ المصدر نفسه.

ص: ١٧٣

أخاه محمد بن يوسف فاشتراها بمائة درهم، فدفعتها الحجاج إليه، وأمر أخاه محمداً أن يبيها، فبناها وكلاء محمد، فقال الناس: الدار لمحمد بن يوسف، فلما ولي الوليد بن عبد الملك (١) استعمل خالد بن يوسف بن محمد بن يوسف على مكة، فادعى أنها لأبيه، فخاصمه الحجاج بن عبد الملك بن الحجاج بن يوسف، فنظروا في الدواوين فوجدوا النفقة والتمن من الحجاج، وكان الحجاج قد جعل الدار الخارجة وفقاً على ولد الحكم بن أبي عقيل، والوسيطي على ولد محمد بن يوسف، والداخله على ولد الحجاج. وذكر بعض أهل مكة أن محمد بن يوسف كان أودع عطاء بن أبي رباح المال الذي بناها به ثلاثين ألف دينار، فلما أراد وكلاؤه قبضها، دعا الناس ليشهدوا على قبضها منه، فقال سفيان بن عيينة: قال عمرو بن دينار: فكنت فيمن دعى ليشهد، فكانت رؤيتها أحب الي من درهمين.

ثمصارت هذه الدار بعد ذلك لولد عبد الملك بنصالح. ثمصارت اليوم لأبي سهل محمد بن أحمد بن سهل.

الشاعر يذكر دار ابن يوسف هذه:

وموعدها دار ابن يوسف غدوة كذا الخوخة القصى المغلق بابها ويقال: ان النبي صلى الله عليه وآله وهب حقه من هذه الدار، والشعب لعقيل بن أبي طالب، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله سخيًا خليماً سمحاً كريماً (٢).

وقال الفاكهي في موضع آخر:

وفي دار ابن يوسف بئر جاهلية، حفرها عقيل بن أبي طالب فلم تزل هذه الدار حتى باعها ولده من محمد بن يوسف، وفي هذه الدار (٣) البيت الذي ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اتخذ مصلىً يصلى فيه، والذي يليه حق العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه حتى دار خالصة مولاة الخيزران، ثم حق المقوم بن عبد المطلب، وهي دار طلوب مولاة زبيدة، ثم حق أبي لهب بن عبد المطلب وهي دار أبي يزيد

١- ١ كذا في الأصل وهو غريب، لأن الوليد بن عبد الملك توفي سنة ٩٦ والحجاج توفي سنة ٩٥. وقد استعمل الوليد خلال حكمه

رجلين على مكة، أولهما خالد القسري، والثاني عمر بن عبد العزيز، ولم يستعمل على مكة سواهما. انظر شفاء الغرام ٢: ١٧٢.

٢- ٢ أخبار مكة للفاكهي ٣: ٢٦٦.

٣- ٣ وكان الدار تقع على يسار الداخل إلى شعب على، وبها مكتبة مكة المكرمة التابعة لوزارة الحج والأوقاف.

ص: ١٧٤

اللهي، وفيها كان يسكن الفضل بن العباس (١).

قال الكليني البغدادي (م ٣٢٩ هـ) قدس سره في ذكر مولد النبي صلى الله عليه وآله:

ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمره الوسطى (٢) وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب، وولده في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف (٣) في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً، يصلّي الناس فيه (٤).

وذكر أيضاً في مكان آخر من أنه: وماتت خديجة عليها السلام حين خرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الشعب.

وجاء في اتحاف الوري بأخبار أم القرى:

وكان الحمل برسول الله صلى الله عليه وآله في شعب أبي طالب في ليلة الجمعة من شهر رجب، وقيل في أيام التشريق (٥).

وذكر السيد الأمين في أعيان الشيعة:

ولد صلى الله عليه وآله بمكة يوم الجمعة أو يوم الاثنين ... وكانت ولادته في الدار المعروفة بدار ابن يوسف، وهو محمد بن يوسف أخو الحجاج، وكان صلى الله عليه وآله وهبها لعقيل بن أبي طالب، فلما توفي عقيل باعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فلما بنى داره المعروفة بدار ابن يوسف أدخل ذلك البيت في الدار، ثم أخذته الخيزران أم الرشيد فأخرجته وجعلته مسجداً يصلّي فيه وهو معروف إلى الآن، يزار ويصلّي فيه ويتبرك به. ولما أخذ الوهابيون مكة في عصرنا هذا هدموه، ومنعوا من زيارته على عادتهم في المنع من التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، وجعلوه مربطاً للدواب (٦).

١-١ المصدر نفسه: ٢٦٩.

٢-٢ أى في بيت كان قريباً منها وكان البيت لعبد الله أو موضع نزوله، إذ كانت لأهل مكة في منى منازل وبيوت ينزلونها في الموسم، ويحتمل أن يكون المراد بالمنزل الخيمة المضروبة له هناك - مرآة العقول ٥: ١٧٣.

٣-٣ كان محمد بن يوسف والياً على اليمن ومعروفاً بعدائه لآل علي عليه السلام توفي في اليمن في سنة مائة للهجرة أو قبلها بقليل - الوافي بالوفيات ٥: ٢٤٢.

٤-٤ الكافي ١: ٤٣٩.

٥-٥ إتحاف الوري بأخبار أم القرى ١: ١٥.

٦-٦ أعيان الشيعة ١: ٢١٩.

ص: ١٧٥

وقال تقي الدين الفاسي المكي (م ٨٣٢هـ):

ولده صلى الله عليه وآله بمكة في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف. ويقال: بالشعب. ويقال بالرذم (١).  
ويقال: بعسفان، قلت: قال السهيلي:

ولد بالشعب. وقيل: بالدار التي عند الصفا. وكانت بعد: لمحمد بن يوسف أخى الحجاج. ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت. انتهى.  
والدار التي عند الصفا: هي دار الخيزران، ودار ابن يوسف بسوق الليل، وهي الموضع المعروف بمولده عليه الصلوة والسلام. وهذا  
الذي قاله السهيلي في ولادته بالدار التي عند باب الصفا غريب والله أعلم. انتهى (٢).  
وجاء في السيرة الحلبية ما يلي:

وكان مولده صلى الله عليه وآله بمكة في الدار التي تصارت تدعى لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ... وكانت قبل ذلك لعقيل بن أبي طالب، ولم تنزل بيد أولاده بعد وفاته، إلى أن باعها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار، قاله الفاكهي ...  
فأدخلها في داره وسماها البيضاء أي لأنها بنيت بالجص، ثم طليت به فكانت كلها بيضاء، وصارت تعرف بدار ابن يوسف. لكن سيأتي في فتح مكة أنه قيل له صلى الله عليه وآله:

يا رسول الله تنزل في الدور؟ قال: هل ترك لنا عقيل من رباح أو دور؟ فان هذا السياق يدل على أن عقيلاً باع تلك الدار فلم يبق بيده ولا بيد أولاده بعده، إلا أن يقال المراد باع ما عدا هذه الدار التي هي مولده صلى الله عليه وآله ... وأن عقيلاً باع دار رسول الله صلى الله عليه وآله في دار خديجة أي التي يقال لها مولد فاطمة، وهي الآن مسجد يصلى فيه بناه معاوية أيام خلافته، قيل وهو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام أي واشتهر بمولد فاطمة، لشرفها وآلها فهو مولد بقبه اخواتها من خديجة ولعل معاوية اشترى تلك الدار ممن اشترها من عقيل، ويدل لما قلناه قول بعضهم لم يتعرض صلى الله عليه وآله عند فتح مكة لتلك الدار، التي أبقاها في يد عقيل أي التي

١-١ قال البكري: ردم بنى جُمَاح بمكة، كانت فيه حرب بينهم وبين بنى محارب بن فهر، فقتلت بنو محارب من بنى جُمَاح أشد القتل.

فسمى ذلك الموضع بما رُدِم عليه من القتلى - شفاء الغرام ١: ٤٣٢.

٢-٢ العقد الثمين ١٨: ٢١٩ و ٢٢٠.

ص: ١٧٦

هي دار خديجة، فإنه لم يزل بهاصلى الله عليه وآله حتى هاجر فأخذها عقيل. وفي كلام بعضهم لما فتح النبي صلى الله عليه وآله مكة ضرب مخيمه بالحجون فقيل له: ألا- تنزل منزلك من الشعب؟ فقال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً... وهي أى تلك الدار التى ولد بهاصلى الله عليه وآله عند الصفا قد بنتها زبيدة زوجة الرشيد أم الأمين مسجداً لما حجت. وفي كلام ابن دحية أن الخيزران أم هارون الرشيد لما حجت أخرجت تلك الدار من دار ابن يوسف وجعلتها مسجداً. ويجوز أن تكون زبيدة جدت ذلك المسجد، الذى بنته الخيزران فنسب لكل منهما. وأن الخيزران بنت دار الأرقم مسجداً وهي عند الصفا أيضاً. ولعل الأمر التبس على بعض الرواة؛ لأن كلا منهما عند الصفا.

وقيل ولدصلى الله عليه وآله فى شعب بنى هاشم.

ثم الحلبي يقول: قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بنى هاشم، ثم رأيت التصريح بذلك، ولا ينافيه ما تقدم فى الكلام على الحمل من أن شعب أبى طالب، وهو من جملة بنى هاشم كان عند الحجون لانه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب والله أعلم (١) انتهى.

يتضح من هذه الرواية التاريخية أن «شعب أبى طالب» لم يكن فى منطقة الحجون، بل قرب المسجد الحرام وإلى جانب جبل الصفا وفى مكان فيه دار محمد بن يوسف... ولا- يوجد هنالك دليل يثبت هذا الاحتمال بأن شعب أبى طالب كان فى منطقة الحجون، وربما يفهم من كلمة «والله أعلم» التى أوردها الحلبي أنه لم يكن متأكداً منصحاً ما نقله.

وذكر المسعودى (م ٣٤٥ هـ):

وكان مولده عليه الصلوة والسلام لثمان خلون من ربيع الأول من هذه السنة بمكة، فى دار ابن يوسف، ثم بعد ذلك بنتها الخيزران أم الهادى والرشيد مسجداً (٢).

١-١ السيرة الحلبية ١: ٦٢ و ٦٣.

٢-٢ مروج الذهب ٢: ٢٧٤.



ص: ١٧٧

وذكر في موضع آخر:

وفي سنة ست وأربعين كان حصار قريش للنبي صلى الله عليه وآله وبنى هاشم وبنى عبد المطلب في الشعب (١). ونقل ابن الأثير (م ٦٣٠هـ) عن ابن إسحاق بأن رسول الله صلى الله عليه وآله وُلد يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول، وكان مولده بالدار التي تُعرف بدار ابن يوسف، قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وهبها عقيل بن أبي طالب، فلم تزل في يده حتى توفي، فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فبنى داره التي يقال لها: دار ابن يوسف وأدخل ذلك البيت في الدار حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلّى فيه (٢).

وذكر الطبري (م ٣١٠هـ) في تاريخه نحوه (٣).

وقال الفاسي المكي في ذكر المواضع المباركة بمكة المشرفة المعروفة بالمواليد:

فمنها المولد الذي يقال له، مولد النبي صلى الله عليه وآله بالموضع الذي يقال له سوق الليل، وهو مشهور عند أهل مكة. وذكر الأزرقى أن عقيل بن أبي طالب أخذها لما هاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة، ولم يزل بيده ويد أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف أخى الحجاج بن يوسف الثقفي، فأدخله في داره التي يقال لها دار البيضاء، ولم يزل هذا البيت في هذه الدار حتى حجّت الخيزران أم الخلفيتين موسى وهارون، فجعلته مسجداً يصلّى فيه، وأخرجته من الدار وشرعته إلى الزقاق الذي في أصل تلك الدار، انتهى (٤).

وجاء في كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم:

كانت ولادة النبي صلى الله عليه وآله لمكة في دار أبي طالب، بشعب بنى هاشم بقرب المسجد الحرام، ويسمى الآن بشعب على أي على بن أبي طالب ولا زال محل

١-١ المصدر نفسه: ٢٨٧.

٢-٢ الكامل في التاريخ ١: ٢٩٤.

٣-٣ تاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٤.

٤-٤ شفاء الغرام ١: ٤٣١.

ص: ١٧٨

ولادته صلى الله عليه وآله معروفاً إلى اليوم (١).

وقد ذكر أكثر المؤرخين أن ولادة النبي صلى الله عليه وآله كانت في شعب أبى طالب، أو في دار قرب الصفا، أو في الدار المعروفة بدار ابن يوسف وهي ثلاثة أسماء لمكان واحد (٢).

وورد في كتاب سيرة ساكن الحجاز:

وكان مولده صلى الله عليه وآله بالشعب وهو شعب بنى هاشم (مكان معروف عند أهل مكة، يخرجون إليه في كل عام يحتفلون بذلك أكثر من احتفالهم يوم العيد إلى يومنا هذا، في الدار التي كانت لمحمد بن يوسف أخى الحجاج) (٣).

وذكر محب الدين الطبرى المكي في كتابه «القرى لقاصد أم القرى»:

كان عقيل بن أبى طالب قد استولى عليه (بيت النبي صلى الله عليه وآله) زمن الهجرة، فلم يزل بيده ويد ولده حتى باعوه لمحمد بن يوسف (أخى الحجاج) فأدخله في داره التي يقال لها البيضاء، ثم عرفت بدار ابن يوسف، ولم يزل ذلك، كذلك حتى حجت الخيزران (جارية المهدي) فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذى يقال له «زقاق المولد» ... وهو الآن مكتبة عامة (٤).

وقال صلاح الدين الصفدى بعد بحث موشع حول مكان ولادة النبي صلى الله عليه وآله:

القول الأرجح هو أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد وُلد في عام الفيل في دار تقع في الزقاق المعروف بزقاق المولد الذى كان بيد عقيل بن أبى طالب (٥).

وذكر عاتق بن غيث البلادى:

مولد رسول الله صلى الله عليه وآله من الناحية التاريخية ثابت أنه ولد عام الفيل ٥٣ ق. ه تقريباً، في شعب أبى طالب المعروف اليوم بشعب على وقد حول إلى مكتبة مكة، إبعاداً له عن زحام الناس وولعهم بالتبرك به (٦).

وقد كان موضع ولادة رسول الله، قبل تسلط الوهابيين على الحرمين

١- ١ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١: ٦٧.

٢- ٢ السيرة النبوية لابن هشام ١: ١٦٧.

٣- ٣ نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز ١: ٦.

٤- ٤ القرى لقاصد أم القرى: ٦٦٤.

٥- ٥ الوافى بالوفيات ٥: ٢٤٢.

٦- ٦ فضائل مكة: ٢٣٢.

ص: ١٧٩

الشريفيين موضعاً يزوره المؤمنون والمسلمون الذين يفدون إلى مكة من كل أرجاء العالم (١).

قال محمد بن علوي المالكي في كتابه باسم «في رحاب البيت الحرام»:

مولد النبي صلى الله عليه وآله وهو مكان معروف إلى الآن بمكة في سوق الليل ... ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة استولى على هذا البيت عقيل بن أبي طالب ولم يزل بيده ويده أولاده حتى باعه بعضهم من محمد بن يوسف الثقفي، ثم لما حجّت الخيزران أم الخليفين أخرجه وجعلته مسجداً يصلّى فيه، قال ابن ظهيرة ما معناه: وجرت العادة بمكة في ليلة مولد الرسول أن يتهيأ الكبار والعلماء وأعيان البلاد بالفوانس والشموع فيخرجون إلى بيت مولد الرسول لزيارته وإحياء ذكر مولده ... قال: والمعروف المشهور في مولده - عليه الصلاة والسلام - هو الذي بسوق الليل ولا اختلاف فيه عند أهل مكة ثم قال: وكون هذا مولد الرسول صلى الله عليه وآله مشهور متوارث يأثر الخلف عن السلف (٢).

قال الفاسي المكي فيصفه مولد النبي صلى الله عليه وآله:

أما الصفة التي أدركناه عليها، فإنه بيت مربع وفيه اسطوانة عليها عقدان، وفي ركنه الغربي مما يلي الجنوب زاوية كبيرة قبالة بابه الذي يلي الجبل، وله باب آخر في جانبه الشرقي أيضاً، وفيه عشرة شبايك، أربعة في حائطه الشرقي، وهو الذي فيه باباه المتقدم ذكرهما، وفي حائطه الشمالي ثلاثة، وفي الغربي واحد، وفي الزاوية اثنان، واحد في جانبها الشمالي وواحد في جانبها اليماني، وفي محراب، وبقرب المحراب حفرة عليها درابزين من خشب، وذرع تريبع الحفرة من كل ناحية ذراع وسدس، الجميع بذراع الحديد، وفي وسط الحفرة رخامة خضراء، وكانت هذه الرخامة مطوّقة بالفضة على ما ذكره ابن جبير، وذكر أن سعتها مع الفضة ثلاثا شبر (٣). وهذا الموضع جعل علامة للموضع الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وآله

١-١ السيرة الحلبية ١: ٥٧.

٢-٢ في رحاب البيت الحرام: ٢٦٢.

٣-٣ كذا في الأصل، ولكن الذي عند ابن جبير -ص ١٤١-: «تكون سعتها مع الفضة المتصلة بها شبراً».

ص: ١٨٠

من هذا المكان (١)، وذرع هذا المكان طولاً أربعة وعشرون ذراعاً وربع ذراع.

وذلك من الجدار الشمالي إلى الجدار المقابل له، وهو الجنوبي الذي يلي الجبل، وذرعه عرضاً أحد عشر ذراعاً وثمان ذراع. وذلك من الشرقي الذي فيه بابه إلى جداره الغربي المقابل له، وطولاً الزاوية المشار إليها ثلاثة عشر ذراعاً ونصف ذراع وعرضها ثمانية ونصف، الجميع بذرع الحديد. وكان تحزير ذلك بحضورى، ولم يذكر الأزرقيصفه هذا المكان ولا ذرعه، وقد خفى علينا كثيرٌ من خير عمارته. والذي علمته من ذلك أن الناصر العباسى عمّره فى سنة ستّ وسبعين وخمسمائة. ثم الملك المظفر صاحب اليمن فى سنة ستّ وستين وستمائه، ثم حفيده المجاهد فى سنة أربعين وسبعمائه، وفى سنة ثمانٍ وخمسين وسبعمائه من قبل الأمير شيخون أحد كبار الدولة بمصر (٢)، وفى دولة الملك الأشرف شعبانصاحب مصر بإشارة مدير دولته «يلبغا الخاصكى» (٣) سنة ستّ وستين وسبعمائه، وفى آخر سنة إحدى وثمانمائه، أو فى التى بعدها، من المال الذى أنفذه الملك الظاهر برقوقصاحب مصر لعمارة المسجد الحرام وغيره بمكة. وكانت عمارة هذا المولد بعد موته (٤).

هذا وقد وصفه ابن جبير فى رحلته بوصف غير هذا، مما يدلّ على أنه لم يدم عليصفه واحده بل كان يتغيرصفه وبناء بتغير الزمن. وأعاد بناء هذا البيت بعد أن تهدم وصار خراباً مهجوراً الشيخ عباس قطان أمين العاصمة، ووضعت فيه مكتبة عامة عظيمة فخمة، تسمى بمكتبة مكة المكرمة مفتوحة للمطالعة والمراجعة. وفى الأعوام الأخيرة هدم البنايات التى حول المكتبة لتوسيع أطراف المسجد الحرام، ويمكن ملاحظة الأبنية التى شيدت فى موضع ولادة النبي صلى الله عليه وآله من خلال التصاوير.

١-١ شفاء الغرام ١: ٤٣٣.

٢-٢ توفى سنة ٧٥٨ هـ. الدرر الكامنة ٢: ١٩٦ و ١٩٧، رقم ١٩٥٠.

٣-٣ هو يلبغا بن عبد الله الخاصكى الناصرى الأمير الكبير المشهور. قتل سنة ٧٦٨ هـ. قال ابن حجر: كانت ليلبغا صدقات كثيرة على طلبة العلم ومعروف كثير فى بلاد الحجاز. الدرر الكامنة ٤: ٤٣٨-٤٤٠، رقم ١٢١٨.

٤-٤ شفاء الغرام ١: ٤٣٢-٤٣٤.

ص: ١٨١

وجاء في بحار الأنوار:

... ولد النبي صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروى أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة، وحملت به أمه في أيام التشريق عند الجمره الوسطى وكانت في منزل عبد الله بن عبد المطلب، وولده في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلّي الناس فيه (١).

وروى الزهراء عن أبي عبد الله الطرابلسي، البيت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في دار محمد بن يوسف (٢).

وقال الكليني: [ولد] في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار (٣).

١- ١ بحار الأنوار ١٥: ٢٥١، رواية ٥ باب ٣.

٢- ٢ بحار الأنوار ١٥: ٢٧٦، رواية ٢٣.

٣- ٣ المصدر نفسه.

ص: ١٨٢

يظهر ممّا ذكرناه أولًا: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد وُلد في شعب أبي طالب. وثانيًا: أنّ شعب أبي طالب موضع في مكة، قرب المسجد الحرام، وبعيداً عن المكان الذي في الحجون الذي يعرفه بعضٌ باسم هذا الشعب.

مقاطعة النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه في شعب أبي طالب:

فلما رأت قريش أنّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قد نزلوا بلدًا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأنّ النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم، وأنّ عمر قد أسلم، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وجعل الإسلام يفشو في القبائل، اجتمعوا واتمروا [بينهم] أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بني هاشم، وبني المطلب، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم، ولا يبيعوهم شيئًا، ولا يبتاعوا منهم، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا وتوثقوا على ذلك، ثم علّقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم، وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ...

فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبة واجتمعوا إليه، وخرج من بني هاشم أبو لهب، عبد العزى بن عبد المطلب، إلى قريش فظاهرهم (١).

وقال السيد الأمين في أعيان الشيعة:

... وحصروهم في شعب أبي طالب أول المحرم سنة سبعة من البعثة فدخل بنو هاشم الشعب، مسلمهم وكافرهم عدا أبي لهب وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب لشدة عداوتهما للرسول صلى الله عليه وآله ... وانحاز إليهم بنو المطلب بن عبد مناف فكانوا أربعين رجلاً، وحصن أبو طالب الشعب وكان يحرسه ليلاً ونهاراً ... وسمع أصواتصبيانهم من وراء الشعب وذلك أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وآله

ص: ١٨٣

وأهل بيته بمكة، وكان هشام بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى يأتي بالبعير بعد البعير قد أوقره طعاماً أو تمرّاً إلى فَمّ الشَّعب فينزِع عنه خطامه ويضربه على جنبه فيدخل الشعب، فبقوا في الشعب سنتين أو ثلاث سنين ... وخرج بنو هاشم من حصار الشعب في السنة العاشرة أو التاسعة من النبوة إلى مساكنهم ... (١).

قال الكازروني في المنتقى وغيره:

... فعمد أبو طالب فأدخل الشعب ابن أخيه وبنى أبيه ومن اتبعهم، فدخلوا شعب أبي طالب وآذوا النبي والمؤمنين أذى شديداً، وضربوهم في كل طريق، وحصروهم في شعبهم، وقطعوا عنهم المارّة من الأسواق ونادى منادى الوليد بن المغيرة في قريش: أيما رجل منهم وجدتموه عند طعام يشتره فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد، حتّى سمعوا أصواتصبيانهم يتضاغون- أي يصيحون من الجوع من وراء الشعب- ...

ويصبح قريش وقد سمعوا أصواتصبيان بنى هاشم من الليل يتضاغون من الجوع ... (٢).

وجاء في إتحاف الوري باخبار أم القرى:

دعا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله على كاتب الصحيفة فشئت يده، ثم غدت قريش على مَنْ اسلِم فأوثقوهم وآذوهم، واشتد البلاء عليهم ... ولما فعلت قريش ذلك انحاز رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسائر بنى هاشم وبنى المُطَّلِب،- خلا أبا لهب- وبنى المطلب وولده في الشَّعب، وخرج اللعين أبو لهب وولده إلى قريش، فظاھرهم على بنى هاشم وبنى المُطَّلِب، وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا- يقدرّون على ذلك إلّا من الموسم إلى الموسم، ولا- يخرجون إلّا من موسم إلى موسم، حتى بلغ بهم الجهد، وسمع أصواتصبيانهم من وراء الشَّعب يتضاغون من الجوع. فمن قريش

١-١ أعيان الشيعة ١: ٣٣٥.

٢-٢ بحار الأنوار ١٩: ١٨ و ١٩.

ص: ١٨٤

من سِرَّهُ ذلك ومنهم من ساءه، ولم يكن يصل إليهم شيء إلا سِرّاً، حتّى إنّ الْمُطْعَمَ بنِ عَدِيّ أدخل عليهم في بعض الأيام ثلاثة أوقار من الطعام، وكان النبي صلى الله عليه وآله يشكر له ذلك، وكانت العير تأتي من الشام وعليها الحنطة إلى حكيم بن حزام بن خويلد فوجهها نحو الشعب، ثم يضرب أذارها فتدخل عليهم، فيأخذون ما عليها من الحنطة، وكان هشام بن عمرو بن ربيعة أوصل قريش لبني هاشم حين حُصروا في الشعب، أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعام، فعلمت بذلك قريش، فمشوا إليه فكلموه في ذلك فقال: إني غير عائد لشيء تحالفتم عليه. ثم عاد الثانية وأدخل حملاً أو حَمَلين، فغالطته قريش وهموا به، فقال أبو سفيان بن حرب: دَعُوهُ؛ رجلٌ وصلَ رحمه، أما إني أحلفُ بالله لو فعلنا مثل ما فعل كان أجمل (١).

وقال في موضع آخر: ... فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بني عبد المطلب وأمرهم أن يُدخلوا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وشعبهم، ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمعوا على ذلك مسلمهم وكافرهم ... (٢).

فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتدّ عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا طعاماً يقدّم مكة ولا يبعاً إلا بادروهم فاشتروه، يريدون بذلك أن يُدرّكوا سيفك دم رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله فاضطجع على فراشه، حتّى يرى ذلك من أراد مكرّاً به واغتياه، فاذا نَوَمَ الناس أمر واحداً من بني، أو اخوته، أو بني عمّه فاضطجع على فراش رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وأمر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه (٣).

وقال ابن كثير في السيرة النبوية:

... فلما رأى أبو طالب عملَ القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن

١- ١ إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى، الجزء الأول: ٢٨٣.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٢٨٤.

٣- ٣ إتحاف الوري بأخبار أمّ القرى، الجزء الأول: ٢٨٤- دلائل النبوة ٢: ٨١- ٢: ٤٣- ٤٤- شرح المواهب ١: ٢٧٨- ٢٧٩.



ص: ١٨٥

يُذخروا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله شِعْبَهُمْ وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله ... وحَصِيرَهُمْ إِيَّاهُمْ فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ مَدَّةً طَوِيلَةً (١).

وجاء في كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: فانحاز بنو هاشم بسبب ذلك في شعب أبي طالب، وهو المعروف اليوم «بشعب علي» ودخل معهم بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ما عدا أبي لهب فإنه كان مع قريش، فلما انفصلوا عن قريش بالشعب المذكور، جهد القوم جهداً عظيماً، وتعبوا تعباً شديداً حتى أكلوا أوراق الأشجار، لأن قريشاً شددوا الحصار عليهم، وكان ذلك في السنة السابعة من البعثة، ومكثوا على هذا الحال من الضيق والتعب الشديد ثلاث سنوات (٢). وقال أيضاً في موضع آخر:

قال هذه القصيدة أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وآله في الشعب وهو شِعْبُ أَبِي طَالِبٍ، الَّذِي آوَى إِلَيْهِ بَنُو الْمَطْلَبِ وَبَنُو هَاشِمٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ يَذُكُرُ مَا قَالَهُ فِي الشَّعْبِ:  
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل  
يلوذ به الهلاك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل  
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلاً غير آجل  
بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل  
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصي في الخطوب الأوائل (٣) وجاء في بحار الأنوار:

من معجزاته صلى الله عليه وآله أن قريشاً كلهم اجتمعوا وأخرجوا بنى هاشم إلى شعب أبي طالب، ومكثوا فيه ثلاث سنين إلّا شهراً، ثم أنفق أبو طالب وخديجة جميع مالهما، ولا يقدر على الطعام إلّا من موسم إلى موسم فلقوا من الجوع والعري ما الله أعلم به ... (٤).

١-١ السيرة النبوية لابن هشام ٢: ٤٣.

٢-٢ التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم ١: ٩٤-٩٥.

٣-٣ المصدر نفسه: ٩٦.

٤-٤ بحار الأنوار ١٩: ١٦.

ص: ١٨٦

وقال ابن سعد في «الطبقات الكبرى»:

... وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليله هلال المحرم سنه سبع من حين تتبى رسول الله صلى الله عليه وآله وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبى طالب فى شعبه مع بنى هاشم ... (١).

وجاء فى الكامل لابن الأثير:

فلما فعلت قريش ذلك انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبى طالب فدخلوا معه فى شعبه واجتمعوا ... وذكروا أن أبى جهل لقى حكيماً بن حزام بن حويلد ومعه قمح يريد به عمته خديجه، وهى عند رسول الله صلى الله عليه وآله فى الشعب متعلق به وقال: والله لا تبرح حتى أفضحك، فجاء أبو البخترى بن هشام فقال:

ما لك وله؟ عنده طعام لعمته أفتمنعه أن يحمله إليها؟ حلّ سيله، فأبى أبو جهل، فنال منه. فضربه أبو البخترى بلحى جمل فشجّه ووطأه وطأ شديداً، وحمزة ينظر إليهم، وهم يكرهون أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك فيشمت بهم هو والمسلمون. ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعو الناس سراً وجهراً، والوحي متتابع إليه، فبقوا كذلك ثلاث سنين (٢).

وفى السيرة للذهبي:

فلبث بنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين ... وقال محققه فى هامشه: قال الحافظ أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذرى عن المدائنى، عن أبى زيد الأنصارى، عن أبى عمرو بن العلاء عن مجاهد عن ابن عباس قال: حصرنا فى الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا الميرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فلا يتاع شيئاً، حتى مات ما قوم (٣).

وجاء فى الصحيح من سيرة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله:

ودخل بنو هاشم الشعب - شعب أبى طالب - ومعهم بنو المطلب بن عبد

١- ١ طبقات ابن سعد، ١: ٢٠٩.

٢- ٢ الكامل فى التاريخ ١: ٥٠٤.

٣- ٣ السيرة للذهبي: ٢٢١.

ص: ١٨٧

مناف، باستثناء أبي لهب- لعنه الله وأخزاه- واستمروا فيه إلى السنة العاشرة ...

ووضعت قريش عليهم الرقبا حتى لا يأتيهم أحد بالطعام. وكانوا ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب حتى نفدت، حتى لقد اضطروا إلى أن يقتاتوا بورق الشجر. وكانصبيتهم يتضاغون جوعاً، ويسمعهم المشركون من وراء الشعب، ويتذاكرون ذلك فيما بينهم ... ولم يكونوا يجسرون على الخروج من شعب أبي طالب إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكانوا يشترون حينئذٍ ويبيعون ضمن ظروف صعبة جداً ... وقد استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً ... وكان على أمير المؤمنين عليه السلام أثناءها يأتيهم بالطعام سراً من مكة، من حيث يمكن، ولو أنهم ظفروا به لم يبقوا عليه كما يقول الاسكافي وغيره (١).

وجاء في أعلام الوري:

... فلما بلغ ذلك أبا طالب جمع بني هاشم ودخل الشعب وكانوا أربعين رجلاً، فحلف لهم أبو طالب بالكعبة والحرم والركن والمقام لئن شاكت محمداً شوكة لأثبنَّ عليكم يا بني هاشم. وحصن الشعب وكان يحرسه بالليل والنهار ... وكانت خديجة لها مالٌ كثيرٌ فانفقته على رسول الله صلى الله عليه وآله في الشعب (٢).

وكتب اليعقوبي (م ٢٩٣ هـ) في هذا الصدد:

ثم حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب ابن عبد مناف في الشعب، الذي يقال له شعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه، فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله وأنفق أبو طالب ماله وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها، ثم نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن الله بعث الأرضة عليصيفة قريش فأكلت كل ما فيها من قطيعه وظلم إلا المواضع التي فيها ذكر الله (٣).

١-١ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢: ١٠٨- شرح النهج للمعتزلي ١٣: ٢٥٦.

٢-٢ أعلام الوري: ٥٩ و ٦٠.

٣-٣ تاريخ اليعقوبي ١: ٣٨٩.

ص: ١٨٨

إن الوضع المهلك الذي آل إليه النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه، حرّك نفراً من قريش لنقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بنى هاشم، فنهض هشام بن عمرو مع زهير بن أبي أمية، ومطعم بن عدي، وأبو البختري، وزمعة بن أسود بن المطلب، فاتعدوا له، حطّم الحجون التي بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها (١).

أقول: يقع شعب الحجون في الموضع نفسه الذي فيه الآن مقبرة أبي طالب، وكان قبل الإسلام مقبرة أيضاً، وبالنتيجة فلو كان الشعب هنا، وفيه تعرض النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه للمقاطعة، فلا معنى لأن يجعله الأشخاص المذكورون موضعاً خفياً لاجتماعهم وهو معرض للخطر الدائم في أيّة لحظة!! إن الاستفادة من هذا المكان كموضع خفي تدل على أن الحجون كان خارج مكة، أو إلى جوارها على الأقل، بل إن بعض الروايات تصرّح بأن الحجون كان خارج مكة فيصدر الإسلام، ولهذا لا يمكن القول بأن النبي صلى الله عليه وآله وأتباعه وقومه خرجوا كلّهم من مكة وأقاموا خارجها!!

وروى في أصول الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما توفى أبو طالب نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، أخرج من مكة، فليس لك فيها ناصرٌ. واثرت قريش بالنبي صلى الله عليه وآله فخرج هارباً حتى جاء إلى جبل بمكة يقال له الحجون فصار إليه (٢).

نقض الصحيفة:

بعد ثلاث سنين تقريباً، أخبر النبي صلى الله عليه وآله عمّه أبا طالب: بأن الأرضة قد أكلت كلّ ما فيصحيفتهم من ظلم وقطيعة رحم، ولم يبق فيها إلا ما كان اسماً لله، فخرج أبو طالب من شعبه ومعه بنو هاشم إلى قريش، فقال المشركون: الجوع

١-١ تاريخ الأمم والملوك ٢: ١٢٥.

٢-٢ أصول الكافي ١: ٤٤٩.

ص: ١٨٩

أخرجهم ... وقالوا له: يا أبا طالب، قد آن لك أن تصالح قومك. قال: قد جئكم بخير، إبعثوا ليصحفتكم، لعله أن يكون بيننا وبينكم صلح فيها. فبعثوا، فأتوا بها، فلما وضعت وعليها أختامهم. قال لهم أبو طالب: هل تنكرون منها شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن ابن أخي حدّثني، ولم يكذبني قط: أن الله قد بعث على هذه الصحيفة الأرضة، فأكلت كل قطعة وإثم، وتركت كل اسم هو لله، فإن كان صادقاً أفلعتكم عن ظلمنا، وإن يكن كاذباً ندفعه إليكم فقتلتموه. فصاح الناس:

أنصفتنا يا أبا طالب ... ففتحت، ثم أخرجت فإذا هي كما قال صلى الله عليه وآله فكبر المسلمون، وامتنعت وجوه المشركين ... فقال أبو طالب:

أتبين لكم: أينأ أولى بالسحر والكهانة؟ ...

فأسلم يومئذ عالم من الناس ... ولكن المشركين لم يقنعوا بذلك بل استمروا على العمل بمضمون الصحيفة، حتى قام جماعة منهم بالعمل على نقضها، وخرج الهاشميون حينئذ من شعب أبي طالب (١).

وقال ابن أبي الحديد: ... إنهم منعوا أيام الحصار في شعب بني هاشم من الماء العذب (٢).

أسماء بعض بني هاشم الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وآله في الشعب خلال مدة المقاطعة:

١- أبو طالب بن عبد المطلب.

٢- علي بن أبي طالب.

٣- حمزة بن عبد المطلب.

٤- عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف.

(ومع أن عبيدة لم يكن من بني هاشم، إلا أن اتحاد بني المطلب وبني هاشم، ومواقفهما المشتركة في الجاهلية والإسلام، يتيح لنا عدّه من بني هاشم).

١- ١ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ٢: ١٢٠ و ١٢١.

٢- ٢ البحار ٣٣: ١١٤ رواية ٤٠٨.

ص: ١٩٠

٥- العباس بن عبد المطلب.

٦- عقيل بن أبي طالب.

٧- طالب بن أبي طالب.

٨- نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

٩- ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

١٠- الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب.

وكان شديداً على رسول الله صلى الله عليه وآله ويغضه ويهجوهُ بالأشعار، إلّا أنه كان لا يرضى بقتله (١).

١١- خديجة بنت خويلد (٢).

قد ذكر المؤرخون وكتاب السيرة: أنّ الموضوع الذي حُصر فيه رسول الله وأصحابه على يد قريش، هو شعب أبي طالب، أشرنا إلى بعضهم ونشير إلى بعض آخر:

قال الطبرسي: فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب فدخلوا معه في شجبه، واجتمعوا إليه في شعبه ... (٣).

وقال الفاسي المكي (م ٨٣٢هـ):

فانحاز الهاشميون غير أبي لهب، والمطلبيون إلى أبي طالب، فدخلوا معه في شعبه، فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً (٤).  
وجاء في بحار الأنوار: وحاصروا بنو هاشم في الشعب، شعب عبد المطلب أربع سنين، فأصبح النبي صلى الله عليه وآله يوماً وقال لعنه أبي طالب: إنّ الصحيفة التي كتبتها قريش في قطيعتها قد بعث الله عليها دابةً فلحست كل ما فيها غير اسم الله (٥).  
وروى الواقدي:

دخل بنو هاشم في ليلة الأول من المحرم من السنة السابعة للبعث في شعب

١- ١ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٦٥.

٢- ٢ المصدر نفسه: ٥٩.

٣- ٣ تاريخ الأمم والملوك ٢: ٢٢٥.

٤- ٤ العقد الثمين ١: ٢٣٠.

٥- ٥ بحار الأنوار ١٨: ١٢٠ رواية ١٦.

ص: ١٩١

أبي طالب، واجتمع إليهم بنو المطلب في ذلك الشعب (١).

وقال محمد إبراهيم آتني رحمه الله:

ولما عزمت قريش على فعلها اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب وصاروا كلهم إلى الشعب، سوى أبي لهب

بن عبد المطلب الذي ناصر قريشاً (٢).

وقال رفاعه رافع الطهطاوى:

شعب أبي طالب هو الموضع الذي صارت فيه المقاطعة ثم يقول: فأنحاز الهاشميون إلى أبي طالب ... فدخلوا معه في شعبه، وخرج من

بنى هاشم أبو لهب ... وأقام بنو هاشم في الشعب ومعهم رسول الله صلى الله عليه وآله نحو ثلاث سنين، وكان بنو هاشم محصورين

في الشعب لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم ... وأخرجوا بنى هاشم وبنى المطلب من الشعب وذلك في السنة العاشرة من مبعثه

(٣).

وكتب إبراهيم رفعت باشا في مرآة الحرمين:

القشاشية، في شرق المسجد الحرام ويطل عليها جبل أبي قبيس، وفي الجهة الشرقية منها شعب على أو شعب بنى هاشم (٤).

وقال ياقوت الحموى:

شعب أبي يوسف، هو الشعب الذي أوى إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم لما تحالفت عليهم قريش، على بنى هاشم ...

وكان لعبد المطلب فقسمة بين بنيه حين ضعف بصره، وكان النبي صلى الله عليه وآله أخذ حظ أبيه وهو كان منزل بنى هاشم

ومساكنهم (٥). قال عاتق بن غيث البلادي بعد نقل هذا الموضوع في كتابه معجم معالم الحجاز:

ثم عرف هذا الشعب فيما بعد بشعب أبيصالب (٦)، ثم شعب بنى هاشم ويُعرف اليوم بشعب على، وهو الشعب الذي يسيل بطرف أبي

قُبَيْس من الشمال

١-١ الطبقات الكبرى ١: ٢٠٩.

٢-٢ تاريخ پیامبر اسلام تاريخ حياة نبي الإسلام: ١٥٤.

٣-٣ سيرة ساكن الحجاز، الجزء الاول: ١١٥.

٤-٤ مرآة الحرمين ١: ١٨٠.

٥-٥ معجم البلدان ٣: ٣٩٣.

٦-٦ كذا في المتن، ويمكن أن يكون المراد شعب أبي طالب.

ص: ١٩٢

بينه وبين الخدمه، فيه مولد رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله وهو اليوم مكتبة مكة أى المولد، يصب سيله على سوق الليل فوق المسجد الحرام بحوالى ثلاثمائة متر. كانت عند مصبّه بئر فهدمت سنه ١٣٩٩ هـ فى توسعه شارع الغزّه (١).

وجبل أبى قبيس، هو أحد أشهر جبال مكة، ومنه يبدأ شعب على أو شعب أبى طالب ويمتد إلى خدمه، وقد استودع فيه الحجر الأسود أيام الطوفان وموضعه فى شعب على، أى المكان الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه و آله وذكر عبد الملك بن هشام أنه سمى بأبى قبيس بن شامخ، وهو رجل من جزمهم، كان قد وشى بين عمرو بن مضاظ وبين ابنه عمه ميه، فنذرت أن لا تكلمه، وكان شديد الكلف بها فحلف لأقتلن أبى قبيس، فهرب منه فى الجبل المعروف به، وانقطع خبره، فإما مات وإما تردى منه، فسمى الجبل أبى قبيس لذلك، فى خبر طويل ذكره ابن هشام صاحب السيره فى غير كتاب السيره، وقال أبو المنذر هشام: أبو قبيس، الجبل الذى بمكة، كناه آدم عليه السلام بذلك حين اقتبس منه هذه النار التى بأيدى الناس إلى اليوم، من مَرَحَتَيْن نزلتا من السماء على أبى قبيس فاحتكتا، فأورتا ناراً، فاقتبس منها آدم، فلذلك المَرُخ إذا حُكَّ أحدُها بالآخر، خرجت منه النار (٢).

بعض شعاب مكة:

كما ذكرنا سابقاً، يوجد فى الشمال الشرقى للمسجد الحرام ثلاث شعاب، وهى:

١- شعب على أو شعب أبى طالب ويسمى اليوم بالقشاشيه (٣) أيضاً.

٢- شعب بنى هاشم ويسمى أيضاً ب «غزّه».

٣- شعب بنى عامر.

١-١ معجم معالم الحجاز ٥: ٥٦.

٢-٢ معجم البلدان ١: ١٠٣.

٣-٣ لعل القشاشيه منسوبه إلى الشيخ القشاشى، وقد كان يسكن مكة حوالى القرن الحادى عشر «انظر الجزء الثانى من كتاب تاريخ مكة للسباعى، حوادث الشريف أحمد بن عبد المطلب» من عهد الترك العثمانيين.



ص: ١٩٣

كان يسكن في هذه الأماكن الثلاثة، منذ العصر الجاهلي فما تلاه، أجداد النبي صلى الله عليه وآله وأبناء عبد المطلب وأبو طالب وبنى هاشم (١).

وكذلك بعض البيوت في شعب علي، وبعض دار ابن يوسف كانت لأبي طالب، وبعض دار ابن يوسف (مولد النبي صلى الله عليه وآله) وما حوله لأبي النبي صلى الله عليه وآله بن عبد الله بن عبد المطلب، وكذلك دار خالصة مولاة الخيزران، لعباس بن عبد المطلب ودار الطلوب مولاة زبيدة، حق المقوم بن عبد المطلب. وذكر غير واحد من المكيين أن الشعب الذي يقال له: شعب ابن يوسف - وهو شعب علي وبجانبه سوق الليل، كان لهاشم بن عبد مناف دون الناس. وكان عبد المطلب قد قسم حقه بين ولده ودفن إليهم ذلك في حياته فمن تمصّر للنبي صلى الله عليه وآله بن عبد الله بن عبد المطلب، وللعباس بن عبد المطلب أيضاً الدار التي بين الصفا والمروة التي بيد ولد موسى بن عيسى التي إلى جنب الدار التي بيد جعفر بن سليمان، ودار العباس هي الدار المنقوشة التي عندها العلم الذي يسعى منه من جاء من المروة إلى الصفا بأصلها، ويزعمون أنها كانت لهاشم بن عبد مناف، ولهم أيضاً دار أم هاني بنت أبي طالب - كان بجانب الباب المعروف باسمها - التي كانت عند الحنّاطين عند المنارة فدخلت في المسجد الحرام حين وسعه المهدي في الهدم الآخر سنة سبع وسبعين ومائة (٢).

وقال أحمد السباعي:

... عند سوق الليل تصافحنا الدار التي كانوا يسمونها دار مال الله، وكانوا ينفقون فيها على المرضى ويطعمونهم، وبالقرب من الدار يلتوى شعب ابن يوسف وهو ما نسميه شعب علي، وفيه دور عبد المطلب بن هاشم ودور أخرى لأبي طالب وأخرى للعباس بن عبد المطلب وإذا عدنا إلى استقامتنا في شارعنا العام يضافحنا دار العاص في فوهة شعب بني عامر، ثم يلتوى شعب بني عامر في

١-١ مرآة الحرمين ١: ١٨٠ و ١٨١.

٢-٢ أخبار مكة للزرقي ٢: ٢٣٣.

ص: ١٩٤

دروب متعددة تقوم عليها دور لبني بكر، وأخرى لبني عبد المطلب بن عبد مناف ... ونمضى قليلاً إلى المعلاة لنجد الجزارين عن يميننا في شعب أبي دب، ثم مكان المقابر وهي بعد حدود شعب عامر ... (١).

صفوة القول:

إضافةً إلى ما مرّ ذكره، فإن شعب على وشعب بني هاشم وشعب بني عامر، قرب المسجد الحرام محددةً بشكل دقيق على الخرائط الموجودة عن الحجاز- قديماً وحديثاً- ولم يطلق أحد اسم شعب أبي طالب على مقبرة أبي طالب الواقعة في شعب أبي دب، ولهذا فإن وجود الشعب في ذلك المكان مع كل هذه الأدلة والشواهد، يمكن تبريره بالنقاط التالية:

أولاً: أن المنطقة كانت موضع سكن تلك العائلة.

وثانياً: توفر امكانيه الحياة، والاستفادة من مخزون الطعام والاشياء الأخرى الموجودة في الدور، وألا كيف يمكن البقاء على قيد الحياة لمدة ثلاث سنوات، ومقاومة الظروف القاسية في تلك المنطقة القاحلة الخالية من أي ظل يظلمهم من الشمس المحرقة، أو يقيهم لهب الرضاء القاتلة؟!!

ثالثاً: أن المنطقة المسماة اليوم بمقبرة أبي طالب، كانت في العصر الجاهلي مقبرة أيضاً. وليس من المعقول لرسول الله صلى الله عليه و آله ان يترك جميع المناطق الموجودة في مكة ويلتجئ إلى مقبره هو وأبو طالب ومجموعة من النساء والأطفال!

رابعاً: أن الحجون- كما أوضحنا سابقاً- تقع خارج مكة، وهذا لا يتسق والروايات القائلة بأن بكاء الأطفال كان يُسمع من خارج الشعب.

خامساً: جاء في بعض النصوص التاريخية أن الأوضاع كانت على درجة شديدة من المساواة، اضطر معها المحاصرون إلى أكل أوراق الأشجار

ص: ١٩٥

والخَبْطُ (١) (٢) بينما لم تكن هناك أية أشجار أو نباتات في المقبرة آنذاك حتى يتناولها المحاصرون. سادساً: يتضح مما نقله الأزرقى أن الحجون لم يسكنها أحد حتى العام العاشر للهجرة، وظلت هذه المنطقة خارج مدينة مكة لعدة قرون.

سابعاً: لم تكن هذه المنطقة من مكة مسكونة أساساً، وما كان فيها زرع أو دور، حتى إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يضرب الخيام عند النزول فيها لعدة أيام. قال أبو الوليد:

إن النبي صلى الله عليه وآله بعدما سكن المدينة كان لا يدخل بيوت مكة، وكان إذا طاف بالبيت انطلق إلى أعلى مكة فاضطرب به الابنية، قال عطاء: في حجته فعل ذلك أيضاً، ونزل أعلى مكة قبل التعريف، وليلة النفر نزل أعلى الوادي (٣)، ثم يضيف الأزرقى: قيل للنبي صلى الله عليه وآله يوم الفتح: ألا تنزل منزلك بالشعب؟ قال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً؟ فقيل له صلى الله عليه وآله: فانزل في بعض بيوت مكة في غير منزلك، فأبى وقال: لا. أدخل البيوت، فلم يزل مضطرباً بالحجون لم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد من الحجون.

ونقل سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله مضطرباً بالحجون في الفتح يأتي لكلصلوة (٤).

يتضح مما سبق أن شعب أبي طالب كان في غير موضع مقبرة أبي طالب، ولا يعرف متى حصل هذا الخلط وما سببه!! والمؤرخ الوحيد الذي احتمل أن يكون موضع شعب أبي طالب في منطقة الحجون هو الحلبي الذي قال بعد بيانه لموضع ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله:

أقول: قد يقال لا مخالفة لأنه يجوز أن تكون تلك الدار من شعب بني هاشم، ثم رأيت التصريح بذلك، ولا ينافية ما تقدم في الكلام على الحمل من أن

١-١ الخَبْطُ: اسم الورق الساقط. لسان العرب ٤: ١٦.

٢-٢ الغدير ٧: ٣٦٣.

٣-٣ أخبار مكة للأزرقى ٢: ١٦١.

٤-٤ المصدر نفسه.

ص: ١٩٦

شعب أبي طالب وهو من جملة بني هاشم كان عند الحجون؛ لأنه يجوز أن يكون أبو طالب انفرد عنهم بذلك الشعب. والله أعلم (١). ولكن لا يوجد هنالك دليل يثبت صحة هذا النقل. وربما يفهم من كلمة «والله أعلم» التي أوردها الحلبي أنه لم يكن متأكداً من صحة ما نقله.

وعلى هذا فقد كان المسار الطبيعي للأحداث بالشكل التالي: أنه حينما تعرّض أبو طالب وبنو هاشم وبنو المطلب للخطر الداهم من العدو التقوا حول أبي طالب لكونه شخصية معروفة ومهاب الجانب، واجتمعوا في موضع يعرف بشعب أبي طالب، وتولوا حراسته دفاعاً عن أنفسهم وعن النبي صلى الله عليه وآله ولما انتهت المقاطعة، خرج بنو هاشم وبنو المطلب من الشعب، وعادوا إلى منازلهم، ولم يرجعوا إلى الشعب مرة أخرى، والنصوص التاريخية تثبت هذا المعنى، إلا أن البعض لم يلتفت إليها.

ص: ١٩٧

الهوامش:

**عبد الله بن مسعود ورحلة الإيمان المباركة**





ص: ٢٠٠

(٢) رجال من الحرمين الشريفين

عبد الله بن مسعود ورحله الإيمان المباركة

محمد سليمان

أُعرف ب (ابن مسعود)، اسمى عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، كنيته أبو عبد الرحمن، وقد اختارها لى رسول الله صلى الله عليه وآله. أمى أم عبد الهذلي، كان أبى حليفاً لبنى زهرة.

نشأت فى مكة، وعملتُ أجيراً أرعى غنماً لعقبه بن أبى مُعيط.

سمعتُ بدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله للإسلام، وكنتُ يوماً غلاماً يافعاً، بعد أن قدم جمعٌ من عمومى إلى مكة فرافقهم، وكان فى بغيتهم شراء عطر، فأرشدوا إلى العباس بن عبد المطلب الذى كان جالساً عند زمزم، فجلسوا إليه، وجلستُ معهم. فبينما نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا ... عليه ثوبان أبيضان، كأنه القمر ليلة البدر، يمشى على يمينه غلام، حسن الوجه ...، تقفوههم امرأة قد سترت محاسنها، حتى قصد الحجر فاستلمه، ثم استلمه الغلام واستلمته المرأة. طاف بالبيت سبعاً،



ص: ٢٠١

والغلام والمرأة يطوفان معه. ثم استقبل الركن، ورفع يديه وكبر، وقامت المرأة خلفهما، رفعت يديها وكبرت، ثم ركع فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، ففقت ملئاً، ثم سجد وسجد الغلام معه والمرأة، يتبعونه، يصنعون مثلما يصنع، فرأينا شيئاً أنكرناه، لم نكن نعرفه بمكة. فأقبلنا على العباس، وقلنا: يا أبا الفضل، إن هذا أمر لم نكن نعرفه فيكم!

قال: أجل، والله، ما تعرفون هذا؟

فقلنا: من يكون هؤلاء؟

قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والمرأة خديجة بنت خويلد امرأته، والغلام علي بن أبي طالب. أما والله ما على وجه الأرض أحد نعلمه يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

فعدت إلى عملي، وقد شغلت نفسي بما رأيت. وما هي إلا أيام حتى أتيت النبي صلى الله عليه وآله، وأسلمت على يديه مبكراً، فكنت من السابقين الأولين، حيث كنت سادس ستة ما على وجه الأرض مسلم غيرنا.

كما كنت أول من جهر بالقرآن الكريم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في مكة.

قرأت منه آيات بينات، فراحت تدوى في سماء الكعبة، وأفق مكة البعيد، بعد أن اجتمع - يوماً - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: والله، ما سمعت قريش بهذا القرآن يُجهر لهابه قط، فمن رجل يُسمعهموه؟ فقلت: أنا.

قالوا: إننا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه. فقلت: دعوني، فإن الله سيمنعني.

وغدوت من فوري حتى أتيت المقام في الضحى، وما إنصرت على بعد خطوات من زعماء قريش، وهم في أُنديتهم حَيَّصحتُ بصوت

عالٍ تجاوزت أصداؤه: «بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن، علم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان...» (١)

وأخذتُ أقرأ هذه السورة المباركة، فيما راح كلُّ

١- ١ سورة الرحمن. استدلل البعض بهذه القصة على أن سورة الرحمن مكية.

ص: ٢٠٢

زعيم من زعماء قريش - الذين ذهلوا وأدهشوا، وكأنصاعقه نزلت عليهم من غرابه ما يسمعون - يلتفت للآخر سائلاً؟ ما يقول ابن أمّ عبد؟! ويأتيه الجواب: إنه يتلو بعض ما جاء به محمد. وفجأة أسرعوا نحوى وملامح الغضب الذي تملكهم قد ارتسمت على وجوههم، ثم انهالوا على أيديهم وعصيهم، وقد غادرت الرحمة قلوبهم، وأنا أقرأ دون توقف حتى بلغت من السورة ما شاء الله أن أبلغ، ثم انصرفت إلى أصحابي، وقد أدمى رأسى من كثرة الجراح.

قالوا: هذا الذي خشينا عليك.

قلت: ما كان أعداء الله أهونَ عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها.

فقالوا: لا، حسبك، فقد أسمعتهم ما يكرهون.

لقد كان زعماء الشرك يتربصون الدوائر بكل مؤمن بالإسلام، وبكلّ صاحح بآيات القرآن الذي يطعن عقائدهم الضالّة، ويسفّه عقولهم، ولهذا تراهم لا يكتفون بإرسال عيونهم لمتابعتنا ومراقبتنا بل يتابعوننا بأنفسهم. وأذكر أنني ذهبتُ وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وخباب بن الأرت، وسعيد بن زيد لنصلي بعيداً عن عيونهم، في شعبٍ من شعاب مكة، فإذا بنفر من مشركي مكة منهم أبو سفيان بن حرب والأخنس بن شريق وغيرهما يطلعون علينا، سبونا وعابونا، فحدث بيننا وبينهم عراك، وكان بيد سعد بلحى جملٍ ضرب به أحد رجالهم فشج رأسه، فكان أول دم أريق منهم في الإسلام.

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ما حلّ بنا من البلاء، وما يُصيبنا من العذاب على أيدي قريش، قال: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإنّ فيها ملكاً لا يظلم أحدٌ عنده، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه». فكانت أول هجرة لى. وبعد عودتى منها هاجرتُ إلى يثرب حيث

ص: ٢٠٣

كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد سبقنا إليها، فنتُ بذلك وسام الهجرتين، فوسام البدرين عندما شاركت في معركة بدر الكبرى، وكان النصر حليف المؤمنين وهم قلة، والهزيمة والذل نصيب المشركين وهم كثرة.

وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أن يلتمس أبو جهل الذي أصابه معوذ بن عفراء، فعدتُ إلى ساحة المعركة، وأجلتُ نظري فيها، فوجدتُ أبا جهل في آخر رمق من حياته الآثمة، التي كان من فصولها: الإعتداء على رسول الله صلى الله عليه وآله وتعذيب المؤمنين، وقتل سمية أم عمار بن ياسر.

قلتُ له: الحمد لله الذي أخزأك.

قال: وبماذا أخزاني .. لمن الدائرة اليوم؟

قلت: لله ولرسوله.

ثم قال حين رآني عليصدره أريد قتله: لقد ارتقيت مرتقيصعباً يا رويعي الغنم.

فقلت له: إنني قاتلك يا أبا جهل!

قال: لست بأول عبد قتل سيده! أما إن أشد ما لقيته اليوم في نفسي لقتلك إياي، ألا يكون ولّي قتل رجل من الأحلاف أو من المطيبين.

فضربته ضرباً وقع رأسه بين يديه ... وأقبلتُ برأسه وبسلاحه ودرعه وبيضته فوضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وقلتُ له: أبشر، يا نبي الله، بقتل عدو الله أبي جهل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحقاً، يا عبد الله؟ فوالذي نفسي بيده، لهو أحب إلي من حمر النعم، اللهم قد أنجزت ما وعدتني فتّم علي نعمتك.

وسجد شكراً لله، ثم شهد لي بالجنة.

بعدها أمر النبي صلى الله عليه وآله بوضع قتلى المشركين في القليب، وعندها تذكرتُ: أن النبي صلى الله عليه وآله كان يُصلّي يوماً عند البيت، وأبو جهل وأصحابه له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بنى فلان، وقد نُحرت بالأمس، فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم عقبه بن

ص: ٢٠٤

أبى معيط فجاء به، فنظر حتى سجد النبي صلى الله عليه وآله، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغير شيئاً، لو كان لى منعاً. فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، ورسول الله صلى الله عليه وآله ساجد لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة بعد أن أسرعت امرأة فأخبرتها، فطرحته عن ظهره، ورفع رأسه ثم قال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرّات، فلما سمعوا صوته، شقّ عليهم، وخافوا دعوته، وكانوا يرون أنّ الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثمّ سمى: (اللهم عليك بأبى جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمّية بن خلف، وعقبه بن أبى معيط)، وعدّ السابع فلم أحفظه.

فو الذى نفسى بيده، لقد رأيتُ الذين عدّ رسول الله صلى الله عليه وآله صلى يوم بدر، ثمّ سحّبوا إلى القليب، قليب بدر. فنالوا بذلك جزاءهم العادل.

ووقعت معركة أحد فكنّت من الذين استماتوا بالذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله والدفاع عنه أمام السيل المتدافع من مشركى قريش، الذى يستهدف قتل رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن حلّت بنا هزيمة بعد نصر، كان سببها مخالفة الرماة أمر رسول: «لا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتونا نُقتل فلا تنصرونا».

وما علمت أنّ أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» (١)

فى أولئك الرماة الذين تنازعوا أمرهم بينهم، فريقٌ سال لعابه حين رأى الغنائم التى خلفها المشركون وراءهم، فترك موضعه، وفريق قليل ثبت مكانه امتثالاً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله فاستشهد عن آخره.

وفى معركة حنين، ركنا إلى قوتنا وكثرتنا، حتى قال قائلٌ منا: لن نُغلب اليوم من قله، فشدّت كئاب العدو علينا شدة رجل واحد، وأصبنا بهزيمة مباغته أول القتال، فتفرقت جموع

ص: ٢٠٥

المسلمين الذين انتابهم الخوف والذعر، فيما راحت جماعة منا تقدر بثمانين رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكنت أحدهم تحيط برسول الله صلى الله عليه وآله، الذي علاصهوه بغلته البيضاء وسط المعركة، وهو يصيح بالمنهزمين: إلى أين أيها الناس؟ هلموا إليّ - هلموا إليّ ... أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله.

أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب اللهم نزل نصرك، اللهم نزل نصرك ... وإذا بالجموع المنهزمة تعود إلى ساحه المعركة، وقد غطت تكبيرتهم وتلييتهم فضاء الوادي، فكان النصر بعد الهزيمة، وكان الظفر بعد المذلة والهوان، وما رجعنا إلّا وقتلى المشركين قد ملأت ذلك الوادي، وأسراهم في الجبال عند رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم تعال معي - عزيزي - لنقرأ كيفصوّر لنا القرآن الكريم هذه الواقعة أفضل تصوير بأعظم بيان.

«لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضائق عليكم الأرض بما رحبت ثم توليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفورٌ رحيم» (١).

وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله بتقسيم غنائم حنين على المسلمين، وعندها سمعت رجلاً يقول: إن هذه القسمة ما عدل فيها، ما أريد بها وجه الله.

فقلت؟ فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله؟

وأتي النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته، فتغير لونه حتى ندمت على ما صنعت، ووددت أني لم أخبره.

ثم قال صلى الله عليه وآله: «رحم الله موسى، قد أودى بأكثر من هذا فصبر».

وأنزل الله تعالى: «ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم

ص: ٢٠٦

يسخطون» (١).

لقد شهدتُ مع رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله كلَّ مشاهدته، ولم أتخلف عنه أبداً، ولا غرابه في ذلك، فلقد تشرفتُ بخدمته، ورافقتُه في حلّه وترحاله، حتّىصرتُصاحب سرّه. قال لى رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: «إذُنْكَ عَلَيَّ أَنْ تَسْمَعَ سَوَادِي (سَرِي)، وَيُرْفَعَ الْحِجَابُ، حَتَّى أَنْهَاكَ». فكنْتُ أُلْجُ عَلَيْهِ، وَأَلْبَسُهُ نَعْلِيهِ، وَأَمْشِي مَعَهُ، وَأَسْتَرُهُ إِذَا اغْتَسَلَ، وَأَوْقَفُهُ إِذَا نَامَ، وَلِهَذَا كَلَّمَهُ وَغَيْرُهُ عَرَفْتُ عِنْدَ الصَّحَابَةِ بِصَاحِبِ السَّوَادِ وَالسَّوَاكِ، وَصَاحِبِ سَرِّ رَسُولِ اللَّهِ. وَلِهَذَا أَيْضاً تَرَى بَعْضَهُمْ يَعْذِنُنِي وَأُمِّي مِنْ آلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِكَثْرَةِ دُخُولِنَا عَلَيْهِمْ وَلِزُومِنَا لَهُمْ. قَالَ فِي الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ حَذِيفَةَ: «كَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ هَدِيّاً وَدَلّاً وَسَمْتاً بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ، حَتَّى يَتَوَارَى عَنَّا فِي بَيْتِهِ. وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُحْفُوظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ مِنْ أَقْرَبِهِمْ إِلَى اللَّهِ زَلْفاً». وَكَانَتْ مَلَاذِمَتِي لِرَسُولِ اللَّهِ فَرِصَةً مَبَارَكَةً، نَافِعَةٌ لِي، تَزَوَّدْتُ مِنْهُ إِيمَاناً وَحِكْمَةً وَأَدْباً، وَاسْتَقِيْتُ مِنْهُ عِلْماً وَمَعْرِفَةً، حَتَّىصِرْتُ فُقِيهاً فِي الدِّينِ، عَالِماً بِالْقَضَاءِ وَأَحْكَامِهِ، عَارِفاً بِالْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ: نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ، مُتَشَابِهُهُ وَمُحْكَمُهُ... تَلَقَّيْتُ كُلَّ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبِفَضْلِ وَبِرِكَهٍ صَحْبَتِي لَهُ. لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْضاً وَسَبْعِينَ سُورَةً، وَلَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنِّي أَعْلَمُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ. فَمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ سُورَةٌ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ نَزَلَتْ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ فِيْمَ أَنْزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ مِنِّي لِرِحْلَتِي إِلَيْهِ، وَمَا سَمِعْتُ أَحَدًا يَرُدُّ هَذَا عَلَيَّ وَلَا يَعْيبُهُ. وَلَكِنِّي أَذْكَرُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِي يَوْمًا: سَمِعْتُكَ تَقُولُ: «لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَبْلُغُهُ الْمَطَايَا لِرِحْلَتِي إِلَيْهِ».

فقلتُ: نعم قلت: هذا.

فقال: فأين أنت عن عليّ.

قلت: به بدأتُ، إنني قرأتُ عليه.

وأضيف - أيضاً - أنني قرأتُ سبعين سورةً على رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله،

ص: ٢٠٧

وختمت القرآن على خير الناس بعده، علي بن أبي طالب ... وأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما من حرفٍ إلا وله ظهر و بطن، وإن علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن.

كما كنت محباً للقرآن، حاملاً له، عارفاً بقراءته، مجيداً لها، حسن الصوت به، وكنتُ أعد من القراء، ولفظة القراء هذه لا تطلق إلا على نخبة قليلة تختص بقراءة القرآن، من بين عدد ممن يعرفون القراءة في مجتمعنا الذي غلبت عليه الأمية. وقد قال في رسول الله عليه وآله: «من سره أن يقرأ القرآن غضاً أو رطباً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد» وأم عبد كنية أمي. وشهد لي علي عليه السلام أنني أول من قرأ آية من كتاب الله على ظهر قلب بقوله: «أول من قرأ آية من كتاب الله عن ظهر قلبه ابن مسعود».

وكثيراً ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب أن يسمع القرآن مني، وذات مرة قال لي: اقرأ علي يا عبد الله.

قلت: اقرأ عليك، وعليك أنزل يا رسول الله؟

فقال صلى الله عليه وآله: إنني أحب أن أسمع من غيري.

فأخذتُ أقرأ من سورة النساء، حتى إذا بلغت قوله تعالى:

«فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً» فاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله من الخشوع والخشية والإخبات لله ولتنزيله.

ولطالما جاءني بعض الصحابة إلى بيتي ليسمعوا مني قراءة القرآن وتفسيره؛ ولأن قراءتي هكذا كانت، ترى الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق من قبل الأمويين، الذي عرف بمكره واشتهر بإجرامه وتعطشه للقتل وتعذيب الناس، تراه يمنع قراءة القرآن كما قرأته، فيقول في ضمن كلمة له يهدد ويتوعد بها الناس: «... ولا أجد أحداً يقرأ علي قراءة ابن أمّ عبد إلا ضربت عنقه...».

ص: ٢٠٨

وكنْتُ من الذين نزلت فيهم:

«ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه...» (١)

نزلت في ستة نفر وأنا واحد منهم، حينما كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال بعض زعماء قريش: إنا لا نرضى أن نكون أتباعاً لهؤلاء فاطردهم عنك.

فأنزل الله هذه الآية.

«ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلَّا قليل منهم» (٢)

كنت من هذا القليل الذي استثناه الله تعالى، فقد قلنا:

والله لو أمرنا لفعلنا فالحمد لله الذي عافانا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن من أمتي رجالاً، الإيمان في قلوبهم أنبت من الجبال الرواسي.

«الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرع للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم» (٣)

، نزلت هذه الآية في الذين أجابوا دعوة الرسول صلى الله عليه وآله مع ما فيهم من جراح وآلام شديدة في يوم أحد، وكنت منهم، ندبنا الرسول صلى الله عليه وآله لنعود إلى المشركين فنقاتلهم.

ولما نزلت «ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طمعوا إذا ما اتقوا وآمنوا وعلوا الصالحات» (٤).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي: أنت منهم.

فكانت فرحتي بذلك عظيمة جداً.

\*\*\* نلت شرف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تجدني في بعض الكتب الحديثية أدعى ب (عبد الله بن مسعود الراوي)، فقد ورد لي في كتب الحديث الكثير من الروايات المتفق عليها، كما أن جمعاً من أعيان الصحابة والتابعين روى عني. وما نقلت حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تغير لون وجهي، وانتفخت أوداجي، وعلنتي كآبة وانحدر عرقى من جبينى، ودمعت عيناي، وأقول في بداية نقلى للحديث: أو قريباً من هذا، أو نحو هذا، أو شبه هذا. كل ذلك خوفاً من

١- ١ الأنعام: ٥٢.

٢- ٢ النساء: ٦٦.

٣- ٣ آل عمران: ١٧٢.

٤- ٤ المائدة: ٩٣.



ص: ٢٠٩

الزيادة والنقصان، أو السهو والنسيان، فأكون قد حكيت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما لم يقله، أو أدخل في الدين ما ليس منه. أذكر بعض ما رويته:

منصلي صلاة لم يصل فيها عليّ وعلى أهل بيتي لم تقبل منه.

سياب المسلم فسوق، وقتاله كفر.

سألت النبي صلى الله عليه وآله: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها».

قلت: ثم أي؟ قال صلى الله عليه وآله: «ثم بر الوالدين». قلت: ثم أي؟ قال صلى الله عليه وآله:

«الجهاد في سبيل الله». حدثني بهنّ، ولو استزدته لزدني.

إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه.

إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن

الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عنه الله كذاباً.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول بحق الصحابي الجليل «أبو ذر الغفاري»:

«يرحم الله أبا ذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين» وكان ذلك في مسيره إلى تبوك، حيث

وقف بأبي ذر جملة فتخلف عليه، فلما أبطأ أخذ رحله عنه، وحمله على ظهره، وتبع النبي صلى الله عليه وآله ماشياً، فنظر الناس وقالوا: يا

رسول الله! هذا رجل على الطريق وحده.

فقال صلى الله عليه وآله: كن أبا ذر،

فلما تأمله الناس، قالوا: هو أبو ذر.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يرحم الله أبا ذر، يمشى وحده....

وبقيت طيلة سنين أفكر بهذا القول حتى نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة وهو مكان يكرهه كثيراً، فأصابه بها أجله، ولم يكن معه إلا امرأته

وغلماها، فأوصاهما أن يغسلاه، ويكفناه ثم يضعاه على الطريق، فأول ركب يمرّ بهما

ص: ٢١٠

يستعينان به على دفنه، ففعلا- ذلك. فإذا بي في رهط من أهل العراق، فأعلمتنا إمرأته بموته، حزنا حزنا شديداً، ورحنا نبكى عليه بدموع غزيرة، وقلتُ صدق حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله:

لقد سمعته يقول: «يرحم الله أبا ذر...، ويموت وحده، ويبعث وحده، ويشهده عصابة من المؤمنين» ثم واريناه الثرى في سنة ٣٢ هـ. فللك الله يا أبا ذر، ما أنصفوك في شيء.

ومن أدعيتها صلى الله عليه وآله التي رويتها هذا الدعاء:

ما من عبدٍ أصابه همٌّ، فقال: «اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ في حكمك، عدلٌ في قضاؤك، أسألك بكل اسم سميت به نفسك، أو ذكرته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ضياءً صدري، وريحاً قلبي، وجلاءً حزني، وذهاباً همي» إلا أذهب الله همه، وبدله مكان حزنه فرحاً. ولو راجعت كتب التفسير، ومعاجم القراءات لوجدت لي قراءات أختص بها وحدي بلغت أربعاً وسبعين قراءة، وأخرى شاركت فيها آخرين، وتجد لي آراءً في القرآن وتفسير آياته أنفرد بها، وأخرى أشارك فيها غيري، كما أن لي آراءً في الفقه، وفتاوى. وحكم وأقوال تناثرت في بطون الكتب، ببركات البيت النبوي الذي عشت في كنفه، وارتويت من ينبوع إيمانه وعلمه وأدبه وحكمته.

وهذه باقاه من حكم وأدعية وأقوال لي:

ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضيفٌ على الدنيا، وماله عارية: فالضيف مرتحل، والعارية مردودة.

إن الرجل لا يولد عالماً، وإنما العلم بالتعلم.

ما من شيء أولى بطول سجن من لسان.

ص: ٢١١

ومن دعائي: اللهم وسع علي من في الدنيا وزهدني فيها، ولا تُزوها (تبعدها) عني وترغبني فيها....  
وإن لي دعاء ما أكاد أدعه:

اللهم إني أسألك إيماناً لا يبید، ونعيماً لا ينفد، وقرّة عين لا تنقطع.

إن في كتاب الله آيتين، ما أصاب عبداً ذنباً فقرأهما ثم استغفر الله إلا غفر له:

«والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إله الله ولم يُصِرّوا على ما فعلوا وهم يعلمون» (١).

«ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً» (٢).

إن عملتم في دينكم بالقياس، أحللتكم كثيراً مما حرّم الله، وحرّمتكم كثيراً مما أحلّ الله.

ومن خطبة لي:

أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى خير زاد، وأكرم الملل ملّة إبراهيم عليه السلام، وخير السنن سنّة محمد صلى الله عليه وآله.. وما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، لنفسٍ تحييها خيرٌ من إماره لا- تُحْصِيها. خير الغنى غنى النفس. وخير ما ألقى في القلب اليقين.

الخمير جماع الآثام... مَنْ يَغْفِرُ يُغْفِرُ لَهُ، مكتوب في ديوان المحسنين. من عفا عني عنه،... السعيد من وعظ بغيره...

أحسن الهدى هدى الأنبياء، أقبح الضلالة الضلالة بعد الهدى، أشرف الموت الشهادة....

\*\*\* عرف الصحابة قدرى، ومنزلتى عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وسبقى وفضلى في الإسلام.

فقد ارتقيت- يوماً- شجرة لأجتني من ثمرها للصحابة وهم ينظرون إلى دقّة ساقى ويضحكون، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله: ما يضحككم! أو تعجبون من دقّة ساقيه؛ فوالذي نفسى بيده لهما أثقل في الميزان

١- ١ آل عمران: ١٣٥.

٢- ٢ النساء: ١١٠.

ص: ٢١٢

يوم القيامة من أحد.

وقد سمع عليّ عليه السلام - يوماً - ثناء جمع من الصحابة عليّ حيث قالوا: ما رأينا رجلاً أحسن خلقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مجالسةً، ولا أشدّ ورعاً من ابن مسعود. فقال عليه السلام:

«أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم؟»

قالوا: نعم. قال: اللهم اشهد أنّي أقول مثل ما قالوا، وأفضل من قرأ القرآن، وأحلّ حلاله، وحرّم حرامه، فقيه في الدين، عالم بالسنة». وها هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، يعين عمار بن ياسر والياً على الكوفة، ويجعلني وزيراً ومعلماً في كتاب واحد سنة ٢١ هـ، جاء فيه:

«إني قد بعثت عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، من أهل بدر، فاقتدوا بهما، وأطيعوا واسمعوا قولهما، وقد أترتكم بعبد الله على نفسي».

فكنت في الكوفة معلماً للقرآن، وفقياً في الدين، وأميناً على بيت مال المسلمين، حتى آل أمر الخلافة إلى عثمان، فبعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط والياً على الكوفة في السنة الثانية من خلافته، وعقبه هذا من أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قتله عليّ بن أبي طالب بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أسره في معركة بدر، وأنزل الله فيه: «ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتي لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً» (١).

أما ابنه الوليد فقد أسلم يوم فتح مكّة، وكان فاسقاً بنص القرآن:

«يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (٢).

جرت بيني وبين الوليد هذا مشادة وخصومة، بعد أن استقرض مالاً من بيت مال المسلمين ولم يرجعه، فأرسل الي عثمان يخبره بمطالبتى له

١-١ الفرقان: ٢٧-٢٨.

٢-٢ الحجرات: ٦.

ص: ٢١٣

بإعادة المال، وبدل أن يقف الخليفة بجانبى كتب إلى: «إنما أنت خازن لنا فلا تتعرض للوليد فيما أخذه من المال». فلم يتأخر جوابي: «كنت أظن أنى خازن لمال المسلمين، فأما إذا كنت خازناً لكم فلا حاجة لى فى ذلك». ثم خرجت إلى مسجد الكوفة وقلت: «يا أهل الكوفة، فقدت من بيت مالكم الليلة مائة ألف لم يأتنى بها كتاب أمير المؤمنين، ولم يكتب لى بها براءة...». ثم أعلنت استقالتي، وقلت: «من غير غير الله ما به، ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل ... إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله، وشراً الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار». فلما سمع الوليد كل ذلك، كتب كتاباً آخر إلى الخليفة عثمان قال فيه: إنه يعيبك، ويطعن عليك.

فأمر عثمان الوليد بإشخاصى إليه فى المدينة، فما كان من أهل الكوفة إلا أن اجتمعوا بسلاحهم حولى قائلين: أقم ونحن نمنعك أن يصل إليك شىء تكرهه، فقلت: إننى لا أحب أن أكون أول من فتح باب فتن لا تبقى ولا تذر. فأوصيتهم بتقوى الله، ولزوم القرآن. ثم خرجت من الكوفة فيما راح أهلها يودعوننى بحزن وأسى قائلين:

جزيت خيراً، فلقد علمت جاهلنا، وثبت عالمنا، وأقرأتنا القرآن، وفقهتنا فى الدين، فنعم أخو الإسلام أنت، ونعم الخليل .... ولما وصلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فى المدينة إذ الخليفة يلقى كلمته، فلما رآنى قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء من يمشى على طعامه يقىء ويسلح.

فقلت: لست كذلك، ولكنى صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم بيعة الرضوان. وقد أثار كلام الخليفة أم المؤمنين عائشة فقالت: أى عثمان،

ص: ٢١٤

أتقول هذا لصاحب رسول الله؟

فقال لها: أسكتي.

ثم أمر بإخراجي من المسجد، فضربتُ وأُخرجت.

ومنع عطائي سنتين، وأمر بمقاطعتي، ولم يأذن لي بمغادرة المدينة.

وتوجه عليّ عليه السلام نحو الخليفة قائلاً:

يا عثمان، أتفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بقول الوليد بن عُقبة؟

فقال: ما بقول الوليد فعلتُ هذا، ولكن وجهتُ زيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة، فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال فردّ عليه

عليّ عليه السلام: أحلت عليّ زيد علي غير ثقة.

ثم حملني عليّ عليه السلام إلى منزله، فقام برعايتي وتعاهدني حتى شفيتُ من آثار ضربهم لي.

ولما مرضتُ مرضى الذي مات فيه، دخل عليّ الخليفة عائداً، وقال لي:

ما تشتكي؟

فقلت: ذنوبي.

فقال: فما تشتهي؟

فقلت: رحمة ربي.

قال: ألا أدعو لك طيباً؟

قلت: الطيب أمرضني.

قال: أمر لك بعطائك؟

قلت: منعته وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغن عنه.

قال: يكون لولدك.

قلت: رزقهم عليّ الله.

قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قلت: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي.

ثم غادر بيتي دون أن يحصل عليّ رضاي.

\*\*\* مات عبد الله بن مسعود عن ستين عاماً، وصلى عليه حبيبه عمّار بن ياسر مع جمع من أصحابه، ودفن ليلاً في البقيع سنة ٣٢ هـ.

فسلام عليك يا أبا عبد الرحمن في الخالدين.

ص: ٢١٥

إنّ الكتب التي ذكرت حياة هذا الصحابي الجليل، وكلّ ما يتعلّق به عديدة، أكتفى هنا بذكر ما اعتمده في هذه الترجمة له.

- ١- مختصر (تاريخ دمشق لابن عساكر) لابن منظور؛ تحقيق رويّة النحاس - دار الفكر.
  - ٢- الكامل لابن الأثير.
  - ٣- حليّة الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني ج ١- اصدار دار الفكر.
  - ٤- تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري.
  - ٥- المغازي للواقدي.
  - ٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة- ابن الأثير ج ٣.
  - ٧- العقد الفريد- ابن عبد ربه الأندلسي.
  - ٨- ربيع الأبرار ج ٢.
  - ٩- أحاديث أمّ المؤمنين عائشة للسيد العسكري.
  - ١٠- صحيح البخاري.
  - ١١- صحيح مسلم.
  - ١٢- التاريخ الجامع للأصول للشيخ منصور ناصيف.
  - ١٣- أضواء على السنّة النبويّة لمحمود أبو رية.
  - ١٤- السيرة النبويّة لابن هشام ج ١، ج ٢.
  - ١٥- ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، تحقيق المحمودي ج ٣.
  - ١٦- معجم القراءات القرآنية- اعداد الدكتور أحمد مختار عمر والدكتور عبد العال سالم مكرم.
  - ١٧- تاريخ المدينة المنورة- ابن شبة مجلد ٣- ٤.
  - ١٨- العدة- الشيخ الطوسي.
- الهوامش:

**ابعاد التأثيرات الفكرية والأدبية**





ص: ٢١٧

أبعاد التأثيرات الفكرية والأدبية

أحمد الواسطي

على العقلية اليهودية في الجزيرة العربية

المقدمة:

تأثرت العقلية اليهودية في المجالات الفكرية والأدبية بالمسلمين في الجزيرة العربية، حيث نجد هذا التأثير واضحاً وجلياً على نتاجات اليهود اللغوية والأدبية، التي أخذت تحاكي فيها الأساليب اللغوية والأدبية للمسلمين، هذا فضلاً عن تأثرها بالآداب الأوربية. ويحاول اليهود من خلال وسائلهم الإعلامية، وما يألون من كتب ونشرات أن يظهروا مكانتهم الفكرية والأدبية، ويجعلوا من الجزيرة العربية أرضاً يهودية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يحاولون ربط دورهم التاريخي بدور إبراهيم الخليل عليه السلام، مع العلم بأن الجزيرة العربية طوال التاريخ لم تكن أرضاً يهودية، كما أن دورهم كان متأخراً كثيراً عن

ص: ٢١٨

دور إبراهيم الخليل عليه السلام.

مُنح اليهود صفة (أهل الكتاب) أو (أهل الذمة) عندما انتشر الإسلام، حيث أصبحت الدولة الإسلامية مسؤولة عن سلامتهم، فأخذوا بعلوم المسلمين، وألفوا- للمرة الأولى في التاريخ- كتب النحو ومعاجم الألفاظ تقليداً للمسلمين العرب، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل نجد أن الشعراء اليهود قرضوا الشعر العبري وفقاً للأبحر الشعرية المألوفة في اللغة العربية. وتناولت فنون الشعر العبري في ذلك الوقت جميع الأغراض المعروفة في الشعر العربي كالمدح، والهجاء، والفخر، والرثاء، والحكمة، والوصف ....

فالشاعر اليهودي يهوذا الحريزي يقول في المدح:

لليقى كل ياقار نافية في نلفيه في هولفيت بشير عل روش مشيحاف (١) أى: لصاحبنا اللاوى احترام ورفعة، فقد بات اكليلاً على الشعراء

كما نجد أن الشعراء اليهود، حاكوا الشعراء العرب في النظم العلمي والتعليمي، وفي نظم الأحاجي والألغاز (٢).

ولم يؤلف اليهود كتباً علمية في قواعد لغتهم إلا بعد أن تتلمذوا على يد المسلمين العرب، ونشأوا في عهد الثقافة الإسلامية نشأة مكنتهم من فهم العلوم العربية على اختلاف أنواعها.

فظهر سعيد بن يوسف الفيومي فيلسوف اليهود في القرن العاشر (٣). وكان أول النحاة العبريين، الذين وضعوا قواعد النحو العبري على غرار قواعد اللغة العربية وليس هذا فحسب، بل أخذ الكثير من العلوم الدينية، وتشرّبت روحه بمذهب «المعتزلة»، ويظهر هذا التأثير جلياً في معالجه الديانة اليهودية، ويعده النحاة اليهود أبا النحو العبري.

ونقل اليهود إلى لغتهم العلوم الإسلامية كاللاهوت، والطب والفلسفة،

١-١ د. ربحي كمال: الأدب العبري: ٤٢٠.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ د. ربحي كمال: قواعد اللغة العبرية: ٤١-٤٢.

ص: ٢١٩

وغيرها من أمثال كتب ابن سينا، «تهافت الفلاسفة» للغزالي، و «تهافت التهافت» لابن رشد.

ويقول الناقد (يهودا الحريزي) بأسلوب حماسي: «اعلم أن الشعر البديع الحافل باللاكي قد كان في بادئ الأمر ملكاً مقصوراً على أبناء العرب المسلمين وحدهم، وقد وزنوه بموازين صدقة، وهم يفوقون في شعرهم شعراء العالم قاطبة... ومع أن لكل أمه شعراءها، فإن جميع شعرهم لا قيمة له، ولا وزن في مقابل شعر الإسماعيليين (أي المسلمين العرب) لأنهم - وحدهم - المستأثرون بالشعر العذب في لفظه، الجميل في فحواه ومعناه.

ثم يضيف الناقد العبري الحريزي، متحدثاً عن تأثير الشعر العربي في الشعر العبري بقوله: إن بني شعبنا بعد جلائهم عن أرض كنعان، قد قطن الكثيرون منهم مع العرب المسلمين في أوطانهم، وألفوا التحدث بلغتهم، والتفكير بتفكيرهم، وبامتزاجهم بهم تعلموا منهم صناعة الشعر الموزون في اللغة العبرية...» (١).

والجدير بالذكر أن الشعراء اليهود عرفوا الأساليب البلاغية المألوفة آنثذ عند العرب المسلمين، التي بها كانوا يزينون قصائدهم ويحلون أشعارهم. كما أن «بني إسرائيل» أول من دان باليهودية، لكنهم لم يكونوا وحدهم اليهود حتى في زمانهم (٢). ولم تعرف باسم (اللغة العبرية) إلا بعد السبي البابلي (٣). ولما استوطن (بنو إسرائيل) أرض كنعان، وعرفوا المدينة والحضارة، صاروا ينفرون من كلمة (عبري) التي كانت تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا باسم (بني إسرائيل) فقط (٤).

ولا يوجد فيصحف العهد القديم ما يدل على أنهم كانوا يسمون لغة (بني إسرائيل) (باللغة العبرية)، بل كانت تارة تعرف باسم اللغة اليهودية: «يهوديت»

١-١ يهودا الحريزي: كتاب تحكموني: ٩٨.

٢-٢ ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٣٩.

٣-٣ مصنفات المؤرخ اليهودي يوسف: ٩٨.

٤-٤ د. اسرائيل ولقنسون: تاريخ اللغات السامية: ٣٨.

ص: ٢٢٠

كما هو واضح في [سفر اشعيا] (١).

دَقِيرَنَا إِلْ عَقَادِيمَا أَرَامِيْتِ كَيْ شِمْعِيمِ أَنْحُنُوَا قِي أَلْ تَدْبِيرِ إِبْلِينُوَا يَهُودِيْتِ بِأُزْنِيهِ هَاعَامِ أُشِيرِ عَلْ هَحُومَا.  
ويعنى: كَلَّمِ عبيدك باللغة الأرامية ولا تكلمنا «باللغة اليهودية» في مسامع الشعب الذى على السور.

وتارة تعرف باسم (لغة كنعان): (٢).

بِیَوْمِ هَهُوَا يَهُيُو حَامِيْشِ عَارِيْمِ بَ إِيرِصِ مِصْرِيْمِ مِدْقُرُوْتِ سِفْتِ كِنْعَنِ قِي نِشْبَاعُوْتِ لِيَهَقَاصِقَاءِ وَتِ عَيْرِ هَهِيْرِسِ يَامِيْرِ لِ إِحَاتِ.  
ويعنى هذا النص: كان فى ذلك اليوم بأرض مصر خمس مدن تتكلم (بلغة كنعان)، وتحلف برب الجنود، وتسمى إحدى هذه المدن مدينة الشمس.

ولقد كشفت فى (تل العمارنة) بمصر رسائل يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر (ق. م)، وإلى عصر الملك (أمون حوطف)، حيث كان «بنو إسرائيل» لا يزالون تحت سيطرة (مصر)، فقد ذكرت هذه الرسائل الموجهة من أمراء فلسطين والكنعانيين إلى عزيز مصر، أن قبائل (عبيري) أو (حبيري) تغزو فلسطين وتتوغل من ناحية الصحراء فى بلاد خاضعة للنفوذ المصرى، ويطلبون منه النجدة (٣).

١-١ سفر أشعيا: ٣٦: ١١، ص ٦٧٠ الأصل العبرى.

٢-٢ سفر أشعيا: ١٩: ١٨، ص ٦٥٢ الأصل العبرى.

٣-٣ د. اسرائيل ولقنسون، تاريخ اللغات السامية: ٢٨.

ص: ٢٢١

قلعة خيبر

وبقيت عقليته (الأديب الإسرائيلي) مطبوعه بطابع الصحراء في عصور الحضارة؛ لأنّ علاقة «بنى إسرائيل» بأمم الصحراء لم تنقطع في عصر من العصور، ولا شك أن عادات «بنى إسرائيل»، وأخلاقهم الاجتماعية في عصورهم الأولى كانت متأثرة بأخلاق وعادات العرب في الجاهلية، وأن كثيراً من أسماء الأعلام العبرية القديمة شائعة الاستعمال عند العرب في الجاهلية مثل:

ص: ٢٢٢

(عوقديا) وتعنى: عبد الله و (سعديا) تعنى: السعد و (عفرا) تعنى:

عفراء (١).

المصطلح العبرى:

كان مصطلح (العبرى) أو (العبرانى) يطلق فى نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية فى شمال جزيرة العرب، وغيرهم من الأقوام العربية، حتى صارت كلمة (عبرى) مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام (٢). وقد ورد اسم (عبريو) فى ورقتين من أوراق البردى كُتبتا فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وفى عهد ملك مصر (رمسيس الثانى) من الأسرة التاسعة عشرة، الذى حكم من سنة ١٢٩٢ إلى سنة ١٢٢٥ ق. م موجودتين فى متحف لايد فى هولنده (٣). غير أن (جون أ. هامرين) يحسم هذه المعلومة فى المجلد الثانى من مصنفه الضخم (تاريخ العالم) (٤) بالقول: «إن الاعتقاد بكون «الخبيرو» أو «العبريو» هم ذاتهم عين العبريين قد ظلّ لزمّن طويل يؤيده ذلك التشابه فى الأسماء، بيد أنه من العسير علينا القول بهذا الرأى لعدم وجود شواهد تؤيده».

ويستدل (هامرين) فى تدعيم رأيه بما ذهب إليه الأستاذ (واردل) Wardle [] Prof فى مصنفه الحديث (إسرائيل وبابل) [Israel and Babylon] بشأن القلاقل التى سببتها قبائل «الخبيرو» التى هاجمت فلسطين خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، فاستنجد أمراؤها الذين كانوا خاضعين بالاسم لمصر بالفراعنة، الأمر الذى سجّلت وقائعه ألواح (تل العمارنة) المشهورة من سياق رسائل بلاطى (امنحتب الثالث) و (امنحتب الرابع) (اخناتون) أى: من (١٤٠٠ - ١٣٦٠ ق. م) على وجه التقريب حين ذكر (واردل) أن مجيء الغزاة من الصحراء

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ المصدر نفسه.

٣-٣ محمد عزة دروزه، تاريخ بنى اسرائيل من أسفارهم: ٣١.

٤-٤ جون أ. هامرين، ج ٢ الباب الخاص بفلسطين.

ص: ٢٢٣

كان من الحوادث المألوفة في تاريخ فلسطين القديم، وذكر أن (الخبيرو) لم يكونوا عبرانيين، حيث كانوا أكبر بكثير من الشعب العبري (١).

دور إبراهيم الخليل عليه السلام يسبق دور اليهود:

يمكن تحديد عصر إبراهيم عليه السلام وفقاً لسير الأحداث التاريخية، والموافق للمنطق الحسابي العقلي بالعام ١٩٥٠ ق. م - تقريباً - مع الأخذ بعين الاعتبار ضرورة التوقف لحظات عند مسألة تحديد تواريخ الأحداث القديمة، التي لا بد من أن يقال عنها: إنها تقريبية إلى أبعد الحدود، وقد أفرد العالم الألماني المعاصر (كورت مارك) [Kirt W. Marek] فصلاً طويلاً لمناقشتها في كتابه المنشور عام ١٩٥٥ بعنوان Lesectetdes Hittespon «أسرار الحثيين» نجتزئ منه هذه الفقرة من الفصل الثامن «علم التواريخ»: (٢) «إن أول عام حُدّد لابتداء التاريخ المصري، وهو تأسيس أول سلالة من قبل الملك مينيس (ميناء) الذي حَقَّق وحدة مصر، قد جرى تعديله على التوالي، وخلال قرن واحد من الزمن وعلى مَرِّ الاكتشافات الجديدة، فُقِّد من العام ٥٨٧٦ ق. م إلى العام ٢٩٠٠ ق. م ومع ذلك ليس هناك أي برهان على أن هذا التاريخ الأخير صحيح ونهائي».

وفي ضوء ما يقوله «ب مونت» P. Montet ودانيل روبس Rops Daniel وغيرهما من المتخصصين (٣) بشأن تواكب حركة الهكسوس نحو مصر في القرن السابع عشر ق. م مع وصول يوسف وآله، وأنه في مدينته «أفارس» بالدلتا، استقبل عاهل هكسوس يوسف وأخوته استقبالاً حسناً.

كما نجد أن بعض الباحثين يغالطون أنفسهم بربط تاريخ بني إسرائيل بميلاد إبراهيم أبي الأنبياء - عليه وعليهم السلام -، أي مع منتصف القرن العشرين قبل

١-١ محمد عزة دروزه، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: ٣٢.

٢-٢ سهيل ديب، التوراة تاريخها وغاياتها: ٨٩.

٣-٣ موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة: ٢٥٥.

ص: ٢٢٤

الميلاد، بينما يربط عدد آخر من الباحثين تاريخ «بنى إسرائيل» بموسى عليه السلام وهو خطأ آخر جسيم، كذلك رأينا فريقاً ثالثاً يرجع تاريخ اليهود إلى زمن الأكديين بالعراق، فى حين نجد فريقاً رابعاً يجعل تاريخهم مواكباً لتلك الدفقات البشرية السامية (نسبة إلى سام بن نوح)، التى خفق بها قلب الجزيرة العربية فيصوره هجرات متعاقبة إلى أطراف الجزيرة شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. وهذه الآراء جميعها على خلاف السياق المنطقى لتسلسل أحداث المنطقة، وخلافاً لما أثبتته الأحافير الأثرية الحديثة. والجدير بالذكر ما أفاده الدكتور سوسه (١) بأن كتبه التوراة إنما عمدوا إلى إهمال التسلسل الزمنى؛ ليسهل عليهم ربط تاريخهم بعهود قديمة سبقت وجودهم، فأدخلوا التشويش على ذهن القارئ؛ بحيث أصبح تائهاً بين العصور، فلا يدري أيبدا تاريخ اليهود مع عصر إبراهيم، أم يواكب عصر موسى، ويشوع بن نون تلميذه، وخليفته على بنى إسرائيل، أم من زمن الهجرات السامية العربية، أم من عصر الأكديين؟! فالحقيقة أن كل عصر من هذه العصور يتميز عن العصر الآخر تميزاً واضحاً، فاليهود أتباع موسى عليه السلام ظهوروا خلال القرن الثالث عشر ق. م، والأكديون ظهوروا قبل عصر موسى بنحو ألفين وسبعمائة عام، حينما نزحوا من جزيرة العرب إلى شواطئ الفرات حوالى (٤٠٠٠ ق. م) بينما ظهر إبراهيم الخليل فى منتصف القرن العشرين قبل الميلاد، أى أن المساحة الزمنية التى تفصله عن عصر موسى تصل لسبعة قرون تقريباً. كما أن الهجرات السامية من قلب الجزيرة الى أطرافها سبقت وجود اليهود على ظهر البسيطة بنحو ألفى عام، ومن هنا جاء تأكيد العقاد (٢) على أننا إذا قششنا عن نسبة لإبراهيم لم نجد أصدق من النسبة العربية، كما كانت العربية يومئذ بين الجزيرة العربية وبقاع الهلال الخصيب، فلا يقال: عن إبراهيم إنه إسرائيلى؛ لأن يعقوب هو أول من تسمى ب (إسرائيل)،

١- ١ د. أحمد سوسه، العرب واليهود فى التاريخ: ٢٢.

٢- ٢ عباس محمود العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء: ٢٨٩- ٢٩٠.



ص: ٢٢٥

ويعقوب حفيد إبراهيم. ولا- يقال: عن إبراهيم: إنه يهودى؛ لأنّ اليهودى ينسب إلى (يهوذا) رابع أبناء يعقوب. ولا يقال: إنه عبرى إذا كان المقصود بالعبرية لغة مميزة بين اللغات السامية، تتفاهم بها طائفة من الساميين دون سائر الطوائف، فإنّ إبراهيم كان يتكلم بلغة يفهمها جميع السكان فى بقاع النهرين وكنعان، ولم تكن العبرية قد انفصلت عن سائر اللغات السامية فى تلك الأيام. وقد يقال عنه:

إنّه سامى ينتمى إلى سام بن نوح، ولكنّها نسبة إلى جدّ وليست نسبة إلى قوم (١).

لذا إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً قطّ ولا نصرانياً كما يدعى المدعون، وما زعم «بنى إسرائيل» بأنه يهودى، وأنهم على دينه يخالفون النصارى الذين زعموا ذات الزعم، فنزلت فيهم كلمة الله الفصل ببطلان قولهم أجمعين، حيث إن التوراة نزلت من بعده بنحو سبعمائة عام، والإنجيل من بعده بنحو تسعمائة وخمسين عاماً. وعليه فما كان لليهودية أو المسيحية وجود فى عهده عليه السلام، ففيم هذه المحاجاة فى شأن إبراهيم، وهو الذى مال عن الأديان والعقائد الوثنية كافة الى الدين القيم مسلماً موحداً غير مشرك بالله، قال تعالى: «يا أهل الكتاب لمّ تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلّا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلمّ تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين» (٢).

ثم تستطرد الآيات الكريمة القول بأن أحقّ الناس بإبراهيم عليه السلام أولئك الذين اهتموا برسالته، وأتبعوا نور دعوته فى زمانه، وهذا النبى محمد صلى الله عليه وآله: النبى الأُمى لموافقته له فى أكثر شرعه والذين آمنوا من أمته، هم الذين ينبغى أن يقولوا نحن على دينه لا أنتم. والله ناصر المؤمنين وحافظهم: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله وليّ المؤمنين» (٣).

١-١ المصدر نفسه.

٢-٢ آل عمران: ٦٥-٦٧.

٣-٣ آل عمران: ٦٨.

ص: ٢٢٦

فإبراهيم عليه السلام بعث في بيئته كانت لهاصله وثيقة بنوح عليه السلام، حيث إن المنطقه التي بعث فيها هي منطقه نوح عليه السلام. أما هجرته عليه السلام فكانت لأسباب وأهداف سامية، حيث واجه الظروف نفسها التي واجهها الرسول صلى الله عليه وآله عند هجرته من مكة المكرمة.

وقد هاجر عليه السلام من العراق الى الشام، وعندما يمرّ به الناس وهو في الطريق الى اليمن والشام يدعوهم إلى الإسلام (١). وتؤكد التوراة بكلّ وضوح أن إبراهيم الخليل عليه السلام هاجر من العراق بمفرده، ولم يكن لليهود وجود في العراق في عصره، ذلك أنّ دعوة الربّ لإبراهيم الخليل عليه السلام كانت موجهة إليه بمفرده، وهي أن يهجر أرض العراق، فذهب ومعه ساراي زوجته ولوط ابن أخيه: (٢)

١- قيوّم يهقا إل أقرام ليخ ليخا مي أرسنحا  
أو ممولدتنحا أو مبيت أقيخا إل ها آرص  
أشير أريخا

٢- قى إيعشخا لگوى گدول قأرقارفا قأكدلا  
شميخا قى هيه براخا

٣- قأقارخا مپارخيخا أو مقللخا آآور  
قى نقرخوا قخا كل مشبحوت ها آداما

١-١ العلامة المجلسي، بحار الأنوار ١٢: ٢٤٥-٢٤٦.

٢-٢ سفر التكوين: ١٢: ١-٥ الأصل العبري: ص ١٦.

ص: ٢٢٧

٤- قِيلِخ أَقْرَام كَأَشِير دَپِير إِيْلَاق يَهْقَا

قِيلِخ إِتُو لُوَط قِي أَقْرَام بِن حَامِيش شَانِيم

قِي شَقْعِيم شَانَا بَصِيْتُو مِيْحَارَان

٥- قَايَقَح أَقْرَام إِت سَارَاي أَشْتُو

قِي إِت لُوَط بِن أَحِيْف

ويعنى هذا النص:

١- وقال الرب لإبراهيم: إذهب من أرضك ومن عشيرتك إلى الأرض التي سأريك. ٢- فاجعلك أمية عظيمة وأباركك، وأعظم اسمك. ٣- وأبارك مباركك، والعن لاعنيك، وتبارك فيك جميع قبائل الأرض. ٤ و ٥- فذهب إبراهيم كما قال له الرب، فأخذ معه ساراي زوجه ولوطاً ابن أخيه.

وكان عمره خمسة وسبعين عاماً لما خرج.

ولم يكتف اليهود بأن عدّوا العراق وطنهم الأصلي، بل ربطوا تاريخهم القديم بجزيرة العرب، بدعوة أن اليهود هاجروا من فلسطين إلى جزيرة العرب، بعد تشريدهم على يد الرومان في القرن الأول للميلاد.

وعلى هذا الأساس عدّوا شبه جزيرة العرب أرضاً يهودية طوال التاريخ، وغور الأردن هو الذى يفصل أرض إسرائيل الشرقية عن الغربية.

هذا ما يلقنونه لطلاب الجيل الجديد من عرب ويهود في كتبهم المدرسية في إسرائيل (١).

١-١ بابوريش، إسرائيل معالم البلاد وجغرافيتها للصف الثامن: ١٢٧- و عزرا حداد وإلياس دانيال، التاريخ للصف الخامس: ٢٠٠.

ص: ٢٢٨

الهوامش:

**اسماء المدينة المنورة ونحوها**

ص: ٢٢٩

أسماء المدينة المنورة ونعوتها

أحمد زمانى

المدينة، وما أدراك ما المدينة؟! منار الإسلام، وراية الإيمان ... مأوى الرسول الكريم، ومثواه ومسراه إلى الرفيق الأعلى، مختلف الملائكة ومهوى أفئدة العارفين والمسلمين، ومنشأ زعامه الصالحين فى مشارق الأرض ومغاربها.

فيها يرقد الرسول صلى الله عليه وآله، وابنته الزهراء البتول عليها السلام، وأبناؤه الأئمة الطاهرون؛ أبو محمد الحسن بن عليّ المجتبى، وأبو الحسن عليّ بن الحسين السّيد جاد زين العابدين، وأبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر، وأبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليهم السلام إلى جانب كوكبة من أجلة الصحابة والتابعين وأعيان المدينة.

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لهذا البلد الأمين وأهله فقال: «اللهم بارك لنا فى مدينتنا، اللهم بارك لنا فىصاعنا ... ثم قال: والذي نفسى بيده! ما من المدينة

ص: ٢٣٠

شعب ولا نَقَب إلَّا عليه ملكان يحرسانه» (١).

وللمدينة أسماء عديدة ومتنوعة، وهذه الأسماء المتظاهرة تدل على عظمة المدينة وشوكتها لأنها موضوع لفاهيم عميقة، ومبتنية على ما ورد حول المدينة من الآيات والأحاديث، وسنذكر بعضها ضمن العناوين التالية:

على أننا نكتفي هنا بذكر تسعين اسماً من أسماء المدينة، المنورة (٢) ونرتبها حسب تسلسل حروف المعجم.

١- أثرب:

فهى لغة فى «يثرب» حيث تنوب الهمزة عن الياء، وقد ذكر الشعراء ذلك كثيراً (٣)، وسيأتى تفصيلها فى «يثرب».

٢- أرض الله:

ذكر بعض المفسرين من العامة مثل الثعلبى، ومقاتل ومجاهد فى تفسير الآية الكريمة «... ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها...»

(٤)

أن المراد من «أرض الله» المدينة (٥).

وقال آخرون من الشيعة والسنة: إن «أرض الله» مطلق البلاد، سواء كانت المدينة أو غيرها التى تقدر فى فيها على إقامة أمور الدين

(٦)، وجاء فى الميزان: وهذا يناسب سعة الأرض، ولولا فرض السعة لكان يقال: فتهاجروا منها (٧).

٣- أرض الهجرة:

هى بلدة، هاجر النبى صلى الله عليه وآله وأصحابه من مكة المكرمة إليها، وسُمى هؤلاء

١- ١ صحيح البخارى، ٣: ٦٠ باب المدينة تنفى الخبيث-صحيح مسلم، ٢: ٢ و ١٠٠١، كتاب الحج، باب الترغيب فى سكنى المدينة- وسائل الشيعة، ١٠: ٢٧٣، باب استحباب الإقامة بالمدينة.

٢- ٢ تسمية الأشياء مجازاً تحتاج إلى علاقات مناسبة كما ذكر فى علم البيان والعلاقات كثيرة منها: تسمية الشيء باسم جزئه أو سببه أو محلّه و... وأكثر أسماء المدينة أسماء مجازية. شرح المختصر، تفتازانى: ١٥٦.

٣- ٣ لسان العرب، ابن منظور، ١: ٢٣٤.

٤- ٤ النساء: ٩٧.

٥- ٥ وفاء الوفاء، السهمودى، ١: ١٠.

٦- ٦ أبى مسعود، محمد بن محمد العمادى، ٢: ٢٢٣- التفسير الكبير، الفخر الرازى، ١١: ١٢.

٧- ٧ الميزان، العلامة الطباطبائى، ٥: ٥٠.

ص: ٢٣١

ب (المهاجرين) والذين احتضنواهم ب (الأنصار). هذا مضافاً إلى أن هذا الاسم ورد في الحديث النبوي كما نقله الطبراني في الأوسط حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومَنبأ الحلال والحرام» (١). وأيضاً سميت المدينة ب «دار الهجرة».

٤، ٥- أكلة القرى. وأيضاً يعبر عنها ب «أكلة البلدان»:

وجاء في حديث عن مالك بن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمرت بقرية تأكل القرى» (٢) أى: أمرت بالهجرة إليها واستيطانها.

وقد ذكر أهل الحديث وجهين لهذه الرواية:

١- كانت المدينة مركزاً لجيوش الإسلام، وقد نصر الله دينه بأهلها، فمنها فتحت القرى، وغنمت أموالها وسباياها وأسراها.

٢- كان أكل المدينة وقوتها من القرى المفتحة، وهذه القرى تُماير الطعام وتسوق إليها غنائمها (٣).

فقد غلبت المدينة وأهلها على البلاد والقرى المجاورة والبعيدة، بواسطة الإسلام ونصرة الله - عز وجل - فسميت أكلة البلدان أو أكلة القرى.

٦- الإيمان:

جاء في تفسير البيضاوي ذيل الآية الكريمة «والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم ...» (٤)

سَمِيَ اللهُ «المدينة» بالإيمان؛ لأنَّ المدينة وأهلها كانوا مظهر الإيمان ومصيره (٥).

ونقل ابن شُبَّه حديثاً عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، قال: سَمِيَ اللهُ المدينة: الدَّارَ وَالْإِيمَانَ (٦).

١- ١ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣: ٢٩٨.

٢- ٢ صحيح البخاري، ٣: ٥٤، باب فضل المدينة، رقم الحديث ١٣٠.

٣- ٣ صحيح مسلم، ٢: ١٠٠٦، باب المدينة تنفى شرارها- لسان العرب، ١١: ٢٣، مادة: أكل.

٤- ٤ الحشر: ٩.

٥- ٥ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، ٢: ٤٨١.

٦- ٦ تاريخ المدينة المنورة، ابن شُبَّه، ١: ١٦٢.

ص: ٢٣٢

٧، ٨- الباردة، البرة:

هاتان الكلمتان مترادفتان، ويقصد بهما زيادة الخير والبركة التي تتناول المدينة وأهلها خصوصاً، ومنها تنتشر إلى سائر البلاد عموماً، وأنها منبع الفيض والبركات.

قال السهودي: يقال للمدينة: البرة، إذ هي منبع الأسرار، وإشراق الأنوار، وبها العيشة الهنيئة، والبركات النبوية (١).

٩، ١٠، ١١، ١٢- البحر، البحرة، البحيرة، البحيرة:

تطلق هذه اللغات الأربع على المدينة المنورة. نقل الزركشى (٢) ثلاث منها، والرابعة تصغير لما قبلها، وقال ياقوت الحموي: الاستبحار والبحر: السعة لأنها بمتسع من الأرض. ولما قال سعد بن عبادة،- حينما دخل النبي صلى الله عليه وآله بيته لعيادته في مرضه، وأنهلصلى

الله عليه وآله شكاً مما سمع عن عبد الله بن أبي بن سلول: ولقد اصطَلَحَ أهل هذه البحيرة أن يتوجوه فيعصبوه بالعصاة (٣).

البحيرة: مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وهو تصغير البحرة (٤). وهكذا يقال: هذه بحرتنا أى أرضنا. وقال القاضي أبو علي:

البحيرة (بفتح الباء) مكبرة وهي مدينة النبي صلى الله عليه وآله وآله (٥).

١٣- البلاط:

هو كل أرض فرشت بالحجارة والآجر، أو الحجارة المفروشة في الدار أو غيرها. والبلاطة الحمر: هي حجر يسمى حجر السماق، ولد عليها علي بن أبي طالب عليه السلام في بيت الله الحرام، وقد كانت في وسط الكعبة ثم غيرت في ضلع البيت عند الباب (٦). فقال

الحاكم النيشابوري حول وليد الكعبة علي عليه السلام: فقد

١- ١ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، السهودي، ١: ١١.

٢- ٢ أعلام الساجد بأحكام المساجد، الزركشى: ٢٥٣.

٣- ٣ صحيح مسلم، ٣: كتاب الجهاد، رقم الحديث ١٧٩٨.

٤- ٤ لسان العرب، ٤: ٤٤، مادة: بحر.

٥- ٥ صحيح مسلم، ٣: ١٤٢٣، ح ١٧٩٨، حكاة القاضي أبو علي عن جماهير رواة مسلم.

٦- ٦ مجمع البحرين، الطريحي، ٤: ٢٤٠، مادة: بلط.



ص: ٢٣٣

تواترت الأخبار، أنَّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - في جوف الكعبة (١). وأنشد صاحب وسائل الشيعة الشيخ الحر العاملي رحمه الله أرجوزة قيمة طويلة ونحن نكتفي برباعية منها: مَوْلِدُهُ بِمَكَّةٍ قَدْ عُرِفَا فِي دَاخِلِ الْكَعْبَةِ زَيْدَتْ شَرَفًا عَلَي رُخَامِهِ هُنَاكَ حَمْرًا مَعْرُوفَةً زَادَتْ بِذَاكَ قَدْرًا (٢) ويطلق على المدينة «البلاط» لكثرة الأحجار فيها أو لاشتغال المدينة على موضع معروف - وكان سوقًا - يصلى فيه على الجنائز على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله و آله (٣) يُسَمَّى «البطحاء». وقال الفيروز آبادي: هو موضع بين مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسوق المدينة (٤).

١- ١ المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیشابوری، ٣: ٤٨٣.

٢- ٢ علی ولید الکعبة، محمد علی الأردوبادی: ٥٥.

٣- ٣ قاموس المحيط، الفيروز آبادي، ٢: مادة: بَلَطَ - لسان العرب، ٧: ٢٦٤.

٤- ٤ مجمع البحرين، الطريحي ٤: ٢٤٠ مادة بَلَطَ.

ص: ٢٣٤

فإطلاق «البلاط» على المدينة إما مجازاً من تسمية الشيء باسم جزئه، أو من حيث إن «المدينة» أرض أكثرها من الأحجار.  
١٤- البلد:

هو المدينة كما ذكره القرطبي في تفسير الآية الشريفة: «لا أقسم بهذا البلد وأنت حلٌّ بهذا البلد» (١).  
ونقل قول الواسطي لتبيين الآية بهذه العبارة.

قال الواسطي: أي: نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حياً، وبركتك ميتاً، يعنى المدينة (٢).  
ورجّح القاضي - عياض بن موسى اليحصبي السبتي - هذا القول، وإن اتفق أكثر المفتيرين على أن البلد في الآية المذكورة: مكة المكرمة (٣).

١٥- بلد رسول الله:

هذه الكلمة من أسماء المدينة كما رواه البراز - العالم الحنفي - عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الشياطين قد يئس أن تعبد ببلدي هذا - يعنى المدينة - وبجزيرة العرب، ولكن التحريش (٤) بينهم» (٥).  
البلد في هذا الحديث النبوي ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فإطلاق على المدينة؛ لأنها بلد رسول الله صلى الله عليه وآله ...  
١٦- يئس رسول الله:

عُبر عن المدينة المنورة بالبيت في الآية الكريمة حيث قال: «عز من قائل»:

١- ١ البلد: ١ و ٢.

٢- ٢ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٠: ٤٠.

٣- ٣ مجمع البيان، الطبرسي، ١٠: ٤٩٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي، ٣١: ١٧٩- التبيان، الشيخ الطوسي، ١٠: ٣٥٠.

٤- ٤ التحريش هو النفاق.

٥- ٥ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣: ٢٩٩.

ص: ٢٣٥

«كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون» (١).

هذه الآية نزلت في غزوة بدر، حينما كره الناس أن يخرجوا من المدينة لمحاربة المشركين، فأمر الله نبيه بالخروج من المدينة مع أنه صعب وكره للمؤمنين (٢).

وفي هذه الآية كلمة «بيت» أُضيفت إلى ضمير الخطاب «ك»، فالآية نسبت البيت - المدينة - لإصحابه رسول الله صلى الله عليه وآله فيصير معناها: بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

١٧- التين:

هو فاكهة معروفة يؤكل رطباً ويابساً (٣)، والتين هو اسم للسورة الخامسة والتسعين من السور القرآنية، قال الله عز وجل: «والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين» (٤).

وقال أبو الحسن الأول في تفسير الآيات: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله - تبارك وتعالى - اختار من كل شيء أربعة إلى أن قال: واختار من البلدان أربعة فقال تعالى: «والتين والزيتون...» فالتين: المدينة، والزيتون: بيت المقدس، وطور سينين: الكوفة، وهذا البلد: مكة» (٥).

١٨، ١٩، ٢٠، ٢١- جبار، الجابرة، الجبارة، المَجْبُورَة:

هذه اللغات الأربع تطلق على المدينة، أما الأولى: فهي على وزن جذام كما نقلها ابن شبة حيث ذكر رواية نبوية (٦) وسندكرها قريباً. وأما اللغات الثلاث الأخيرة: فهي مروية عن التوراة حسب ما ذكرها السهمودي وابن شبة (٧).

وهذه الأسماء الأربعة تشترك معني حيث إن المدينة تجبر الكسير، وتغنى الفقير، وتجبر البلاد على الإسلام، أو لأن الإنسان حينما يطالع ويدرس بركاتهما

١- ١ الانفال: ٥.

٢- ٢ مجمع البيان، ٤: ٥٢٠.

٣- ٣ جاء في الحديث: روى أبو ذر رحمه الله عن النبي صلى الله عليه وآله قال في التين: «لو قلت: إن فاكهة نزلت من الجنة، لقلت هذه هي؛ لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تنفع من النقرس» نور الثقلين، ٥: ٦٠٧- مجمع البيان، الطبرسي، ١٠: ٥١٠.

٤- ٤ التين: ١- ٣.

٥- ٥ وسائل الشيعة، ١٠: ٢٨٣ ح ٤- الخصال، الشيخ الصدوق: ٢١٢- نور الثقلين، ٥: ٦٠٦.

٦- ٦ تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة، ١: ١٦٢.

٧- ٧ وفاء الوفا، السهمودي، ١: ١٣- تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة، ١: ١٦٣.

ص: ٢٣٦

يذعن قهراً.

٢٢، ٢٣- جَزِيرَةُ الْعَرَبِ، جَزِيرَةُ الْعَرَبِ:

قال بعض العلماء في الحديث النبوي: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» المقصود بها هي المدينة (١) ويؤيد هذا القول ما ذكر في حديث العباس:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ التَّفَتَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ بَرَّأَ هَذِهِ الْجَزِيرَةَ مِنَ الشَّرْكِ» (٢).  
٢٤- الْجُنَّة:

وهي وسيلة الوقاية والمحافظة على الشيء، وهذا الاسم مأخوذ عن قول الرسول صلى الله عليه وآله في غزوة أحد حيث قال صلى الله عليه وآله: «أنا في جُنَّةِ حَصِينَةٍ» وأراد صلى الله عليه وآله بها «المدينة» (٣). ورواه أحمد بن حنبل مع اختلاف يسير عن جابر بن عبد الله الأنصاري كما يلي، قال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «رَأَيْتُ أَنِّي فِي دَرَعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقْرًا تُنْحَرُ، فَأَوْلْتُ أَنَّ الدَّرَعَ الْحَصِينَةَ: الْمَدِينَةَ، وَأَنَّ الْبَقْرَ، بَقْرٌ، وَاللَّهُ خَيْرٌ» (٤).

قال الشاعر:

هِيَ جُنَّتِي مِمَّا أَخَافُ وَجُنَّتِي وَبِجَاهِ مِنْ فِيهَا تُخَلِّصُ مُهَجَّتِي (٥) ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨- الْحَيِّبَةُ، الْمُحَبَّبَةُ، الْمُحَبَّبَةُ: (٦) هذه الهيئات الأربع من مادة واحدة هي: حَبَبٌ. وقد جرت على لسان الناس وأطلقت على المدينة وهي مأخوذة عن الرواية النبوية وهي: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كما حَبِّبْتَ إلينا مَكَّةَ أو أَشَدَّ» (٧)، وفي كتب الحديث روايات كثيرة تتضمن حَبَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، ودعائه للمدينة ولأهلها.

١- ١ سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب، ح ٣٠٢٩.

٢- ٢ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣: ٢٩٩.

٣- ٣ وفاء الوفاء، السهودي: ١٣.

٤- ٤ مسند أحمد بن حنبل، ٣: ٣٥١.

٥- ٥ فضائل المدينة المنورة، الصالحي الشامي: ١٣٩.

٦- ٦ عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسي: ٦٥.

٧- ٧ وسائل الشيعة، ١٠: ٢٣٧ ح ٥- صحيح مسلم، ٢: ح ١٣٧٦- صحيح البخاري، ٣: ٦١ ح ١٤٨.

ص: ٢٣٧

قال الشاعر:

دَارُ الْحَبِيبِ لَنَا فَلَذُ بَرِحِيبِهَا فَالْتَفُسُ مُوَلَعُهُ بِدَارِ حَبِيبِهَا

اللَّهُ شَرَفَهَا بِهِ لِنَصِيبِهَا وَاخْتَصَّهَا بِالطَّيِّبِينَ لِطِيبِهَا وَاخْتَارَهَا وَدَعَا إِلَى سُكْنَاهَا (١) ٢٩، ٣٠- الحَرَم، الْمُحَرَّمَةُ:

وهما يطلقان على مكان مخصوص ينبغي بل يجب احترامه، وتقديسه وصيانته، ويحرم انتهاكه وهدمه، والمدينة هي من أبرز مصاديق الحرم. فقد روى امير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...» (٢).

وروى جميل بن دراج عن الصادق عليه السلام نفس الرواية المتقدمة مع زيادة:

سُئِلَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا الْحَدِيثُ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْقَتْلُ (٣).

وبهذه القرينة نستطيع أن نقول: المحدث هو القاتل، وأيضاً ورد في حديث آخر: المدينة حرم كما حكى سهل بن حنيف وقال: أهوى رسول الله صلى الله عليه وآله بيده إلى المدينة فقال: «إنها حرم آمن» (٤).

ويطلق على المدينة المحرمة كما ذكرناه آنفاً.

٣١- حَرَمُ رَسُولِ اللَّهِ:

إنه اسم آخر للمدينة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله نسب «الحرم» إلى نفسه فقال صلى الله عليه وآله: «إن مكة حرم الله، حرمها إبراهيم عليه السلام وإن المدينة حرمي ما بين لابتئها حرم» (٥).

ومضافاً إلى هذه الرواية النبوية فقد وصفها أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «مكة»

١- فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى: ١٤٠.

٢- صحيح مسلم، ٢: باب فضل المدينة، ح ١٣٧١- وسائل الشيعة، ١٠: باب وجوب احترام مكة والمدينة...، ح ١٩٣٩٠- الفروع من الكافي، ٤: ٥٦٥، ح ٦.

٣- نفس المصادر الماضية.

٤- صحيح مسلم، ٢: باب فضل المدينة، ح ١٣٧٥.

٥- الفروع من الكافي، ٤: ٥٦٤، باب تحريم المدينة، ح ٥.

ص: ٢٣٨

حَرَمُ اللَّهِ، والمدينة حَرَمُ رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله والكوفة حرمى، لا يريد بها جَبَّارٌ بحادثته إلاً قصمه الله» (١).  
٣٢- حَسَنَةٌ:

وهى اسم للمدينة لقوله- تعالى: «والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لَنُبَوِّئَنَّهُم فى الدنيا حَسَنَةً...» (٢)

. روى الطبرسى عن ابن عباس رحمه الله أى بَلَدَةٌ حَسَنَةٌ بدل أوطانهم وهى المدينة (٣).

وأيضاً روى الفخر الرازى (٤) عن الحسن والشعبى وقناة ما ذكره الطبرى، ونقل القرطبى عن الجميع نفس ما قدّمناه (٥).  
٣٣، ٣٤- الحَيْرَةُ، الحَيْرَةُ:

المدينة ذات خيرات كثيرة وهى مقبولة لدى الناس عامّةً، وثبه النبي صلى الله عليه وآله الناس عليها حينما قال صلى الله عليه وآله: «المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون» (٦). ومن ثمّ سمّيت المدينة بهما- الحَيْرَةُ، الحَيْرَةُ-

٣٥- دَارُ الْأَبْرَارِ:

بعدما هاجر النبي صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة واستقرّ فيها، اجتمع المهاجرون والأنصار وازدادوا يوماً بعد يوم خصوصاً فى السنة السابعة من الهجرة- حينما فتحت قلاع خيبر- فخرجت المدينة من جاهليّتها السابقة وأصبحت دار الأبرار (٧).

٣٦، ٣٧- دَارُ الْمُخْتَارِ، الْمُخْتَارَةُ:

المدينة هى الموطن الثانى لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله حيث اختارها وأقام صلى الله عليه وآله فيها

١- ١ الفروع من الكافى، ٤: ٥٦٣، باب تحريم المدينة، ح ١.

٢- ٢ التّحليل: ٤١.

٣- ٣ مجمع البيان، ٦: ٣٦١.

٤- ٤ التفسير الكبير، ٢٠: ٣٤.

٥- ٥ الجامع لأحكام القرآن، ١٠: ٧١.

٦- ٦ صحيح مسلم، ٢: ١٠٠٨، ح ١٣٨٨.

٧- ٧ الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ٢: السنة السابعة.

ص: ٢٣٩

العقد الأخير من عمره الشريف، وانتقل منها إلى الرفيق الأعلى. فالمدينة مختارة لمن اختاره الله من خلقه في حياته ومماته (١).

٣٨- دار الإيمان:

وضحنا في الرقم السادس على إطلاق لفظه «الإيمان» على المدينة ولكن هذا الاسم ورد في الأحاديث مع الهيئة التركيبية مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله:

«المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان...» (٢).

٣٩- دار السنة:

هي المكان الذي تجلت فيه الشريعة الإسلامية، والسنة المحمدية الغراء وكملتا، وعمل بها رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون الأوائل (٣).

٤٠- دار السلامة:

المدينة هي مأمن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله حيث أنعم الله بالسلامة والسكينة عليه خصوصاً، وعلى المؤمنين عموماً، وهذا معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا في جنة حصينة» (٤) أو «رأيت أني في درع حصينة...».

٤١- ذات الحجرة:

حجر وحجرات جمع للحجرة من البيوت، وهي كالغرفة تجمع على غرف وغرفات والمدينة تشتمل عليها (٥).

٤٢- ذات الحرار:

١- ١ وفاء الوفاء، السمهودي، ١: ٢٢.

٢- ٢ مجمع الزوائد، الهيثمي، ٣: ٢٩٨، المصدر نفسه في الرقم ٣.

٣- ٣ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحميد العباسي، ٦٩.

٤- ٤ مسند أحمد بن حنبل، ٣: ٣٥١، ذكرت الحديث في الرقم ٢٦.

٥- ٥ وفاء الوفاء، السمهودي، ١: ١٥.

ص: ٢٤٠

الحرار جمع حرّة وهي حجارة سودّ. والمدينة تحتوى على كثير منها (١).

٤٣- ذات النخل:

لاشتمال المدينة على نخيل كثيرة كما نشاهدها، ومن ثم جرى هذا الاسم على لسان «ابن التوأم الحميري» و «عمران بن عامر» بدلاً عن المدينة. وأيضاً عبر عن المدينة بذات النخل في الرواية النبوية «أريت دار هجرتي ذات نخل وحرّة» (٢).

٤٤- السليقة:

نقله أبو عبد الله محمد بن أمين المشتهر ب «الأقشيري» عن التوراة، وسميت المدينة بها لاتساعها وتباعد جبالها (٣).

٤٥- سيده البلدان:

المدينة هي أفضل بقاع الأرض بعد مكة المكرمة؛ لأنها مدفن سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله. وكتب أبو نعيم الأصبهاني في كتاب «حلية الأولياء» أن عبد الله بن عمر لما أراد أن يدخل المدينة، وقف أمامها فنادى: «يا طيبه يا سيده البلدان» (٤).

٤٦- الشافية:

سميت بهذا الاسم لقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «ترايبها شفاء من كل داء» (٥)، وذكر ابن مسدي (٦): يستشفى المحموم حينما تعلق أسماء المدينة على عاتقه.

وروى ابن الأثير عن سعد... لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة تبوك، واجه صلى الله عليه وآله رجالاً من المتخلفين المسلمين، فأثاروا غباراً، فخرم بعض من كان

١- المصدر نفسه.

٢- الإصباة في تمييز الصحابة، ١: ٤٦٤.

٣- وفاء الوفاء، السهمودي، ١: ١٦.

٤- المصدر نفسه.

٥- الوفاء، ابن جوزي، ١: ٣٩٩.

٦- هو الحافظ أبو بكر محمد بن يوسف الأزدي الغرناطي الأندلسي المهلبى، قال ابن ناصر الدين: كان ذا رحلة واسعة ودراية وهو عالم وحافظ للقرآن، جاور بمكة أواخر عمره، وشاع أنه على مذهب أهل البيت عليهم السلام فقتل غيلة سنة ٦٦٣ هـ. شذرات الذهب،

٥: ٣١٣.



ص: ٢٤١

مع النبي صلى الله عليه وآله، فأزال رسول الله صلى الله عليه وآله اللثام عن وجهه وقال: «والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاءً من كلِّ داء» (١).

٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١- طابئة، طيبة، طيبة، طائب، مُطَيَّبَةٌ:

الأسماء الخمسة من مادة واحدة وتختلف صيغها ومصادرهما؛ لأنَّ ابن شُبَّه حينما ذكر- الأولى والثانية- اعتمد على الحديث النبوي (٢). وأما الثلاثة الأخيرة فهي مروية عن التوراة، كما نقلها وهب بن مُثَبَّة (٣).

قال السهمودي: هذه الأسماء الخمسة مبتنية وموافقة لقول الله- عزوجل- وهو: «حتَّى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة» (٤). فكانت الريح الطيبة جزاءً لمناجاتهم بعد خوفهم في الفلك وهذه الريح الطيبة هي فرحة تامة ومسرة قوية (٥)، فتسمية المدينة بهذه الأسماء الخمسة؛ لطيب تربتها- لمن دخل فيها، وطهارتها من الكفر والأرجاس (٦).

٥٢، ٥٣- طبابا، طبابا:

قال ياقوت الحموي: طبابا من أسماء المدينة حيث يطلق على الأرض المستطيلة، وأيضاً على الطريق والثوب وغيره، فإنَّ المدينة سميت بذلك لأنها كذلك (٧).

فإن كانت بالطاء المعجمة: فمن ظبَّ وظبظب: إذا حمَّ حيث كانت المدينة محمولة إذا دخلها أحد ابتلى بالحمى فنقل الله- سبحانه- حمَّها إلى مُهَيَّعَةً بدعائه صلى الله عليه وآله (٨).

٥٤- العاصمة:

١- ١ جامع الأصول، ابن الأثير، ٩: ٣٣٤.

٢- ٢ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: للمدينة عشرة أسماء هي: المدينة، طيبة، طابئة،...» وسيأتي الحديث مفصلاً.

٣- ٣ فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى: ٥٢.

٤- ٤ يونس: ٢٢.

٥- ٥ تفسير أبي السعود، محمد بن محمد العمادى، ٧: يونس، الآية ٢٢.

٦- ٦ معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادى، ٥: ٢٤٣.

٧- ٧ لسان العرب، ١: ٥٥٥- عمدة الأخبار: ٧٣- معجم البلدان، ياقوت الحموى، ٥: ٨٣؛ طول المدينة ١٢ ٦٠ درجة، وعرضها ٢٠ درجة.

٨- ٨ وسائل الشيعة، ١٠: ٢٧٣ ح ٥.

ص: ٢٤٢

سميت بذلك لأن المدينة عصمت المهاجرين من كيد المشركين. وهي حصن الإسلام والمسلمين. وكان المسلمون يعتصمون بها، وقيل: معنى العاصمة المعصومة، لعصمتها قديماً بجيوش موسى وداود عليهما السلام حيث إنهم مبعوثون إلى من كان فيها من الجبابرة (١)، أو لعدم دخول الطاعون والدجال فيها، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله» (٢).

٥٥- العذراء:

والدليل على تسميتها بالعذراء لصعوبتها وامتناعها على الأعداء حتى تسلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وهو المالك، وهي منقولة عن التوراة على ما رواه إبراهيم بن أبي يحيى: إن هذا الاسم مع أسماء آخر مذكورة في الكتب السماوية (٣).

٥٦- العراء:

سميت بهذا الاسم لعدم ارتفاع أبنية المدينة في السماء، حيث إن المسلمين حاولوا أن لا ترتفع أبنيتهم على بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ومسجده، ومن ثم تشبه المدينة بالناقة العراء التي لا سنام لها أو لصغر سنامها (٤).

وقال الأزهرى: العرى سادات الناس الذين يعتصم بهم الضعفاء، ويعيشون بعرفهم، ومن حيث إن المدينة صارت محتماً للمستضعفين بعد مهاجرة النبي صلى الله عليه وآله لكي يصبحوا سعداء، فسميت بالعري (٥).

٥٧- العروض:

وهو كصية بور يطلق على أرض منخفضة، تكون فيها أودية السيول والمدينة كذلك؛ ولذا تسمى بالعروض لأنها من بلاد نجد، ونجد كلها على خط

١-١ وفاء الوفاء، السهمودي، ١: ١٧.

٢-٢ صحيح البخارى، ٣: ٥٧؛ باب: لا يدخل الدجال المدينة-صحيح مسلم، ٢: ١٠٠٨.

٣-٣ عمدة الأخبار فى مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسى: ٧٣.

٤-٤ فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى: ٥٣.

٥-٥ لسان العرب، ١٥: ٤٦.

ص: ٢٤٣

مستقيم طولاً، والمدينة معترضه عنها ناحية، وقال ابن سيده: والعروض مكه والمدينة (١).

٥٨- العراء:

هي تأنيث الأعر أي العرة وهي البياض في الجبين، أو بمعنى الرجل الكريم والوسيم، أو يوم شديد الحر، والعراء: هي نبت طيب الريح، والسيدة الكبيرة (٢).

والمدينة ساد البلاد؛ لأن فيها الكرامة والفضيلة والبركة و.. وهي صفات مرموقة تسبب تفوقها على سائر البلاد.

٥٩- غلبه:

كانت المدينة تدعى في الجاهلية «غلبه» لأن إلهود نزلت على العمالقة فغلبتهم عليها، ثم نزلت الأوس والخزرج على إلهود فغلبوهم عليها. وبعد ظهور الإسلام نزل المهاجرون على الأوس والخزرج فغلبوهم عليها (٣).

وقيل: سميت المدينة بالغلبه لظهورها واستيلائها على الأقطار من المدائن والأمصار (٤).

٦٠- الفاضحة:

نقل عن كراع: لا يمكن لأحد أن يعيش في المدينة، ويكتم عقائده الفاسدة، بل يفتضح ويبان ما في ضميره. وهذا هو أحد المعاني للحديث النبوي الشريف حيث قال صلى الله عليه وآله: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها» (٥).

٦١- القاصمة:

١- ١ لسان العرب، ٧: ١٧٣- عمدة الأخبار في مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسي: ٧٥.

٢- ٢ المنجد، ١: مادة: غرر وغيره من اللغات- عمدة الأخبار: ٧٥.

٣- ٣ عمدة الأخبار: ٧٥.

٤- ٤ عمدة الأخبار: ٧٥، منقول عن الزبير بن بكار.

٥- ٥ كتاب الجامع، الموطأ، ٢: ٨٨٢- صحيح مسلم، ٢: كتاب الحج، ح ١٣٨٣.

ص: ٢٤٤

هى منقولة عن التوراء، حيث إن المدينة قصمت كل جبار عنها، وامتد دخل عليها، وهذا المضمون مذكور فى الحديث النبوى: «من أراد أهل المدينة بسوء، أذابه الله كما يذوب الملح فى الماء» (١).

٦٢- قُبَّةُ الإسلام:

هذا الاسم مأخوذ عن الرواية التى نقلها الهيثمى وهى: «المدينة قُبَّةُ الإسلام، ودار الإيمان...» ذكرناها فى الرقم (٢) (٣).

٦٣، ٦٤- القريَّة، قَرْيَةُ الأنصار:

قَرْيَةُ- بفتح القاف وكسرها- تطلق على مدينة تتناول حوائج سكانها، وأهل اللغة يعبرون عنها ب «المصر الجامع» (٤).

والقريَّة تطلق على المدن الصغيرة والكبيرة كما قال الله- عزَّ وجلَّ:

«وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (٥).

قال الطبرسى رحمه الله: يعنون بالقريتين: مدينتى مكَّة والطائف (٦). وإنَّ القريَّة استخدمت فى القرآن الكريم ثلاث وثلاثين مرَّة، وعنت فيها المدن والأمصار.

غير أن هذا الاسم جرى على لسان رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وقال: «إنَّ الله قد طَهَّرَ هذه القريَّة من الشرك»، وأشار صلى الله عليه وآله إلى المدينة (٧).

وقال أهل اللغة أيضاً: المدينة هى قريَّة الأنصار.

٦٥- قَلْبُ الإيمان:

لما أورده ابن الجوزى فى الحديث النبوى: «المدينة قُبَّةُ الإسلام، قلب الإيمان و...» (٨) وهذه هى الرواية التى نقلها الهيثمى، إلَّا أنه زاد فيها: «قَلْبُ»

١- ١ صحيح مسلم، ٢: ١٠٠٨، ح ١٣٨٧.

٢- ٣ المنجد، أقرب الموارد، وغيرهما من كتب اللغة، مادة: قري.

٣- ٢ مجمع الزوائد، الهيثمى، ٣: ٢٩٨.

٤- ٣ المنجد، أقرب الموارد، وغيرهما من كتب اللغة، مادة: قري.

٥- ٤ الزخرف: ٣١.

٦- ٥ مجمع البيان، الطبرسى، ٩: ٤٦.

٧- ٦ مجمع الزوائد، الهيثمى، ٣: ٢٩٩.

٨- ٧ الوفاء، ابن جوزى، ١: ٣٩٩.

ص: ٢٤٥

الإيمان».

٦٦- الْمُؤْمِنَةُ:

لما نقله ابن زبالة عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال صلى الله عليه وآله: «والذى نفسى بيده، إن تربتها لمؤمنه»، ثم قال ابن زبالة: «هذا الاسم «المؤمنه» مكتوب فى التوراه (١).

٦٧- الْمُبَارَكَةُ:

لدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله حينما نزل المدينة، قال أنس: وقف النبي صلى الله عليه وآله أمام بيت أبى أيوب الأنصارى، وقرأ هذه الآية الكريمة (٢): «رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين» (٣). ومن ثم سميت المدينة ب «المبارك» أو «المباركة».

٦٨- مَبَوًى وَمَبِينِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ:

المدينة هى محلّ تمكّن هذين الحكّمين واستقرارهما، ومحلّ بيانهما، حيث قال النبي صلى الله عليه وآله: «المدينة قُبَّةُ الإسلام .. ومبواً الحلال والحرام» وأيضاً ورد: «مبين الحلال والحرام» نقلهما الطبرانى وابن الجوزى كما قدّمناه فى الرقم (٣).

٦٩- الْمَجْبُورَةُ:

هى منقولة عن التوراه وستأتى مفصلاً (٤).

٧٠- الْمَحْبُورَةُ:

وهى من الحَبْرِ بمعنى الجمال وفى الحديث: «يخرج رجل من النار ذهب حَبْرَه» أى جماله وسحناؤه. والتحبير: التحسين الذى يسرُّ به، وقال الله العظيم

١- ١ وفاء الوفا: السمهودى، ١: ٢٠.

٢- ٢ سنن أبى داود، ١: ١٢٣.

٣- ٣ المؤمنون: ٢٩.

٤- ٤ سيأتى ذكرها فى الرقم «٨٠».

ص: ٢٤٦

«... فهم في روضة يُحبرون» (١)

جاء في مجمع البيان اختصاص هذه الحالة بالمؤمنين في روضة وهي الجنة، أحسن شيء، لا يوجد مثلها عند العرب (٢).  
والمحبار من الأرض السريعة النبات الكثيرة الخيرات. والمدينة محبورة لأن فيها نعم الله مع السرور والخيرات الكثيرة. وقد لقب رسولنا الكريم ب (المحبور) كما جاء في دعاء النور المروي عن سلمان الفارسي رحمه الله عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: علمني رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الدعاء: «بسم الله النور بسم الله الذي يقول للشيء كن فيكون ... بسم الله الذي أنزل النور على الطور بقدر مقدور في كتاب مسطور على نبي محبور» (٣).

٧١- المَحْرُوسَةُ:

لأن المدينة تُحرس بالملائكة. روى الجندی عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «المدينة مشتبكة بالملائكة على كل نقب منها ملك يحرسها» (٤).

في هذا الحديث حراسه الملائكة تتعلّق بالنقب؛ لأنّ النقب طريق في الجبل، والعدو يتسلّل منه، وحينما كانت الطرق الجبلية محفوظة فالمدينة محروسة.

٧٢- المَحْفُوفَةُ:

وأيضاً تُسمى محفوفة: لأنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون» (٥).

قال الشاعر:

مَحْرُوسَةٌ مِنْ كُلِّ رَجَسٍ طَارِقٍ وَدُخُولِ دَجَالٍ وَطَعْنِ لَاحِقٍ

فالمراً فيها ذو فؤادٍ واثقٍ هذى محاسنها فهل من عاشقٍ كَلِفٍ شَحِيحٍ بِأَخِلِّ بَنَوَاهَا (٦)

١- ١ الروم: ١٥.

٢- ٢ مجمع البيان، الطبرسي، ٧: ٢٩٨.

٣- ٣ دلائل الإمامة، أبو جعفر الطبري الإمامي: ٢٨، ٢٩.

٤- ٤ مجمع الزوائد، ٣: ٣٠٩- فضائل المدينة، الجندی، ح ١٣.

٥- ٥ مسند أحمد بن حنبل، ٢: ٤٨٣.

٦- ٦ فضائل المدينة المنورة، الصالحي الشامي: ١٤٢.

ص: ٢٤٧

٧٣- المَحْفُوظَةُ:

المدينة محفوظة بإرادة الملك الديان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «القرى المحفوظة أربع: المدينة ومكة، إيليا ونجران» (١).

٧٤- مُدْخَلِصِدِقٍ:

«... رَبِّ أَدْخَلْنِي مُدْخَلِصِدِقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجِصِدِقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا» (٢).

. ذكر الطبرسي في تفسير هذه الآية الكريمة أربعة أقوال.

ثانيها: أن معناه أدخلني المدينة وأخرجني منها إلى مكة للفتح. ونسبه إلى ابن عباس والحسن البصري وقتادة وسعيد بن جبير (٣).

٧٥، ٧٦- المَدِينَةُ، مَدِينَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

المدينة عَلَمٌ لِعَدَّةِ مَدَنٍ، مِنْهَا: الْمَدِينَةُ وَهِيَ «يَثْرِبُ» (٤). وهذه الكلمة «المدينة» مذكورة في أربعة عشر موضعاً من القرآن الكريم ولم يقصد بها مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في المواضع الأربعة التالية:

١- سورة التوبة، ١٠١: «وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...».

قال الكلبي: نزلت في جهينة ومزيثة وأشجع وغفار من أهل المدينة يعني عبد الله بن أبي، وجد ابن قيس، ومعتب بن بشير، والجلال بن سويد وأبي عامر الراهب (٥).

٢- التوبة، ١٢٠: «وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ...».

١- ١ عمدة الاخبار، احمد بن عبد الحميد العباسي: ٧٨.

٢- ٢ الإسراء: ٨٠.

٣- ٣ مجمع البيان، الطبرسي، ٦: ٤٣٥.

٤- ٤ المنجد، ٢: الأعلام.

٥- ٥ أسباب النزول، ابي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.

ص: ٢٤٨

يعنون ب «المدينة» وأهلها نفس ما مضى فى الآيه الكريمة المتقدمه.

٣- الأحزاب، ٦٠: «لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ والمُرجفون فى المدينة لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ...».

٤- المنافقون، ٨: «يقولون لئن رجعنا إلى المدينة لَنُخْرِجَنَّ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ». والمدينة فى هاتين الآيتين هى مدينة رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله (١) كما تدلّ عليها القرائن الموجودة فيهما، وهذا هو أمر بين بحيث لم يتعرّض أحد خلافه. انتهى.

المدينة هى منقولة عن التوراه (٢)، وجرى هذا الاسم على لسان رسول اللّٰه صلى الله عليه و آله حيث قال صلى الله عليه و آله: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكّة...» (٣).

وقال الصادق عليه السلام: لما دخل النبي صلى الله عليه و آله المدينة خطّ دورها برجله ثم قال: «اللهم من باع رباعه فلا تبارك له» (٤).

وأن النبي صلى الله عليه و آله نسب المدينة إلى نفسه عندما قال: «من أحدث فى مدينتى هذه حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله...» (٥).

مضافاً إلى ما تقدم: ربما كان اسم المدينة أقدم زماناً ممّا ذكرنا حيث إنّ أهلها استقبلوا النبى الأعظم فى وصوله منشدين:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع  
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

جئت شرف المدينة مرحباً يا خير داعٍ فيشهد هذا أنّ المدينة كانت مشهورة لدى العرب. وربما كان النبي صلى الله عليه و آله قد سمّاها قبل هجرته (٦).

٧٧- المرحومة:

هى منقولة عن التوراه، لأنّها دار المبعوث رحمة (٧).

١- ١ مجمع البيان، ٨: ٣٧١- ١٠: ٢٩٥.

٢- ٢ وفاء الوفاء، السمهودى، ١: ٢٣.

٣- ٣ بحار الأنوار، ١٨: ٩ ح ١٥ باب ٦.

٤- ٤ بحار الأنوار، ١٩: ١١٩ ح ٤ باب ٧.

٥- ٥ مجمع الزوائد، الهيثمى، ٣: ٣٠٧.

٦- ٦ معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادى، ٨: ٧٠.

٧- ٧ فضائل المدينة، الصالحى الشامى، ٥٨.



ص: ٢٤٩

٧٨- المرزوقه:

سميت بذلك حيث إن الله - عز وجل - كثر حظ المدينة ورزقهم بما شاء من النعمة، فهي مرزوقه كما ذكرها عمدة الأخبار (١).

٧٩- المسكينه:

هذا الاسم منقول عن التوراه كما روى ذلك إبراهيم بن أبي يحيى فقال:

للمدينة في التوراه أحد عشر اسماً: المدينة، المحببه، المحبوه، طيبه، طابه، المسكينه، جابره، المجبوره، المرحومه، العذراء والقاصمه (٢). ووضحنا أكثر هذه الأسماء حسب التسلسل المعجمي.

وسميت المدينة مسكينه لأنها مسكن المساكين وملجأ الخاشعين والخاضعين لله والمتوسلين برسول الله صلى الله عليه وآله وآله الكرام.

وأنشده هذه الخماسيه الشيخ أبو عبد الله محمد التونسي:

يا رب بالمختار يسر أمرنا واغفر خطايانا وأذهب ضرنا

واجزل عطايانا وأجمل سترنا واجعل بطيبه في حماه مقرنا وأجب سؤال نفوسنا ودعائها

يا ربصل على النبي محمد وآل والصحب الكرام المختد

القائمين الراكعين الشجد أنصار دينك باللسان وباليد والمال حبا للرسول وجاهها (٣) ٨٠- المسلمه:

ذكرها صاحب المعجم البلاذري، سميت بها لأن أهل المدينة انقادوا لله

١-١ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحميد العباسي: ٧٩، ٧٤.

٢-٢ عمدة الأخبار، أحمد بن عبد الحميد العباسي: ٧٤-٧٩.

٣-٣ وفاء الوفا، السمهودي ٤: ١٤١٩ ذكرت الأبيات غير خماسيه ولكن خمسه أبو عبد الله محمد التونسي.

ص: ٢٥٠

بالطاعة وبادروا إلى نصره نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله وإنها فتحت بالقرآن (١).

٨١- مَضَجُّعُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

لأنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «الْمَدِينَةُ مُهَاجِرِي وَمَضَجَعِي فِي الْأَرْضِ» (٢). والمدينة مضجعه ومرقده حيًّا وميتاً.

٨٢- الْمُقَدَّسَةُ:

لتنزهها عن الشرك، وطهارتها من أرجاس الذنوب والآثام، والمدينة تنفى الذنوب حينما يدخلها المسلم ويزور النبي الكريم (٣) صلى الله عليه وآله. وقال الأستاذ الدكتور الشريف رحمه الله:

فطوبى لِمَنْ زَارَ خَيْرَ الْوَرَى وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا

فَإِنَّ السَّعَادَةَ مَضْمُونَةٌ لِمَنْ حَلَّ طَيْبَةً أَوْ زَارَهَا ٨٣- الْمَقَرَّةُ:

فهذا كالممر من القرار، ذكر في دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله كما قال أنس: كان النبي صلى الله عليه وآله إذا قدم من سفر إلى المدينة دعاه صلى الله عليه وآله له وللآخرين فقال: «اللهم اجعل لنا بها قراراً ورزقاً حسناً» (٤).

٨٤- الْمَكِينَةُ:

لتمكثها في المكانة والقدر والمنزلة عند الله - عز وجل - كما ذكره السمهودي (٥).

٨٥- الْمُؤَفِّيَةُ:

١- ١ فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى،: ٥٨- وفاء الوفا، السمهودى، ١: ٢٤.

٢- ٢ مجمع الزوائد، ٣: ٣١٠- الحجج المبيته للسيوطى: ٢٥.

٣- ٣ وفاء الوفا، السمهودى، ١: ٢٤.

٤- ٤ المصدر نفسه.

٥- ٥ وفاء الوفا، السمهودى، ١: ٥٣.

ص: ٢٥١

بتشديد الفاء وتخفيفها؛ لأن التوفية والإيفاء بمعنى واحد، وقد سميت المدينة موفية؛ لأنها أوفت حقوق القادمين طعاماً وشراباً. وترابها شفاء الأسقام والأمراض؛ وآبارها أطيب أنهار الدنيا، وأهل المدينة الموفون بالعهد (١).

٨٦- النَّحْر:

يفتح النون وسكون الحاء- علم لأرض المدينة وهكذا علم لأرض مكة. والنحر هو اللون وجمعه نحار أى من كل لون. والنحر أيضاً: السوق الشديد. وقيل لشدة حرهما (٢).

٨٧- الهذراء:

ذكره ابن نجار نقلاً عن التوراة- والتسمية به لشدة حرها- يقال: يوم هاذر: شديد الحر أو لكثرة مياهها وأنهارها المصوتة عند جريانها. ويحتمل أن تكون الدال مهملة من هدر الحمام ويقال: أرض هادرة أى كثيرة النبات (٣).

٨٨- يثرب:

وهى لغة فى «أثرب» كما قدمنا وهى اسم للمدينة قبل الإسلام؛ لأن أول من سكنها بعد التفريق هو: يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عييل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام (٤).

وهذا الاسم مأخوذ من الثَّرب وهو الفساد أو من التثريب وهو المؤاخذه بالذنب، أو يؤول الاسم إلى من بناها وهو غير موحد (٥). ومن ذلك لا يجبه رسول الله صلى الله عليه وآله وغيره فقال صلى الله عليه وآله: «لا تدعوها يثرب فإنها طيبة»- يعنى المدينة- (٦) وقال أبو عبيدة: إن مدينة الرسول فى ناحية من يثرب (٧).

١-١ عمدة الأخبار فى مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسى: ٨٢.

٢-٢ عمدة الأخبار فى مدينة المختار، أحمد بن عبد الحميد العباسى: ٨١.

٣-٣ وفاء الوفا، السهمودى، ١: ٢٦- فضائل المدينة المنورة، الصالحى الشامى: ٦٠.

٤-٤ مجمع البحرين، الطريحي، ٢: مادة: ثرب- معجم معالم الحجاز، عاتق بن غيث البلادى، ١٠: ١٣.

٥-٥ تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة، ١: ١٦٢.

٦-٦ الدر المنثور، ٥: ١٨٨- تفسير أبى السعود، محمد بن محمد العمادى، ٧: ٩٤.

٧-٧ التبيان، الشيخ الطوسى، ٨: ٣٢٣.

ص: ٢٥٢

٨٩، ٩٠- يَنْدَدُ، يَنْدَرُ (تَنْدَدُ، تَنْدَرُ):

لما رواه زيد بن أسلم عن رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله: «للمدينة عشرة أسماء هي:

المَدِينَةُ، وطَيْبَةُ، وطَابَةُ، ومِسْكِينَةُ، وجبار، ومَجْبُورَةُ، ويندد، ويثرب» (١).

قال الفيروز آبادي: يَنْدَدُ من نَدَدَ، وهي المدينة وأيضاً يقول في مادة نَدَرُ:

يَنْدَرُ كَحَيْدَرُ وهي من أسماء المدينة المنورة (٢). ونقل في بعض الكتب أنهما:

تَنْدَدُ وتَنْدَرُ (٣).

وفي نهاية هذه الأسماء نذكر ما ذكره السيد المرتضى علم الهدى رحمه الله: «أَنَّ من أسماء المدينة: يثرب، طَيْبَةُ، طَابَةُ، الدَّارُ،

المِسْكِينَةُ، جَايزَةُ، المَجْبُورَةُ، المَحَبَّةُ، المَحْبُوبَةُ، العَذْرَاءُ، المَرْحُومَةُ، القَاصِمَةُ، يَنْدَدُ» (٤).

فكلامه يحتوي على اسم آخر غير ما قدمناه وهو «جَايزَةُ».

هذه هي أسماء المدينة المنورة التي جمعتها ورتبتها وتعرضت لذكر بعض الدقائق واللطائف- الموجودة في الروايات من الشيعة

والسنة- في وجه تسميتها بها ولا ادعى الاستقصاء الكامل؛ لأنَّ عظمة المدينة ومن فيها أكبر من أن يؤدَّى حقها مثلي.

الهوامش:

## الروضة المقدسة

١- ١ تاريخ المدينة المنورة، ابن شيبه، ١: ١٦٢.

٢- ٢ قاموس المحيط، الفيروز آبادي، مادة: ندد، ندر.

٣- ٣ وفاء الوفا، السمهودي، ١: ٢٧.

٤- ٤ مجمع البيان، الطبرسي، ٨: ٣٤٦.











ص: ٢٥٧

الروضة المقدّسة

محمد جواد الطبسى

لقد كتب الكثير من المؤرخين وغيرهم حول العناوين والموضوعات التى تخصّ المدينة المنورة: عن شرافة أرضها ومشرفها، وعمن نزل وحلّ فيها وعن آثارها وأماكنها. ولكن قلّ من تعرّض لذكر الروضة المقدّسة فى المسجد النبوى بنحو التفصيل، وحقق الموضوع كما ينبغى، من حدودها واختلاف الآراء فيها وبيان معناها وعلّة شرافتها وآدابها وغير ذلك. ولقد كان فى مضمارى، فى السنوات التى كنت أتشرّف بزيارة قبر رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله، أن أتعرّف على هذه البقعة الطاهرة أكثر ممّا سمعت أو قرأت بنحو الإجمال والايجاز، فلذلك عزمت على كتابة صفحات وإن كانت بصورة موجزة، ولكن حاوية على جميع أنحاء البحث حول هذه البقعة الطاهرة، آملاً بذلك الدخول فى رياض الجنّة التى وعد المتّقون بها، إن شاء الله تعالى.

ص: ٢٥٨

الروضة عند أهل اللغة:

قال ابن منظور: الروضة:

الأرض ذات الخضرة، والروضة:

الستان الحسن ... وقوله صلى الله عليه وآله: بين قبري أو بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ... (١) وقال الطريحي: الروضة:

الأرض الخضرة بحسن النبات ومنه روضات الجنان، وهي أطيب البقاع وأنزهها، ومنه الحديث ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة أى كروضة (٢).

ما قيل فى معنى الروضة:

فسرت الروضة الشريفه ما يقرب من ثمانية معانٍ حسب الإحصاء وهى:

١- إن من لزم طاعة الله فى هذه البقعة آلت به الطاعة إلى روضة من رياض الجنة. قاله الخطابى (٣).

٢- مَنْ عَيَّدَ اللَّهُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ، فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. بهذا المعنى أشار العلامة المجلسى فى البحار عن العلة: العلة فى أن بين قبر النبي صلى الله عليه وآله وبين المنبر روضة من رياض الجنة: أنه مَنْ عَيَّدَ اللَّهُ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ، وَعَرَفَ حَقَّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَتَبَرَّأَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، فَلَهُ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَكُونُ لَهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. (٤).

٣- روضة فى الدنيا للعلم والمعرفة، حيث كان يقتبس ذلك من الرسول وهو فيها، ثم تجعل يوم القيامة إحدى رياض الجنة (٥).

٤- إن تلك البقعة نفسها روضة من رياض الجنة، كما أن الحجر الأسود من الجنة، فيكون الموضع المذكور روضة من رياض الجنة الآن، ويعود روضة فى الجنة كما كان، ويكون للعامل بالعمل فيه روضة فى الجنة .. (٦) وأشير إلى هذا المعنى بما ورد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين بيتي ومنبري روضة

١- ١ لسان العرب ٥: ٣٦٩.

٢- ٢ مجمع البحرين: ٣٣٠.

٣- ٣ أخبار مدينة الرسول: ٨٣.

٤- ٤ مستدرک الوسائل ١٠: ١٩٥، البحار ٩٩: ٣٨٢.

٥- ٥ الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين: ٢٤.

٦- ٦ وفاء الوفا ٢: ٤٢٩.

ص: ٢٥٩

من رياض الجنة، ومنبرى على ترعة (١) من ترع الجنة، وقوائم منبرى رتب في الجنة. قال: قلت: هي روضة اليوم؟ قال: نعم، انه لو كشف الغطا لرأيتم (٢).

وقال البحراني: ويحتمل أن يكون ذلك على الحقيقة في المنبر والروضة، بأن يكون حقيقتها كذلك، وإن لم يظهر في الصورة بذلك في الدنيا؛ لأن الحقائق تظهر بالصور المختلفة (٣).

٥- من أقام بهذا الموضوع فكأنه أقام في روضة من رياض الجنة. قاله ثعلب (٤).

٦- ينقل ذلك الموضوع بعينه إلى الجنة. قاله ابن حجر (٥).

٧- العبادة فيها تؤدي إلى الجنة (٦).

٨- البقعة كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة، بما يحصل فيها من ملازمة حلق الذكر، ولا سيما في عهد هصلي الله عليه وآله .. (٧) حدود الروضة:

بعد التعرف على معنى الروضة:

نودّ أن نشير إلى حدود الروضة المقدسة، وما ورد في تحديدها من روايات وأقوال، ونواصل البحث والنقاش في ذلك.

ألف- التعابير الواردة عن النبي في تحديد الروضة:

وردت تعابير مختلفة في تحديد الروضة الشريفة عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، رواها عنه جمع من الصحابة: كجابر بن عبد الله، وعبد الله بن زيد المازني، وابن عمر، وأبي سعيد، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وسند كرها لك بالتفصيل.

١- قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة (٨).

٢- وقال صلى الله عليه وآله: ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة (٩).

٣- وقال صلى الله عليه وآله: ما بين بيتي

١ - ١ قال البحراني: الترع بضم المثناة فوقانية ثم المهملتين في الأصل: هي الروضة على المكان المرتفع خاصة، فإذا كان في

المطمئنين فهي روضة .. وقيل الترع: الدرجة وقيل: الباب .. الحدائق الناضرة ١٧: ٤١٥.

٢- ٢ وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٠، فروع الكافي ٤: ٥٥٤.

٣- ٣ الحدائق الناضرة ١٧: ٤١٦.

٤- ٤ لسان العرب ٥: ٣٦٩.

٥- ٥ الدر الثمين: ٢٤، وفاء الوفا ٢: ٤٢٩.

٦- ٦ أخبار مدينة الرسول: ٨٢، عمدة الأخبار: ١٣٨، وفاء الوفا ٢: ٤٢٩، اتحاف المؤمنين: ٦٤.

٧- ٧ وفاء الوفا ٢: ٤٢٩.

٨- ٨ وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٠، فروع الكافي ٤: ٥٥٥، العقد الثمين ٣: ٤١٠، وفاء الوفا ٢: ٤٢٦، أخبار مدينة الرسول: ٨٠، عمدة الأخبار: ١٣٨.

٩- ٩ شفاء الغرام ٢: ٣٦٢، أخبار مدينة الرسول: ٨٢.

ص: ٢٤٠

ومصلاى روضة من رياض الجنّة (١).

٤- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين حجرتى ومصلاى روضة من رياض الجنّة (٢).

٥- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين منبرى والمصلى روضة من رياض الجنّة (٣).

٦- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين مسجدى إلى المصلى روضة من رياض الجنّة (٤).

٧- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة (٥).

٨- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين منبرى وبيوتى روضة من رياض الجنّة (٦).

٩- وقالصلى الله عليه و آله: ما بين هذه البيوت إلى منبرى روضة من رياض الجنّة (٧).

ب- تحديد الروضة عن أهل البيت عليهم السلام:

ووردت روايات عن أهل البيت عليهم السلام فى الروضة، وحدّها، ما يلى:

١- عن مرزم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا يقول الناس فى الروضة فقال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما بين بيتى

ومنبرى روضة من رياض الجنّة، ومنبرى على ترعة من ترع الجنّة. فقلت له: جعلت فداك فما حدّ الروضة؟

فقال: بعد أربع أساطين من المنبر إلى الظلال. فقلت: جعلت فداك من الصحن فيها شىء؟ قال: لا (٨).

٢- عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: حدّ الروضة فى مسجد الرسول صلى الله عليه و آله إلى طرف الظلال (٩).

٣- عن جميل بن دراج قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه و آله ما بين منبرى وبيوتى روضة من رياض الجنّة، ومنبرى على

ترعة من ترع الجنّة، وصلاة فى مسجدى تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام.

قال جميل: قلت له، بيوت النبى وبيت على منها؟ قال: نعم وأفضل (١٠).

١- ١ وفاء الوفا ٢: ٤٢٨.

٢- ٢ المصدر نفسه.

٣- ٣ المصدر نفسه.

٤- ٤ عمدة الأخبار: ١٨٢، وفاء الوفا ٢: ٤٢٨.

٥- ٥ وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٠، وفاء الوفا ٢: ٤٢٧.

٦- ٦ فروع الكافى ٤: ٥٥٦، وسائل الشيعة ٣: ٥٤٣.

٧- ٧ وفاء الوفا ٢: ٤٢٨ و ٤٢٩.

٨- ٨ البحار ٩٧: ١٤٦، وسائل الشيعة ١٠: ٢٧١، فروع الكافى ٤: ٥٥٥.

٩- ٩ المصدر نفسه.

١٠- ١٠ المصدر نفسه.

ص: ٢٦١

ج- تحديد الروضة في أقوال الآخرين:

لقد وقع الخلاف في تحديد الروضة الشريفه، فمنهم من حدّدها ما بين المنبر والحجره الشريفه التي دفن النبي فيها وعليه الأكثر، اعتماداً عليصحيحتين إحداهما قوله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة ..

والثانية ما بين قبرى ومنبري روضة من رياض الجنّة (١)، ومنهم من قال:

إنّها تعمّ جميع المسجد الموجود في زمنه.

ومال إلى هذا الرأي الشنقيطى قائلاً: وأنا أميل إلى رأى الإمام مالك، والزين المراغى في تحديد الروضة الشريفه بما بين جميع بيوت النبي وبين منبره الشريف لأدله منها: ما ذكره من حمل الخصوص في قوله (قبرى) على العموم في قوله (بيتي) وما رواه أحمد: ما بين هذه البيوت إلى منبري روضة من رياض الجنّة .. وحديث وقوائم منبري على ترعه من ترع الجنّة الذي يفهم منه: أن ما كان شمال المنبر الشريف من الأرض هو ترعه من ترع الجنّة، والى الشمال الغربى من ذلك فى نهايه المسجد حيث باب الرحمة كان يقع آخر بيت من بيوت الرسول .. (٢) ومنهم من قال: إنّها تعمّ المسجد فى زمنه وبعده. قال الراسانى: إنّ اسم الروضة يعمّ مسجده صلى الله عليه وآله مع ما زيد فيه (٣).

ومنهم من قال: إنّها من حجرته إلى مصلاه لروايه ما بين حجرتي ومصلاى على القول بأن المراد مصلى العيد (٤).

د- الروضة وحدّها فى أقوال الفقهاء:

حدّد فقهاؤنا- رضوان الله عليهم- الروضة بما بين القبر والمنبر اعتماداً على ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنّة.

وإليك بعض الآراء فى هذا المجال:

١- الدر الثمين فى معالم دار الرسول الأمين: ٢٤، المسجد النبوى عبر التاريخ: ٤٩.

٢- المصدر نفسه.

٣- ٣ اتحاف المؤمنين بتاريخ مسجد خاتم المرسلين: ٦٢.

٤- ٤ المصدر نفسه، عمدة الأخبار: ١٨٢.

ص: ٢٤٢

١- قال الشيخ الطوسي: ...

- ويستحب أن يصلّى ما بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضةً من رياض الجنّة .. (١) ٢- وقال ابن البراج: الروضة: هي ما بين القبر والمنبر إلى الأساطين التي تليصحن المسجد، وليس في الصحن من الروضة شيء .. (٢) ٣- وقال يحيى بن سعيد: ثم أتى المنبر فمسح برمانتيه، وصلّى بين القبر والمنبر، وهو روضةً من رياض الجنّة .. (٣) ٤- وقال ابن ادریس: ويستحب الصلاة بين القبر والمنبر ركعتين، فإنّ فيه روضةً من رياض الجنّة .. (٤) ٥- وقال ابن حمزة: فإذا فرغ أتى المنبر ومسح وجهه وعينه برمانتيه .. وصلّى ركعتين بين القبر والمنبر، فإنّ فيه روضةً من رياض الجنّة (٥).
- ٦- وقال المحقق الحلّي: الرابع يستحبّ الغسل لدخولها وزيارة النبي صلى الله عليه وآله استحباباً مؤكداً، وزيارة فاطمة عليها السلام في الروضة والأئمة في البقيع، والصلاة بين المنبر والقبر وهو الروضة (٦).
- ٧- وقال البحراني: قد اتفقت الأخبار وكلمة الأصحاب على أنه يستحبّ لزائر المدينة بعد الدخول إكثار الصلاة في مسجد الرسول، ولا سيّما في الروضة وهي ما بين القبر والمنبر إلى طرف الظلال (٧).
- وقفه مع القارئ حول روايات الروضة:
- كان هذا عرضاً موجزاً من الروايات المرويّة عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام، وما قيل في ذلك حول تحديد الروضة المقدّسة.
- ولنا وقفه خاطفة وسريعة معك حول مفاد هذه الروايات من جهة حدود الروضة بدايه ونهايه فإنّها تتضيق بالنظر إلى بعضها، وتتسع بالنظر إلى أخرى:

١- ١ النهاية: ٣١٧ الجوامع الفقهية.

٢- ٢ المهذب:.

٣- ٣ الجامع للشرايع: ٢٣١.

٤- ٤ السرائر:.

٥- ٥ الوسيلة: ١٩٧.

٦- ٦ المختصر النافع: ٩٨.

٧- ٧ الحدائق الناضرة ١٧: ٤١٥.

ص: ٢٤٣

فالرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة والثامنة والتاسعة جعلت بداية الروضة بيته وحجرته وبيوته الشريفه.  
والرواية الخامسة جعلت بداية الروضة منبره صلى الله عليه و آله والسادسة: المسجد الشريف والسابعة: قبره صلى الله عليه و آله. هذا من جهة البداية.

وأما من جهة النهاية: فالرواية الأولى والثانية والخامسة والسابعة والثامنة والتاسعة جعلت نهاية الروضة المنبر الشريف. والرواية الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة مصلاه أو المصلى.

فتكون حدود الروضة بحسب ما مرّ علينا من الروايات ستّة:

الحدّ الأول: ما بين بيته وحجرته والمنبر. والحدّ الثاني: ما بين حجراته والمنبر. والثالث: ما بين بيته ومصلاه. والرابع: ما بين المنبر والمصلى.

والخامس: ما بين القبر والمنبر.

والسادس: ما بين المسجد إلى المصلى.

وعلى هذا فيكون أضيق الحدود هو ما دار بين القبر ومصلاه إذا فسّرنا المصلى بمحراه في المسجد. وأوسع الحدود: هو ما كان بين المسجد ومصلى العيد.

وأما ما ورد عن أهل البيت العصمة عليهم السلام ففي بعضه: ما تحدّد الروضة من المنبر إلى الظلال وفي بعض آخر: تحدّد الروضة بما بين المنبر وبيوته صلى الله عليه و آله وبيت على وفاطمة، وثالثه بين القبر والمنبر.

والذى يخطر بالبال بل يكون فى النهاية هو المختار: أن روايات بين البيت أو القبر والمنبر روضة من رياض الجنة كثيرة ومتظافرة ومشهورة ومنقولة فى معظم الكتب الحديثية، ومؤيدة بروايات وردت عن أهل البيت عليهم السلام كما مرّ عليك. وإننا وإن عثرنا على أحاديث نقلت عنهم صلى الله عليه و آله بما يخالف الحدّ المذكور: من أن حدّ الروضة فيما بين المسجد والمصلى، أو كل المسجد فى زمن الرسول أو بعده. لكن كل هذه الأقوال مردودة وغير ثابتة وأنهم استدّلوا

ص: ٢٦٤

بأشياء أغلبها ضعيف مبناها، وهذا ما أشار إليه صاحب كتاب اتحاف المؤمنين (١).

يبقى ما رواه جميل عن الصادق عليه السلام: أن الروضة هو ما بين المنبر وبيوت النبي صلى الله عليه وآله فنقول: إنصحت الرواية عنه. وأثبتنا أن بيوت النبي كانت تمتد إلى باب الرحمة، وقصد النبي من البيوت كل بيوته، فكلّ المسجد داخل في الروضة كما قيل. ولكن يمكن أنه أراد صلى الله عليه وآله غالب بيوته التي كانت تقع على جهة الشرق لا كلّ بيوته. إضافة على ذلك أنه لم يدع أحد من علمائنا هذا الحدّ بحيث يكون كلّ المسجد داخلًا في الروضة. وأمّا بيت علي وفاطمة وإن كان بحسب الحدّ المذكور خارجاً عن حدّ الروضة، لكن يمكن أن نعدّ البيت من الروضة أيضاً اعتماداً على قول أهل البيت بأن بيت علي وفاطمة عليهما السلام من الروضة. وأهل

---

١- اتحاف المؤمنين: ٦٤.



ص: ٢٦٥

البيت أدري بما في البيت.

\*\* مساحة الروضة الشريفة:

وأما مساحة الروضة طولاً وعرضاً فقليل: يبلغ طول الروضة اثنين وعشرين متراً، وعرضها خمسة عشر متراً (١).

وقال في الدرّ الثمين: ومساحة الروضة الشريفة من المنبر الشريف غرباً إلى الحجرة شرقاً سبعة وستون ذراعاً بالذراع الهاشمي .. (٢)

علّة تشريف الروضة المقدّسة:

وهناك سؤال يطرح نفسه بأنه:

لماذا فضّلت تلك البقعة الطاهرة على ساير المسجد؟

والجواب عن ذلك هو: أنا وإن لم نعتز على شيء يدل بوضوح على حكمه أفضلية الروضة على ساير المسجد، ولكن يكفينا ما روى

عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله:

ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة .. لأنّ قبر فاطمة بين قبره ومنبره، قبرها روضة من رياض الجنّة (٣).

وأن الله شرف تلك البقعة الطاهرة لأنّها مدفن الزهراء فاطمة عليها السلام باعتبار أن قبر المعصوم وحواليه روضة من رياض الجنّة،

كما ورد في أن قبر النبي صلى الله عليه وآله (٤) والحسين عليه السلام (٥) وعلى بن موسى الرضا عليه السلام (٦) أيضاً روضة من

رياض الجنّة ولا استغراب من ذلك. ولكن لما لم يعين مكان قبر الزهراء في الروضة، وكان بين القبر والمنبر؛ فلذا قال رسول اللّٰه صلى

الله عليه وآله ما بين قبري ومنبري مشيراً إلى قبر الزهراء عليها السلام. وهذا الاحتمال وإن لم يكن بعيداً في نفسه، إلّا أن قبر الزهراء قد

خفي علينا، فقد روى أنها دفنت في بيتها أو في البقيع (٧).

ولكن يمكن الالتزام بذلك، والقول بامتداد الروضة الشريفة، ودخول قبر الزهراء في الروضة، وإن

١- ١ المسجد النبوي عبر التاريخ: ٤٩، أشهر المساجد في الإسلام ١: ٢٢٢، مرآة الحرمين ١: ٤٥١.

٢- ٢ الدرّ الثمين في معالم دار الرسول الأمين: ٢٤.

٣- ٣ البحار ٩٧: ١٩٢.

٤- ٤ المصدر نفسه.

٥- ٥ مستدرک الوسائل ١٠: ٣٢٥.

٦- ٦ المصدر نفسه: ٣٥٧.

٧- ٧ البحار ٩٧: ١٩٢.

ص: ٢٦٦

كانت مقبورة في بيتها، اعتماداً على الخبر المذكور عن الصادق، قال فيه:

قبرها روضة من رياض الجنّة، لتوسعة الروضة بحيث تشمل بيتها، كما ادّعاها العلامة المجلسي مؤيداً بما روى جميل عن الصادق عليه السلام قال: فقلت له: بيوت النبي وبيت عليّ منها؟ قال: نعم وأفضل.

ويحتمل أنها لما كانت هذه البقعة الطاهرة محلّ جلوس النبي للوعظ والتبليغ وأداء الرسالة الإلهية، ولما كانت تلك البقعة معدة لكسب العلم والمعرفة حيث كان يُقتبس ذلك من الرسول صلى الله عليه وآله وهو فيها، لذلك شرفها الله على ساير المسجدين. ويحتمل أيضاً: أن هذه البقعة لما كانت قطعة من الجنّة وستعود إليها؛ فلذلك شرفها الله تعالى.

آداب الروضة:

اهتمّ السلف والخلف برعاية الآداب والمستحبات في الروضة المقدّسة، ووردت روايات كثيرة ترغّب في الدعاء وتجب الصلاة وطلب الحاجة من الله - عزوجل - وحتى زيارة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله في الروضة المقدّسة، وإليك نصّ ما روى في ذلك:

١- استحباب الصلاة في الروضة:

عقد الحرّ العاملي رحمه الله باباً حول استحباب الإكثار من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، خصوصاً بين القبر والمنبر، وفي بيت عليّ وفاطمة عليهما السلام، وتعرض لذكر روايات مروية عن المعصومين عليهم السلام بأن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وآله تعدل ألف صلاة في غيره (١)، أو تعدل عشرة آلاف صلاة (٢)، وترغيبهم في الصلاة في المسجد النبوي بعد الاستشهاد بقول النبي صلى الله عليه وآله: ما بين منبري وبيوتي روضة من رياض الجنّة، وصلاة في مسجدي تعدل عشرة آلاف صلاة فيما سواه من المساجد إلّا المسجد الحرام. قال جميل: قلت له:

١- ١ وسائل الشيعة ٣: ١٩٢.

٢- ٢ المصدر نفسه.

ص: ٢٦٧

بيوت النبيّ وبيت عليّ منها؟ قال: نعم وأفضل (١).

وقال الشيخ الطوسي: ويستحب أن يصلّي ما بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة (٢).  
وقال ابن ادريس الحلّي:

ويستحب الصلاة بين القبر والمنبر ركعتين فإنّ فيه روضة من رياض الجنّة (٣).

وقال البحراني: قد اتفقت الأخبار وكلمة الأصحاب: على أنه يستحب لزائر المدينة بعد الدخول إكثار الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله ولا سيما في الروضة وهي ما بين القبر والمنبر إلى طرف الظلال (٤).  
وقال المحقّق: وتستحب الصلاة بين القبر والمنبر وهو الروضة (٥).

٢- استحباب طلب الحاجة في الروضة:

ومن جملة الآداب والمستحبات الواردة في الروضة الدعاء والثناء وطلب الحاجة. روى معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال: إذا فرغت من الدعاء عند القبر فائت المنبر وامسحه بيدك، وخذ برمانتيه وهما السفلاوان وامسح عينيك ووجهك به ..، وقم عنده فاحمد الله واثن عليه وسل حاجتك، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنّة .. (٦).

٣- استحباب زيارة الزهراء في الروضة:

ومن الآداب في الروضة زيارة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله فيها. قال الشيخ المفيد: ثم قف وزر فاطمة فإنها هناك مقبورة. فإذا أردت زيارتها فتوجه إلى القبلة في الروضة، وقل: السلام عليك يا رسول الله وعلى بنتك الصديقة الطاهرة، السلام عليك يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، السلام عليك أيتها البتول الشهيذة الطاهرة .. ثم ارفع يديك وادع بما بدا لك .. (٧) وقال المحقّق: الثالثة يستحب أن

١- ١ البحار ٩٩: ٣٨٢، وسائل الشيعة ٣: ٥٤٣.

٢- ٢ النهاية: ٣١٧ الجوامع الفقهية.

٣- ٣ السرائر:.

٤- ٤ الحدائق الناضرة ١٧: ٤١٥.

٥- ٥ شرايع الإسلام ١: ٢٧٩، المسالك ٢: ٣٨٤.

٦- ٦ مستدرک الوسائل ١٠: ١٩٥، وسائل الشيعة ١٠: ٢٧٠، فروع الكافي ٤: ٥٥٣.

٧- ٧ المقنعة: ٧١.

ص: ٢٤٨

تزار فاطمة عليها السلام من عند الروضة (١).

وقال العلامة الحلي: والغسل عند دخولها وزيارة فاطمة عليها السلام في الروضة وبيتها والبقيع والأئمة به والصلاة في الروضة .. (٢)  
وقال الشيخ الطوسي: ويستحب أن يُصلى ما بين القبر والمنبر ركعتين فإن فيه روضة من رياض الجنة. وقد روى أن فاطمة عليها السلام مدفونة هناك، وقد روى: أنها مدفونة في بيتها، وقد روى أنها مدفونة في البقيع، وهذا بعيد.

والروايتان الأوليان أشبه وأقرب إلى الصواب، وينبغي أن يزور فاطمة عليها السلام من عند الروضة .. (٣) ٤- استحباب صلاة زيارة النبي صلى الله عليه وآله في الروضة:

ويستحب أيضاً لمن زار النبي صلى الله عليه وآله أن يصلي الركعتين عند الفراغ من زيارته في الروضة. قال الشهيد في الدروس: وسادسها صلاة ركعتين للزيارة عند الفراغ، فإن كان زائراً للنبي ففي الروضة .. (٤) تلخص مما ذكرنا: أن الروضة المقدسة الواقعة في الحرم المدني بقعة طاهرة شرفها الله، وعظمها ببركة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وهي ما بين القبر والمنبر. وعلى من زار النبي صلى الله عليه وآله أن يحمده الله ويشنئ عليه ويصلي ويدعو ويزور السيدة فاطمة فيها. رزقنا الله وإياكم زيارته.

١- ١ شرايع الإسلام ١: ٢٧٩، المسالك ٢: ٣٨٢.

٢- ٢ قواعد الأحكام:.

٣- ٣ النهاية:.

٤- ٤ البحار ٩٧: ١٣٤.

ص: ٢٦٩

الهوامش:

## المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة



ص: ٢٧١

المساجد والأماكن الأثرية المجهولة لزائر المدينة المنورة الميمونة

عبد الرحمن خويلد

«اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة كحَبِّبنا مكة أو أشدَّ» رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله

مقدمة:

بما أن للمدينة المنورة فضلاً كبيراً على المسلمين، لأنها مهاجر الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله)، وعاصمة الإسلام الأولى، ومنها انطلق الإسلام إلى الآفاق، وعمّ بنوره البشريّة، وأنقذ من هداه الله سبحانه من الشرك والضلالة إلى التوحيد والهداية، لذلك لا بد من معرفة معالمها المهمّة، وآثارها الرائعة.

وقد رأيت أن أكثر الزائرين لطيبه الطيبه لا يعرف عنها سوى المسجد النبوي الشريف، والبقيع، والمزارات الأربعة المشهورة، وهي (مسجد قباء، ومسجد القبلتين، والمساجد السبعة، وشهداء أحد)، علماً أن قسماً منهم لا

ص: ٢٧٢

يعرف حتى هذه المزارات الأربعة إلا بعد سماعه عنها من أصحابه، أو من بعض سائقي السيارات عندما يرفعون أصواتهم بعبارة (زيارة يا حاج).

أما بقية المساجد والأماكن الأثرية الأخرى فاعتقد أن أغلب زوّار هذه المدينة العزيزة إن لم يكن كلهم لا يعرف أو لم يسمع عن بعضها، مع كثرة زيارته للمدينة المنورة.

وكيف تُجهل هذه المساجد والأماكن التي كانت عامرة بنزول الوحي عليه السلام، أو كونها مصلى أو مقيل أو مبيت النبي (صلى الله عليه وآله)؟

فتجول زوارها في ربوعها يعيد إلى أذهانهم الذكريات العطرة، والصور الرائعة للسيرة النبوية على هذه الأرض المباركة، مما يتلجصدورهم، ويسعد نفوسهم، ويزيد إيمانهم. لذلك رأيت أن من الضروري إخراج كتاب ليبتغى به الزوّار. والمنهج الذي اتبعته فيه هو: تصوير هذه المساجد والأماكن لسهولة التعرف عليها أولاً، وللحفاظ على صورتها خشية اندثارها ثانياً، ثم إيضاح أماكنها، والتعليق عليها. وقد رتبته من حيث القرب والبعد عن مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله)، مراعيًا في ذلك موقعها في اتجاه واحد، ووضعت خريطة تبيّن أماكنها، وتسلسل أرقامها؛ ليستطيع الزائر الوصول إليها بسهولة ويسر، كما أنني حرصت على ذكر المساجد التي ثبت أن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى فيها، وختمت الكتاب بوضع أربعة فهارس له.

راجياً من الله تعالى العون والسداد والتوفيق لما يحبه ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير.

١- مسجد المصلى (الغمامة)

يقع هذا المسجد إلى الغرب من مسجد النبي (صلى الله عليه وآله)، ويبعد عنه حوالي





ص: ٢٧٤

أربعمائه متر، وتقام فيه الصلوات الخمس عدا صلاة الجمعة.

وكان يسمّى ب (مسجد المصلّى)، لأن أكثر صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) للعيدين فيه (١)، ثم سُمّي ب (مسجد الغمامة)، ولا يُعرف عند أغلب الناس في الوقت الحاضر إلا بهذا الاسم. ويُروى أن المصطفى (صلى الله عليه وآله) خرج إلى المصلّى فقال: «هذا مُسْتَمَطَّرنا ومُصَلَّانا لِفَطْرنا وأُصْحانا، فلا يضيق ولا ينقص علينا» (٢).

٢- مسجد الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

موقع هذا المسجد بالقرب من مسجد الغمامة في الشمال الغربي منه، ويبعد عنه بمسافة تقدّر بتسعين متراً تقريباً. ولقد ذكرت بعض كتب تاريخ المدينة (٣): أن

١- ١ آثار المدينة: ٨٢ والدر الثمين: ٢٢٧.

٢- ٢ تحقيق النصر: ١٤٢، وآثار المدينة: ٨٢ والدر الثمين: ٢٢٧.

٣- ٣ تحقيق النصر: ١٤٢، ووفاء الوفا ٢: ٧٨٢، والدر الثمين: ٢٢٨-٢٢٩.

ص: ٢٧٥

النبي (صلى الله عليه و آله) صلى في مكان هذا المسجد سنة أو سنتين، وقد تغنى بعض الشعراء بالمصلى، واشتاقوا إلى ما حوله من مساكن، قال أحدهم:

فكم من حرّة بين المصلى إلى أحد إلى ما حاز ريم  
إلى الجماء من خدّ أسيل نقى اللون ليس به كلوم وقال آخر:  
ليت شعري هل العقيق فسلع فقصور الجماء فالعرصتان  
فإلى مسجد الرسول فما حاز المصلى فجانباً بطحان  
فبنوا مازن كعهدي أم لى سوا كعهدي فى سالف الأزمان (١) وهذا المسجد أكبر من سابقه، وقد جدّد حديثاً.

٣- مسجد السقيا

مكان هذا المسجد غرب المسجد النبوي، ويبعد عنه حوالى كيلومترين ومائة متر، ويتميز بقبابه الثلاث، والوسطى أكبرها، وهو الآن داخل سور محطة السكة الحديدية- التى يطلق عليها عند عامة الناس اسم (الاستصيون)- فى الجهة الجنوبية منه. وبني هذا المسجد فى مكان قبّة الرسول (صلى الله عليه و آله) عند خروجه لغزوة بدر، واستعراض جيشه «١»، ووعد الله - تعالى - أن تكون إحدى الطائفتين له، إما العير أو النفير، بقوله سبحانه: «وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنّها لكم وتودون

١-١ تاريخ معالم المدينة المنورة ١: ٧٢، ووفاء الوفا ٢: ٩٧٢.



ص: ٢٧٧

أنّ غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحقّ الحقّ بكلماته ويقطع دابر الكافرين» (١)  
وقد صلّى النبيّ (صلى الله عليه و آله) فيه ودعا الله أن يبارك للمدينة في مدها وصاعها (٢).  
وكانت إلى الجنوب من هذا المسجد بئر السقيا، التي كان يُستعذب من مائها لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، وقد دُفنت ولم يبق لها أثر (٣).

٤- مسجد المنارتين

يقع هذا المسجد إلى الغرب من مسجد السقيا، ويبعد عنه بمسافة تقدر بكيلومتر واحد، وهو قبل محطة العواجي (الخضبر) للبنزين بمائة متر، على يمين

١- ١ الأنفال ٨: ٧.

٢- ٢ وفاء الوفا ٢: ٨٤٤، والدر الثمين: ٢٢٨.

٣- ٣ قيل: إنه كان يفصل بينها وبين المسجد طريق مكة القديم، ينظر: آثار المدينة: ٩٢، وقيل: إنه يمر فوقها الطريق المذكور، ينظر: الدر المنثور: ٢٢٨، والله أعلم بالصواب.

ص: ٢٧٨

الذاهب على طريق مكة القديم. وهو الآن متروك، والمتبقى منه عبارة عن بناء حجري شبه مقفل، ولا يمكن الصلاة فيه؛ لأنه لم يهياً لذلك. وقد صلى النبي (صلى الله عليه و آله) في مكانه، فلذلك بُني هذا المسجد (١).

قال الأستاذ غالى الشنقيطى فى كتابه الدر الثمين (٢): «وعلى يسار طريق جدّه يوجد مسجد المنارتين، وقد قيل: إنّ النبيّ (صلى الله عليه و آله) صلى فى مكانه فلهذا بنى ثمّ مسجد، وهو الآن جديد البناء وجميل وكبير تقام فيه الصلوات الخمس». وقد توهم فى ذلك، لأنّ المسجد يقع على يمين طريق جدّه- مكّة، كما أنّه لم يجدّد لحدّ الآن، ولم تقم فيه الصلوات.

٥- مسجد الإجابة

---

١- ١ تحقيق النصرة ١: ١٢٩، ووفاء الوفا ٢: ٨٧٨ وعمدة الأخبار: ١٩٨.

٢- ٢ ص ٢٢٨.

ص: ٢٧٩

يقع هذا المسجد إلى الشمال الشرقي من المسجد النبوي، ويبعد عنه بمسافة تقدر بستمائه وخمسين متراً، ويطلق على اسم الشارع الذي يمرّ بالقرب منه شارع الستين.

وكان هذا المسجد لبني معاوية (١) من الأوس، وعُرف هذا المسجد باسمهم، لكنّه اشتهر الآن بمسجد الإجابة؛ لأنّ الله تعالى استجاب لنبيّه (صلى الله عليه وآله) فيه، فروى «أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أقبل ذات يوم من العالیه حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربّه طويلاً ثم انصرف إلينا، فقال: سألت ربّي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بالسنة (٢) فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعها» (٣).

١- ١ تحقيق النصرة: ١٢٩، وعمدة الأخبار: ١٧٦، وآثار المدينة: ٩٤.

٢- ٢ السنة: الجذب، وهو انقطاع المطر، ويوسء الأرض، ينظر: المصباح المنير السنين مع النون ١: ٢٩٧، والجيم مع الدال ١: ١٢٦.

٣- ٣ أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة ٤: ٢٢١٦، حديث رقم ٢٨٩٠، والطبراني في الصغير ١: ٨.

ص: ٢٨٠

وقال ابن شبه (١): «صلى الرسول (صلى الله عليه وآله) في مسجد بنى معاوية ركعتين، ثم قام فنادى ربه ثم انصرف». وقيل: إن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى فيه عن يمين المحراب قدر ذراعين، وقد اهتم بهذا المسجد، وجدد في الأزمنة السابقة مرات عديدة (٢)، وقيل: إن المباهلة بين النبي محمد (صلى الله عليه وآله)، ووفد نصارى نجران، وقعت في هذا المسجد، وذلك عندما أمر الله - تعالى - رسوله (صلى الله عليه وآله) بملاعتهم، لكنهم تراجعوا في اللحظة الأخيرة، ورفضوا الملاعة (٣). الهوامش:

### من رحلة ابن جبير عن الحج

١-١ تاريخ المدينة المنورة ١: ٦٨.

٢-٢ الدر الثمين: ١٥٢.

٣-٣ سيرة ابن هشام ٢: ١٦٠.



ص: ٢٨١

من رحلة ابن جبير عن الحج

عبد الله المؤمن

هذه بعض اللمحات التي سطرتها رحلة ابن جبير - أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى، الأندلسى، الشاطبى، البلنسى. ولد فى بلنسية. وسمع العلوم من أبيه فى شاطبى، وأخذ القرآن عن أبى الحسن بن أبى العيش أثناء رحلته الثالثة الطويلة - بعد رحلتين قصيرتين - التى استغرقت من يوم الاثنين التاسع عشر من شهر شوال سنة ٥٧٨ هـ وختمها يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر محرم سنة ٥٨١ هـ، وقد استغرقت رحلته الحجازية ابتداءً من ليلة الجمعة الرابعة والعشرين من شهر ربيع الأول من العام ٥٧٩ هـ، وانتهاءً فى يوم الأحد العشرين من ذى الحجة من السنة المذكورة. أما مدة إقامته فى مكة

ص: ٢٨٢

فيصفها لنا بقوله:

«فكانت مدّة مقامنا بمكة»، قدسها الله - من يوم وصولنا إليها، وهو يوم الخميس ١٣ لربيع الآخر من سنة تسع وسبعين، إلى يوم بإقلاعنا من الزاهرة، وهو يوم الخميس الثاني والعشرين لذي الحجة من السنة المذكورة، ثمانية أشهر وثلاث شهر، التي هي بحسب الزائد والناقص من الأشهر مئتا يوم اثنتان وخمسة وأربعون يوماً سعيدات مباركات ...

ونحن بهذه اللمحات سوف نعود مع ابن جبير؛ ولنرى معه أحوال الناس في ذلك الزمان، وحال العمران، وما وصفه لنا من مشاعر مقدسة وأنفاس متجهة وقلوب خاشعة، وأيدٍ متضرعة.

آفة الحجاج:

يصف لنا ابن جبير هذه الآفة، وهو في وصفه يضع الحقائق، ويوضح الواقع، ويبين كيف تعامل الإنسان في ذلك الزمان مع ما يواجهه من مصاعب.

فابن جبير - بعد أن يصل إلى جدّة عن طريق البحر الأحمر، الذي كان يسميه بحر فرعون - يصف لنا طريقة ذهاب الحجاج من جدّة وإليها عن طريق البحر، فيقول:

«والركوب من جدّة وإليها آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم؛ ممن يسلمه الله - عزّ وجلّ -، وذلك أن الرياح تُلقيهم - على الأكثر - في مراسٍ بصحارى تبعد منها مما يلي الجنوب فينزل إليهم البجاة، وهم نوع من السودان ساكنون بالجبال، فيكرون منهم الجمال، ويسلكون بهم غير طريق الماء، وربما ذهب أكثرهم عطشاً، وحصّلموا على ما يخلفه من نفقة أو سواها، وربما كان من الحجاج من يتعسف (١) تلك المجهلة (٢) على قدميه فيضل ويهلك عطشاً. والذي

١-١ تعسف الصحراء: خبط فيها على غير هداية.

٢-٢ المجهلة: الأرض التي لا يهتدى فيها.

ص: ٢٨٣

يشيّر منهم يصل إلى عذاب كأنه مُنْشَر من كفن، شاهدنا منهم مُدَّة مُقَامِنَا أقواماً قد وصلوا على هذه الصفة في مناظرهم المستحيلة (١)، وهيئاتهم المتغيرة، آية للمتوسمين. وأكثر هلاك الحجاج بهذه المراسى، ومنهم من تساعده الريح إلى أن يحط بمُرْس عذاب، وهو الأقل.

صفة جُدَّة:

وبعد أن يصف ابن جبير في رحلته أهوال بحر فرعون- أى البحر الأحمر- ينتقل إلى وصف مدينة جُدَّة- بعد أن وصل إليها- فهو يقول في وصفها:

«وَجِدَّة هذه قرية على ساحل البحر المذكور، أكثر بيوتها أخصيص، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين، وفي أعلاها بيوت من الأخصاص كالغُزَف، ولها سطوح يُستراح فيها بالليل من أذى الحر، وبهذه القرية آثار قديمة تدلّ على أنها كانت مدينة قديمة، وأثر سُورها المُحدق بها باقٍ إلى اليوم، وبها موضع فيه قبة مشيدة عتيقة، يُذكر أنه كان منزل حوّاء أمّ البشّر- صلى الله عليها- عند توجّدها إلى مكة، فبنى ذلك المبنى عليه تشهيراً لبركته وفضله، والله أعلم بذلك».

وصف سكان جُدَّة:

ثم يأتي بعد ذلك إلى وصف سُكان جُدَّة نسباً ومعاشاً وعملاً:

«وأكثر سُكّان هذه البلدة مع ما يليها من الصحراء والجبال أشرف علويّون: حَسَبِيّون وحَسَبِيّيون، وجَعْفَرِيّون- رضى الله عن سلفهم الكريم- وهم من شظف العيش بحالٍ يتصدّع له الجماد إشفاقاً، ويستخدّمون أنفسهم في كلّ مهنة من المهن: من إكراء جمال إن كانت لهم، أو مبيع لبن أو ماء، إلى غير ذلك من تمر يلتقطونه أو حطب يحطّبونه، وربما تناول ذلك نساؤهم الشريقات بأنفسهنّ،

ص: ٢٨٤

فسبحان المُقدّر لما يشاء، ولا- شك أنهم أهل بيت ارتضى الله لهم الآخرة ولم يرتض لهم الدنيا، جعلنا الله ممن يدين بحب أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

استغلال الحجاج:

ويصف لنا ابن جبير طائفة من الناس تستغل الحجاج سرقة واعتداءً وتذيقهم من البلاء ما لا يوصف.

«وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يُعتقد في أهل الذمة، قد صيروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها: ينتهبونها انتهاباً، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلاباً. فالحاج معهم لا يزال في غرامه ومؤونه إلى أن يبسر الله رجوعه إلى وطنه».

إلى الحرم الشريف:

ثم يصف لنا ابن جبير طريقه من جدة إلى مكة وصفاً دقيقاً فيه سرعة البديهة، وأمانه النقل.

«وفي عشي يوم الثلاثاء الحادى عشر من الشهر المذكور- ربيع الآخر-، وهو فى الثانى من شهر أغسطس، كان انفصالنا من جدة بعد أن ضمن الحاج بعضهم بعضاً، وثبتت أسماؤهم فى زمام (١) عند قائد جدة على بن موفق، حسبما نفذ إليه ذلك من سلطانه صاحب مكة مكتر بن عيسى ....

وأسرينا تلك الليلة إلى أن وصلنا القرين مع طلوع الشمس، وهذا الموضع هو منزل الحاج، ومحط رحالهم، ومنه يُحرمون وبه يُريحون اليوم الذى يصبحونه،

ص: ٢٨٥

فإذا كانوا في عشية رَفَعُوا وأشَرُّوا ليلتهم، وصَبَحُوا الحرم الشريف، زاده الله تشریفاً وتعظيماً.

والصادر من الحج ينزلون به أيضاً ويُشِرُّون منه إلى جدّه، وبهذا الموضع المذكور بئر مَعِينُهُ عذبه، والحاج بسببها لا يحتاجون إلى تزود الماء غير ليلة إسرائهم إليه، فأقمنا بياض يوم الأربعاء المذكور مُريحين بالقرين، فلما حان العشي رُحْنَا منه مُحْرَمِينَ بِعُمْرَةٍ، فأسرنا ليلتنا تلك، فكان وصولنا مع الفجر إلى قَريب الحرم، فنزلنا مُرتقبين لانتشار الضوء.

ودخلنا مَكَّةَ، ... وكان نزولنا فيها بدار تُعرف بالنسبة إلى الحلال قريباً من الحرم، ومن باب السُدَّة أحد أبوابه في حجرٍ كثيرة المرافق المُسَكِنَةُ مُشْرِفَةٌ على الحرم وعلى الكعبة المقدسة».

صفة المسجد الحرام:

ويعرج بنا ابن جبير - ونحن معه في زمانه داخل الحرم المكي الشريف - وصفاً لبنائه، وتعريفاً لعمرانه، وتبييناً لما حواه من هندسة. «البيت المَكْرَم له أربعة أركان، وهو قريب من التربع ... إن ارتفاعه في الهواء من الصَّفْح (١) الذي يُقَابِل باب الصفا، وهو من الحجر الأسود، ومنه ابتداء الطواف، ويتقهقر الطائف عنه لِمِمْرٍ جميع بدنه به، والبيت المَكْرَم عن يساره، وأول ما يُلْقَى بعده الركن العراقي، وهو ناظر إلى جهة الشمال، ثم الركن الشامي، وهو ناظر إلى جهة الغرب، ثم الركن اليماني، وهو ناظر إلى جهة الجنوب، ثم يعود إلى الركن الأسود، وهو ناظر إلى جهة الشرق، وعند ذلك يتم شوطاً واحداً.

وباب البيت الكريم في الصَّفْح الذي بين الركن العراقي وركن الحجر الأسود، وهو قريب من الحَجْر بعشره أشبار مُحَقَّقَةٌ، وذلك الموضع الذي بينهما من

ص: ٢٨٦

صفح البيت يُسمى المُلتزَم، وهو موضع استجابة الدعاء، والباب الكريم مرتفع عن الأرض بأحد عشر شبراً ونصف، وهو من فضة مذهبة، بديع الصنعة، رائق الصفة، يستوقف الأبصار حسناً وخشوعاً للمهابة التي كساها الله بيته، وعُضاداته كذلك، والعتبة العليا كذلك أيضاً. وعلى رأسها لوح ذهب خالص إبريز في سعته مقدار شبرين، وللباب نَقَارَتَا فَضَّةٌ كبيرتان يتعلّق عليهما قفل الباب، وهو ناظر للشرق، وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبراً، وغلظ الحائط الذي ينطوي عليه الباب خمسة أشبار.

ثم يصف لنا ابن جبير - ونحن معه في رحاب التوحيد - ما يحوى البيت الكريم من فرش وأعمدة ورخام، وهو في ذلك لا يُغادر ما تقع عليه عينه دون أن يدونه:

«وأول ما يلقي الداخل على الباب عن يساره الركن الذي خارجه الحجر الأسود، وفيه صندوقان فيهما مصاحف، وقد علاهما في الركن بُوَيَّان من فضة كأنهما طاقان مُلصِقان بزوايه الركن .... وفي الركن الذي يليه وهو اليماني كذلك، لكنهما انقلعا وبقي العمود الذي كانا ملصقين عليه، وفي الركن الشامي كذلك وهما باقيان، وفي جهة الركن العراقي كذلك، وعن يمينه الركن العراقي وفيه باب يُسمى بباب الرحمة يُصعدُ منه إلى سطح البيت المكرّم، وقد قام له قَبْوٌ فهو متّصل بأعلى سطح البيت، داخله الأدرج».

ثم يصف لنا ابن جبير طريق الطواف الدائري، وحجارته ذات الألوان المتعددة كأنها الرخام:

«وموضع الطواف مفروش بحجارة مبسوطة كأنه الرخام حسناً، منها سُودٌ وشِمْرٌ وبيضٌ قد ألصق بعضها إلى بعض، واتسعت عن البيت بمقدار تسع خُطَى إلا في الجهة التي تقابل المقام، فإنها امتدّت إليه حتّى أحاطت به، وسائر

ص: ٢٨٧

الحرم مع البلاطات كلها مفروش برمل أبيض، وطواف النساء في آخر الحجارة المفروشة،...».

أما كيف يسقى الحاج من ماء زمزم فيصف لنا ذلك ابن جبير بقوله:

«ويُخْرَج مع الليل لسقى الحاج في قِلال يسمونها الدوارق، كل دَوْرَق منها ذو مقبض واحد، وتثور بئر زمزم من رخام قد أُلصِقَ بعضه ببعض إصاقاً لا تحيله الأيام، وأُفْرِغ في أثنائه الرصاص، وكذلك داخل التنور، وحفّت به أعمدة الرصاص المُلصِقةُ إليه بلاغاً في قوّة لُزّه ورصّه: اثنان وثلاثون عموداً قد خرجت لها رؤوس قابضة على حافة البئر دائرة بالتنور كله، ودوره أربعون شبراً، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف، وغلظه شبر ونصف، وقد استدارت بداخل القبة سقاية سعتها شبر، وعمقها نحو شبرين، وارتفاعها عن الأرض خمسة أشبار، تُمَلَأُ ماءً للوضوء، وحولها مصطبة دائرية يرتفع الناس إليها ويتوضؤون عليها».

ثم يذكر لنا وهو يتحدث عن الحجر الأسود، موقعه وصفته، وما يلاقه الحاج من لدونه عند تقبيله، ويصف الحجر الأسود تشبيهاً بالخال:

«والحجر الأسود المبارك مُلصَقٌ في الركن الناظر إلى جهة المشرق، ولا يُدْرَى قدرُ ما دخل في الركن، وقيل إنّه داخل في الجدار بمقدار ذراعين، وسعته ثلثا شبر، وطوله شبر وعقد، وفيه أربع قطع ملصقة».

ويقال: إن القَرْمَطِي (١) - لعنه الله - كان الذي كسره، وقد شدّت جوانبه بصفيحة فضة يلوح بصيص بياضها على بصيص سواد الحجر ورونقه الصقيل، فيبصر الرائي من ذلك منظرًا عجيباً هو قَيْنُ الأَبصار.

وللحجر عند تقبيله لدونه ورطوبة يتنعم بها الفم حتى يودّ اللائم أن لا يقلع فمه عنه، وذلك خاصية من خواص العناية الإلهية، وكفى أن النبي صلى الله عليه وآله ... قال:

١- ١ يشير إلى طاهر الجنابي وإغاراته على مكة، وقتله الحاج، وقلعه الحجر الأسود، وحمله معه إلى البحرين.

ص: ٢٨٨

«الركن يمين الله في الأرض يصفح بها عباده كما يصفح أحدكم أحاه».

وفي القطعة الصحيحة من الحجر مما يلي جانبه الذي يمين المستلم له - إذا وقف مُستقبله - نقطة بيضاء صغيرة مُشرقة تلوح كأنها خال في تلك الصفحة المباركة، وفي هذه الشامة البيضاء أثر: «إن النظر إليها يجلو البصر»، فيجبُ على المقبل أن يقصد بتقبيله موضع الشامة المذكورة ما استطاع».

ويتابع ابن جبير وصفه للحرم الشريف بذكر صوامعه.

«وللحرم سبع صوامع: أربع في الأربعة جوانب، وواحدة في دار الندوة، وأخرى على باب الصفا، وهي أصغرهما، وهي علم لباب الصفا، وليس يُصعدُ إليها لضيقها، وعلى باب إبراهيم صومعة قد ذُكرت عند باب إبراهيم فيما بعد».

ثم يصف لنا ابن جبير كيفية كسوة الكعبة في ذلك الزمان بقوله:

«وكسوة الكعبة المقدسة من الحرير الأخضر، وهي أربع وثلاثون شقة:

في الصفح الذي بين الركن اليماني والشامي منها تسع، وفي الصفح الذي يقابله بين الركن الأسود والعراقي تسع أيضاً، وفي الصفح بين العراقي والشامي ثمان، وفي الصفح بين اليماني والأسود ثمان أيضاً، قد وُصلت كلها فجاءت كأنها ستر واحد يعم الأربعة جوانب، وقد أحاط بها من أسفلها تكيف مبنى بالجص، في ارتفاعه أزيد من شبر، وفي سعته شبران أو أزيد قليلاً، في داخله خشب غير ظاهر، وقد سُيِّمَت فيه أوتاد حديد في رؤوسها حلقات حديد ظاهرة، قد أُدخلَ فيها مرس من القنب غليظ مفتول، واستدار بالجوانب الأربعة بعد أن وُضع في أذيال الستور شبه حُجَز (١) السراويلات، وأدخلَ فيها ذلك المرس، وخُيِّطَ عليه بخيوط من القطن المفتولة الوثيقة، ومجتمع الستور في الأركان الأربعة مخيَّط إلى أزيد من قامه، ثم منها إلى أعلاها تتصل بعُرى من حديد يُدخَلُ بعضها في بعض، واستدار أيضاً بأعلاها على جوانب السطح تكيف ثانٍ، وقعت فيه أعالي الستور في

١- ١ الحجز/ الواحدة حجة: موضع التكة من السراويل.



ص: ٢٨٩

حلقات حديد على تلك الصفة المذكورة، فجاءت الكسوة المباركة مخيطة الأعلى والأسفل، وثيقة الأزرار، لا تُخلع إلا من عام إلى عام عند تجديدها، فسبحان من خلد لها الشرف إلى يوم القيامة، لا إله سواه».

ثم يصف لنا ابن جبير منبر الخطيب - خطيب المسجد الحرام يوم الجمعة - وبين لباسه الذي يرتديه. وذكر الرايتين السوداوين اللتين تركزان في أول درجته من المنبر.

«وبإزاء المقام الكريم منبر الخطيب، فإذا كان يوم الجمعة، وقرب وقت الصلاة، ضُم إليصفح الكعبة الذي يقابل المقام، وهو بين الركن الأسود والعراقي، فيمنند المنبر إليه، ثم يقبل الخطيب داخلًا على باب النبي صلى الله عليه وآله، وهو يقابل المقام في البلاط الآخذ من الشرق إلى الشمال، لباساً ثوب سواد مرسوماً بذهب ومتعمماً بعمامة سوداء مرسومة أيضاً، وعليه طيلسان شرب رقيق، كل ذلك من كسا الخليفة التي يُرسلها إلى خطباء بلاده، يرقل فيها وعليه السكينه والوقار، يتهادى رؤيداً بين رايتين سوداوين يمسكهما رجلان من قومية المؤذنين، وبين يديه ساعياً أحد القومة، وفي يده عودٌ مخروط أحمر قد رُبط في رأسه مرس من الأديم المفتول دقيق طويل، في طرفه عذبة صغيرة ينفصها بيده في الهواء نفصاً فتأتى بصوت عالٍ، يشمع من داخل الحرم وخارجه، كأنه إيذان بوصول الخطيب، ولا يزال في نفصها إلى أن يقرب من المنبر، ويسمونها «الفرقية»، فإذا قرب من المنبر عرج إلى الحجر الأسود فقبله ودعا عنده، ثم سعى إلى المنبر والمؤذن الزمزمي، رئيس المؤذنين بالحرم الشريف، ساع أمامه، لباساً ثياب السواد أيضاً، وعلى عاتقه السيف يمسكه بيده دون تقلد له، فعند صعوده في أول درجته قلده المؤذن المذكور السيف، ثم ضرب بنعله سيفه فيها ضربةً أسمع بها الحاضرين، ثم في الثانية، ثم في الثالثة، فإذا انتهى إلى الدرجة العليا ضرب ضربةً رابعة، ووقف داعياً مُستقبلاً

ص: ٢٩٠

الكعبة بدعاء خفي، ثم انفتل عن يمينه وشماله وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردد الناس عليه السلام، ثم يقعد، ويبادر المؤذنون بين يديه في المنبر بالأذان على لسان واحد، فإذا فرغوا قام للخطبة فذكر ووعظ وخشع فأبلغ، ثم جلس الجلسة الخطيبية، وضرب بالسيف ضربة خامسة، ثم قام للخطبة الثانية فأكثر بالصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وعلى آله ورَضِيَ عن أصحابه، واختص الأربعة الخلفاء بالتسمية رضى الله عن جميعهم، ودعا لعمى النبي صلى الله عليه وآله حمزة والعباس وللحسن والحسين، وإلى الترضى عن جميعهم، ثم دعا لأمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وآله، ورَضِيَ عن فاطمة الزهراء وعن خديجة الكبرى بهذا اللفظ ....

وفي أثناء الخطبة تُركز الرايتان السوداوان في أول درجة من المنبر، ويمسكهما رجلان من المؤذنين، وفي جانبى باب المنبر حلقتان، تُلقى الرايتان فيهما مركزتين، فإذا فرغ من الصلاة، خرج والرايتان عن يمينه وشماله، والفرقة أمامه على الصفة التي دخل عليها، كأن ذلك أيضاً إيدان بانصراف الخطيب، والفراغ من الصلاة، ثم أُعيد المنبر إلى موضعه بإزاء المقام».

ثم يذكر لنا ابن جبير خصائص يمتاز بها الحرم المكي، والبيت العتيق لما له من بركة واهتمام سماوى وسمات نورانية: «والبيت العتيق مبنى بالحجارة الكبار الصم السمر، قد رُصَّ بعضها على بعض، وألصقت بالعمد الوثيق إصاقاً لا تحيله الأيام، ولا تقصمه الأزمان، ومن العجيب أن قطعة انصدعت من الركن اليماني فسُمرت بمسامير فضة، وأعيدت كأحسن ما كانت، والمسامير فيها ظاهرة».

ومن آيات البيت العتيق أنه قائم وسط الحرم كالبرج المشيد وله التنزيه الأعلى. وحمام الحرم لا تُحصى كثرة، وهى من الأمن بحيث يُضربُ بها المثل، ولا

ص: ٢٩١

سبيل أن تنزل بسطحه الأعلى حمامة، ولا- تحلّ فيه بوجهه، ولا- على حال، فترى الحمام يتجلّى على الحرم كله، فإذا قرّبت من البيت عرّجت عنه يمينا أو شمالاً، والطيور سواها كذلك.

ومن آياته أن بابه الكريم يُفْتَحُ في الأيام المعلومة المذكورة، والحرم قد غصّ بالخلق، فيدخله الجميع ولا يضيق عنهم بقدره الله عزّ وجلّ ولا يبقى فيه موضع إلا ويصلّى فيه كل أحد، ويتلاقى الناس عند الخروج منه، فيسأل بعضهم بعضاً: هل دخل البيت ذلك اليوم؟ فكلُّ يقول: دخلتُ وصليتُ في موضع كذا وموضع كذا حيثصلّى الجميع، ولله الآيات البينات والبراهين المعجزات، سبحانه وتعالى. ومن عجائب اعتناء الله- تبارك وتعالى- به أنه لا يخلو من الطائفين ساعةً من النهار، ولا وقتاً من الليل، فلا تجد من يُخبر أنه رآه دون طائف به، فسبحان من كرمه وعظمه وخلّد له التشريف إلى يوم القيامة).

أبواب الحرم: ثم نخرج مع ابن جبير عند ذكره لأبواب الحرم المكي الشريف معدداً إياها مميّزاً بينها.

«للحرم تسعة عشر باباً، أكثرها مُفْتَحُ على أبواب كثيرة، حسبما يأتي ذكره إن شاء الله:

باب الصفا: يفتح على خمسة أبواب، وكان يسمّى قديماً بباب بني مخزوم.

باب الخلقين: ويُسَمَّى باب جِيَاد الأصغر مُفْتَحُ على بايين، هو مُحَدَّث.

باب العباس رضي الله عنه: هو يفتح على ثلاثة أبواب.

باب علي رضي الله عنه: مفتوح على ثلاثة أبواب.

ص: ٢٩٢

باب النبيصلى الله عليه وآله: يفتح على بايين.

بابصغير أيضاً بإزاء باب بنى شيبه المذكور: لا اسم له.

باب بنى شيبه: وهو يفتح على ثلاثة أبواب، وهو باب بنى عبد شمس، ومنه كان دخول الخلفاء.

باب دار الندوة: ثلاثة (١)، البابان من دار الندوة منتظمان، والثالث فى الركن الغربى من الدار.

فيكون عدد أبواب الحرم بهذا الباب المنفرد عشرين باباً.

بابصغير بإزاء بنى شيبه خوخة (٢) الأبواب: لا اسم له، وقيل: إنه يُسمى باب الرباط، لأنه يُدخَل منه لرباط الصوفية.

بابصغير لدار العجلة: مُحدَث.

باب السدة: واحد.

باب العمرة: واحد.

باب حَزْوَرَة: على بايين.

باب إبراهيم عليه السلام: واحد.

باب يُنسب لحَزْوَرَة أيضاً: على بايين.

باب جياذ الأكبر: على بايين.

باب يُنسب لجياذ أيضاً: على بايين، ومنهم من ينسب البايين من هذه الأبواب الأربعة الجياذية إلى الدقّاقين، والروايات فيها تختلف،

لكننا اجتهدنا فى إثبات الأقرب من أسمائها إلى الصحة، والله المستعان لا ربّ سواه».

١- ١ أى يفتح على ثلاثة أبواب.

٢- ٢ الخوخة: الباب الصغير فى الباب الكبير.

ص: ٢٩٣

مكة وآثارها الكريمة، وأخبارها الشريفة: ثم يصف لنا ابن جبير جغرافيه مكة، وما تتضمنها من تضاريس وتكوينات بيولوجية، وذكر أبوابها، ومدافن المسلمين فيها:

«هى بلدة قد وضعها الله - عز وجل - بين جبال مُحَدَقَةٍ بها، وهى بطن واد مقدس، كبيرة مستطيلة، تسع من الخلائق ما لا يُحصيه إلا الله عز وجل.

ولها ثلاثة أبواب: أولها باب المَعْل، ومنه يُخْرَج إلى الجَبَانَةِ المباركة، وهى بالموضع الذى يُعرف بالحجون، وعن يسار المار إليها جبل فى أعلاه ثنية عليها علم شبيه البرج، يُخْرَج منها إلى طريق العُمرة، وتلك الثنية تُعرف بكداء، وهى التى عنى حسان بقوله فى شعره: تُثِيرُ النِّعَمَ موعدها كداء (١).

وبالجبانة المذكورة مدفن جماعة من الصحابة والتابعين والأولياء والصالحين قد دثرت مشاهدهم المباركة، وذهبت عن أهل البلد أسماءهم ....

ثم باب المسفل: وهو إلى جهة الجنوب، وعليه طريق اليمن ...

ثم باب الزاهر: ويعرف أيضاً باب العُمرة، وهو غربى، وعليه طريق مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وطريق الشام وطريق حُدَّة، ومنه يُتَوَجَّه إلى التنعيم، وهو أقرب ميقات المعتمرين، يُخْرَج من الحرم إليه على باب العُمرة، ولذلك أيضاً يسمّى هو بهذا الاسم.

ويستمر ابن جبير فى حديثه فيذكر مشاهدتها المكرمة من قبة الوحي، والبقعة التى تبركت بولادة الرسول صلى الله عليه وآله على ثراها، أو دار الخيْزُرَان التى كان النبى يعبد الله فيها سرّاً، وجبل ثور وغير ذلك ذكراً جميلاً ويصفها وصفاً بارعاً.

«فمن مشاهدتها التى عاينها قبة الوحي، وهى فى دار خديجة أم المؤمنين - رضى الله عنها - وبها كان ابتناء النبى صلى الله عليه وآله بها، وقبة صغيرة أيضاً فى الدار

١- ١ هو عجز بيت لحسان بن ثابت صدره: عدنا خيلنا إن لم تروها.

ص: ٢٩٤

المذكورة فيها كان مولد فاطمة الزهراء - رضی اللہ عنہا - وفيها أيضاً وُلِدَتْ سَيِّدَى شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (١) - وهذه المواضع المقدسة المذكورة مُعَلَّقَةٌ مَصُونَةٌ قَدْ بُنِيَتْ بِنَاءً يَلِيقُ بِمَثَلِهَا. ومن مشاهدتها الكريمة أيضاً مولد النبي صلى الله عليه وآله، والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسّت جسمه الطاهر، بُنِيَتْ عَلَيْهَا مَسْجِدٌ لَمْ يُرَ أَحْفَلُ بِنَاءً مِنْهُ، أَكْثَرُهُ ذَهَبٌ مَنْزِلٌ بِهِ، وَالْمَوْضِعُ الْمَقْدَسُ الَّذِي سَقَطَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ... يُفْتَحُ هَذَا الْمَوْضِعُ الْمُبَارَكُ فَيَدْخُلُهُ النَّاسُ كَافَةً مُتَبَرِّكِينَ بِهِ فِي شَهْرِ رَيْعِ الْأَوَّلِ وَيَوْمِ الْاِثْنَيْنِ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ كَانَ شَهْرَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَفِي الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَتُفْتَحُ الْمَوَاضِعُ الْمَقْدَسَةُ الْمَذْكُورَةُ كُلِّهَا، وَهُوَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ بِمَكَّةَ دَائِمًا. ومن مشاهدتها الكريمة أيضاً دار الحَيِّزُرَانِ، وَهِيَ الدَّارُ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَعْبُدُ اللَّهَ فِيهَا سِرًّا مَعَ الطَّائِفَةِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَادِرَةِ لِلْإِسْلَامِ مِنْ أَصْحَابِهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - حَتَّى نَشَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ مِنْهَا ... ومن الجبال التي فيها أثر كريم ومشهد عظيم، الجبل المعروف بأبي ثور، وهو في الجهة اليمينية من مكّة على مقدار فرسخ أو أزيد، وفيه الغار الذي آوى إليه النبي صلى الله عليه وآله ومعصاه ... وأكثر الناس ينتابون هذا الغار المبارك، ويتجنّبون دخوله من الباب الذي حدث الله - عزّ وجلّ - فيه، ويرومون دخوله من الشق الذي دخل النبي صلى الله عليه وآله منه تبرّكاً به، فيمتد المحاول لذلك على الأرض، ويبسط خدّه بإزاء الشق، ويولج يديه ورأسه أولاً، ثم يعالج إدخال سائر جسده، فمنهم من يتأتّى له ذلك بحسب قِصَافَةِ بَدَنِهِ (٢)، ومنهم من يتوسط بدنه فم الغار فيعضّه (٣) فيروم الدخول أو الخروج فلا يقدر فينشب (٤)، ويلاقى مشقّة وصعوبة، حتى يتناول بالجدب العنيف من ورائه.

١-١ في سائر التواريخ أن الحسن والحسين ولدا في المدينة.

٢-٢ القضاة: النحافة.

٣-٣ بعضه: أراد يمسك به.

٤-٤ ينشب: يعلق.

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).  
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.  
مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطه من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحه آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المتبدله أو الرديئه - في المحاميل (=الهواتف المنقله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله المنابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في جامعه، و...  
- منها العداة الاجتماعيه: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميه و الإيرانيه - في أنحاء العالم - من جهه أخرى.  
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركه و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسه

(ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بناية" القائمية

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: [www.ghaemiyeh.com](http://www.ghaemiyeh.com)

البريد الإلكتروني: [Info@ghaemiyeh.com](mailto:Info@ghaemiyeh.com)

المتجر الإلكتروني: [www.eslamshop.com](http://www.eslamshop.com)

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصحمان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
[www.Ghaemiyeh.com](http://www.Ghaemiyeh.com)  
[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)  
[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)  
[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

